السنة السادسة والثلاثون

قال علماء السير كابن هشام والواقدي وسيف بن عمر عن أشياخهم: لما دخلت سنة ست وثلاثين فرَّق أميرُ المؤمنين عُمَّاله على الأقطار، قال سيف: فحدّثني محمد وطلحة قالا: بعث عثمان بنَ حُنَيف إلى البصرة، وعُمارة بن حسان بن شهاب الثوري على الكوفة، وكان من المهاجرين، وعبيد الله بن العباس إلى اليمن، وقيس بن سعد بن عُبادة إلى مصر، وسهل بن حُنَيف إلى الشام.

فأما سهل بن حُنَيف فإنه لما وصل إلى تبوك لَقِيَتْه خيلٌ، فقالوا: مَن أنت؟ قال: أمير، [قالوا: على أي شيء؟ قال:] على الشام، فقالوا: إن كان عثمان بَعَثَك فحَيَّهَلا بك، وإن كان غيرُه فارجع، فليس لك علينا إمرة، فقال: أوَما سمعتُم بما جرى؟ قالوا: بلى، فرجع إلى المدينة، وأخبر علياً بذلك.

وأما قيس بن سعد فإنه لما وصل إلى أيلة لقيتْه خيلٌ، فقالوا: مَن أنت؟ قال: من فالَّة عثمان، أطلبُ مَن آوي إليه، قالوا: ادخل، فدخل مصر وقال: أنا قيس بنُ سعد، وافترق أهلُ مصر عليه فِرَقاً؛ فرقة دخلت في الجماعة فكانوا مع قيس، وفرقة اعتزلت إلى مكان يُقال له: خَرِبْتا، ووافقهم أهلُها وقالوا: الأمر موقوف؛ إن قتل عليٌّ قتلةَ عُثمان فنحن معه، وإلا كنا على حالنا، وفرقة قالوا: نحن مع علي إلا أن يَقتُل إخواننا، يعنون قتلةَ عثمان، وهم في ذلك مع الجماعة.

فكتب قيس إلى علي بذلك، وسنذكر قصة قيس بن سعد بعد هذا.

وأما عثمان بن حُنَيف فسار حتى دخل البصرة، فلم يَرُدّه عنها أحد، وافترق أهلُها، ففِرقة دخلت في الجماعة، وفرقة اعتزلت، وفرقة قالوا: نحن مع أهل المدينة، نَنظُر ما يصنعون فنصنع كذلك.

قال أبو جعفر الطبري في «تاريخه»[1]: وأما عُمارة فإنه لما وصل إلى زُبالة تلقّاه طُليحة بن خُويلد ـ وقد كان حين بلغه قتلُ عثمان خرج يدعو إلى الطلب بدمه ويقول:

(١) ٤/ ٤٢٢ـ٤٤٣ وما سبق منه.

لَهْفي على أمرٍ لم أُدركْه ـ فقال لعُمارة: ارجع، فإن القوم لا يُريدون بأميرهم بديلاً، فإن أبيتَ ضربتُ عُنُقَك، فرجع عُمارة إلى المدينة.

قلت: وقولُ الطبري: لَقيَه طُليحة بن خُويلد وَهم، فإن طُليحة بن خويلد استشهد بنَهاوَنْد في سنة إحدى وعشرين، في أيام عمر بن الخطاب من غير خلاف.

ولما حكى جدّي رحمه الله في «المنتظم»[١] قصةَ عُمارة قال: ولما وصل إلىٰ زُبالة رُدّ، ولم يذكر سوى هذه اللفظة، ولم يحْكِ ما حكاه الطبري عن طليحة بن خويلد.

وأما عُبيد الله بن عباس فإنه لما وصل إلى اليمن، جمع يَعلى بن أُميَّة ما كان بها من مال، وسار على حامية، حتى نزل مكة، وهذا يَعلى بن أُمَيّة؛ أميةُ أبوه، وأمه مُنْيَة بنون، وهي بنت غزوان، وأخت عُتبة بن غزوان، وسنذكره فيما بعد.

قالوا: ولما رجع سهل بن حُنَيف من الشام دعا عليّ طلحةَ والزبير، وقال لهما: إن الفتنة قد وقعت، والذي كنا نَحذره من معاوية قد كان، وإن الفتنة تُسعّر، كالنار تزداد بالوَقود، فماذا تريان؟ قالا: ائذن لنا في الخروج من المدينة، فإما أن نُكاثر وإما أن تَدَعنا، فقال: سأُمسك الأمرَ ما استمسك، فإذا لم أجد بُدّاً فآخر الدَّاء الكيّ.

وحكى جدي رحمه الله في «المنتظم» القصة وقال: آخر الدواء الكي[٢].

وكتب علي إلى أبي موسى الأشعري أن يَأخذ البيعةَ على أهل الكوفة، وبعث بكتابه مع مَعْبد الأسلمي، فكتب إليه ببيعة أهل الكوفة، وبَيَّن الراضي منهم والكاره، حتى كان علي عليه السلام على الواضحة من أهل الكوفة[٣].

ثم كتب أمير المؤمنين إلى معاوية، قال علماء السير ممّن سمَّينا: كتب مع الجُهَنيّ كتاباً يَدعو فيه معاوية إلى الطاعة، ويَتواعده على المخالفة، فقدم عليه، فدفع الكتاب إليه، فلما قرأه تَمثَّل وقال: [من البسيط]

أدِمْ إدامةَ حصنٍ أو خُذَاً بيدي ... حَرْباً ضروساً تَشُبُّ الجَزْلَ والضَّرَما

---

(١) ٥/٧٦.

(٢) المنتظم ٥/٧٦.

(٣) في الطبري ٤/٤٤٣: حتى كأن علياً على المواجهة من أمر أهل الكوفة.

في جاركم وابنكم إذ كان مَقتلهُ شَنْعاءَ شَيَّبَتِ الأصداغَ واللِّمَما
أعيا المسُودُ بها والسَّيِّدون فلم يُوجَدْ لها غيرُنا مَولًى ولا حَكَما

فأقام الجُهَنيّ عنده ثلاثة أشهر إلى سَلْخِ صَفَر، كلما سأله الجواب تمثّل بهذه الأبيات، فلما مضى الشهرُ الثالث من مَقتل عثمان؛ دعا معاويةُ برجلٍ من بني عَبْس يُدعى قَبيصة، فدفع إليه طُوماراً مَختوماً عنوانه: من معاوية إلى علي، وقال له: إذا دخلتَ المدينة فاقبض على أصلِ الطُّومار وارفعه، ثم أوصاه بما يقول، وأشخص معه رسولَ عليّ الجُهني، وخرجا، فقدما المدينةَ في ربيعٍ الأول، فلما دخلا رفع العبسيُّ الطُّومار، وقد خرج الناس ينظرون إليه، فلما رأوا الطومار تَفرَّقوا إلى منازلهم، وعلموا أن معاوية مُخالفٌ معتَرِض.

ودخل العبسيُّ على أمير المؤمنين، فدفع إليه الطُّومار، ففضَّ خاتمه فوجده كلّه بياضاً ليس فيه كتاب، فقال للرسول: وَيحك، ما وراءك؟ فقال: أنا آمن؟ قال: نعم إن الرُّسُلَ لا تُقتل، قال: تركتُ ورائي أقواماً لا يَرضَون إلا بالقَود، قال: ممّن؟ قال: منك، وتركتُ ستين ألفَ شيخٍ يَبكون تحت قميص عثمان، وهو مَنصوبٌ لهم على منبر دمشق، قد ألبسوه إياه، فقال علي: أمنّي يَطلبون دمَ عثمان؟! نجا والله قَتَلةُ عثمان إلا أن يشاء الله، فإنه إذا أراد أمراً أصابه، اخرج، فقال: وأنا آمِن؟ فقال: نعم.

فخرج، وصاحت السّبئية: اقتُلوا الكلب وافِدَ الكلاب، فصاح: يا [آل] قَيس، الخيل والنَّبْل، وأقسم بالله: ليَردنَّها عليكم أربعةُ آلاف خصيّ، فانظروا كم الفحول والرّكاب، فمالوا عليه، فمنَعتْه مُضر، وجعلوا يقولون له: اسكت، وهو يقول: لا والله لا يُفلح هؤلاء أبداً، ولقد أتاهم ما يُوعَدون، وحلَّ بهم ما يَحذرون، انتهت والله أعمالُهم، وذهبت ريحُهم، وكلما قالوا: اسكُتْ وهو يكرِّر الكلمات، فوالله ما أمسوا من يومهم حتى عُرف الذلُّ فيهم.

وقال سيف: حدثني أبو حارثة وأبو عثمان قالا: واستأذن طلحة والزبير علياً في العُمرة، فأذِن لهما، فلحقا بمكة، وفي رواية: فقال لهما علي: لعلكما تُريدان الشام؟ قالا: لا والله، وقَدِما مكة.

وقال سيف: حدثني محمد وطلحة قالا: وأحبَّ أهلُ المدينة أن يَعلموا رأي علي

في معاوية، ليعلموا بذلك رأيَه في قتال أهلِ القبلة؛ هل يَجسُر عليه أو يَنكُل عنه، وقد بلغهم أن الحسن بن علي دخل عليه، وخلى [به]، ودعاه إلى القُعود وتركِ الناس، فدسُّوا إليه زياد بنَ حَنظلة التميميّ ـ وكان منقطعاً إلى علي ـ فدخل عليه، فقال له علي: يا زياد، تجهَّز؟ قال: إلى أين؟ قال: إلى غزوِ أهلِ الشام، فقال زياد: الأناةَ الأناةَ، والرِّفقَ الرِّفق، فخرج زياد على الناس وهم يَنتظرونه، فقالوا: ما وراءك؟ قال: السيف، فعرفوا ما هو فاعل.

ذكر تجهّز أمير المؤمنين إلى الشام

قال سيف: وأخذ في المسير إلى الشام، وعبَّأ جيوشَه، فجعل على مُقدّمته أبا ليلى ابن عمر بن الجرَّاح، ابن أخي أبي عبيدة بن الجراح، وعلى الميمنة عبد الله بن عباس، وعلى الميسرة عُمر بن أبي سلمة، ومعه عمرو بن سفيان بن عبد الأسد[١]، ودفع لواءه إلى محمد بن الحنفية، واستخلف على المدينة قُثَم بن العباس، ولم يُولِّ أحداً ممن خرج على عثمان شيئاً، وكتب إلى أبي موسى وعثمان بن حنيف أن يَندُبا أهلَ العراق إلى غزو أهل الشام، وكتب إلى [قيس بن] سعد بن عُبادة بمثل ذلك.

وأقبل على أخذ العُدَّة، ثم خطب أهلَ المدينة، ودعاهم إلى قتال أهل القِبلة[٢]، وقال في خطبته: انهضوا إلى قتال هؤلاء الذين يُريدون تفريقَ جَماعتِكم، وتبديدَ كلمتِكم، لعلّ الله أن يُصلح بكم ما أفسد أهلُ الآفاق، أو تَقضوا الذي عليكم.

فبينما هم على ذلك إذ جاءه الخَبَر باجتماع طلحة والزبير بعائشة على نحوٍ آخر، فثنى عَزمَه عن المسير إلى الشام، وعزم على المسير إلى مكة، ثم خطب فقال: أيّها الناس، إن الله جعل لظالم هذه الأمة العَفوَ والمغفرة، وجعل لمن لَزِم الأمرَ واستقام الفوزَ والنّجاة، ألا وإن طلحة والزبير وعائشة قد تمالؤوا عليَّ وسخطوا إمارتي، وسأصبر ما لم أَخَفْ على جماعتكم، وأكفّ إن كَفّوا، وأقتصر على ما بَلغني عنهم.

ثم أتاه الخبر أنهم يُريدون البصرة للإصلاح بين الناس.

---

(١) في الطبري ٤/ ٤٤٥ ، والمنتظم ٥/ ٧٨ : عمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد.

(٢) في الطبري ٤/ ٤٤٥ ، ومطبوع المنتظم ٥/ ٧٨ : أهل الفرقة، والمثبت موافق لما في أصل المنتظم.

قال هشام: فقام خطيباً وقال: أيها الناس إن طلحةَ والزّبير خرجا يَجُرّان حُرمةَ رسول الله ﷺ كما تُجَرُّ الأمَةُ عند شرائها، وحبسا نساءهما في بيوتهما، وأبرزا حبيسَ الله وحبيسَ رسوله، وما منهما إلا مَن أعطاني الطّاعة، وسألني البيعةَ طائعاً غيرَ مُكره، فتهيّؤوا للمسير إليهم، ثم نزل.

قال سيف: فثَقُل ذلك على أهل المدينة وتثاقلوا، وقالوا: لا ندري كيف نَصنع، وإنه أمرٌ مشتبه، ونحن مُقيمون حتى يُضيء لنا، فبعث كُميل بن زياد إلى عبد الله بن عمر، فجاء فقال له: انهض معي لقتال هؤلاء القوم، قال: إنما أنا رجل من أهل المدينة، إن خرج أهلُها خرجْتُ، وإن قَعدوا قعدتُ، فقال له علي: أعطِني زعيماً بأنك لا تخرج، فقال: لا أعطيك زعيماً، فقال علي: أنا أعرفُ الناس بك.

ثم خرج عبد الله من تحت ليلته، وأخبر أمّ كلثوم بنت علي أنه خرج مُعتمراً، مقيماً على الطاعة، وكان صدوقاً.

وأصبح علي فأُخبر بخروجه، وقيل له: خُروجه أشدُّ عليك من معاوية وطلحة والزبير، وأنه قد ذهب إلى الشام، فبَثّ علي في طَلَبه الرجالَ والخيلَ، وماجت المدينة، فجاءت أمّ كلثوم إلى أبيها وقالت: مالك وللرجل؟ إن الأمر على خلاف ما بلَغك، ما خرج إلّا مُعتمراً، وأنا ضامِنَتُه، فطابت نفسُه فقال: إنه عندي ثِقةٌ صَدوق.

ذكر اجتماع طلحة والزبير وعائشة وبني أمية بمكة

قال علماء السير منهم سيف بن عمر، عن أشياخه، دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض قالوا: لما قُتل عثمان وقبل أن يُبايَع عليّ، هرب بنو أمية إلى مكة، وبويع علي لخمسٍ بقين من ذي الحجة ـ كذا وقعت هذه الرواية ـ وكانت عائشة مُقيمةً بمكة تُريد العُمرة في المحرَّم، فلما قضت عُمرتها، وخرجت تقصد المدينة، وانتهت إلى سَرِف، لقيَها رجلٌ من أخوالها من بني ليث؛ يقال له: عُبيد بن أبي سلمة، فقالت له: مَهْيَمْ؟ فهَمْهَمَ ودَمْدَمَ، فقالت له: ويحك علينا أولنا؟ فقال: قُتل عثمان، وبقوا خمسة أيام بغير إمام، قالت: ثم ماذا؟ قال: اجتمع أهلُ المدينة على علي فبايعوه، فعادت إلى مكة وهي ساكتة.

وفي رواية سيف: فدخلت المسجد، وقصدت الحِجر، فتستّرت فيه، واجتمع إليها الناس، فقالت: أيها الناس، إن الغَوغاء من أهل الأمصار، وأعراب أهل المياه، وعَبيد أهل المدينة، اجتمعوا على هذا الرجل المقتول بالأمس ظُلماً، فبادَروه بالعدوان، فسَفكوا الدم الحرام، واستَحلُّوا الشهرَ الحرام والبلد الحرام، وأخذوا المال الحرام، فاجتماعُكم عليهم يُنَكّل بهم غيرَهم، ويُشرِّدُ بهم مَن خَلفهم.

وفي رواية سيف أيضاً أنها لما رجعت قال لها عبد الله بن عامر الحضرمي: ما رَدَّك يا أم المؤمنين؟ وكان عبد الله عامل عثمان على مكة، فقالت: رَدَّني أن عثمان قُتل مَظلوماً، وأن أمر الأمة لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمرٌ، فاطلبوا بدم عثمان تُعِزُّوا الإسلام، فكان أول مَن أجابها عبد الله بن عامر، وذلك أوّل ما تكلّمتْ بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤوسهم.

وروى الطبري بإسناده عن عبيد الله بن عمرو القُرشي قال: خرجت عائشة وعثمان محصور إلى مكة، فقدم مكة رجلٌ يُقال له: أخضر، فقالت له عائشة: ما صنع الناس؟ قال: قتل عثمان المصريين، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، أيُقتلُ قومٌ جاؤوا يَطلبون الحقّ ويُنكرون الظلم، والله لا نرضى بهذا.

ثم قدم آخر فقالت: ما صنع الناس؟ فقال: قتل المصريون عثمان، فقالت: عجباً للأخضر، زعم أن المقتول هو القاتل، فكان يُضرب به المثل فيقال: أكذبُ من الأخضر[1].

وقال سيف بن عمر بإسناده: الذي لقي عائشة في الطريق عُبيد بن أمِّ كلاب، فقالت: مَهْيَم، قال: قتلوا عثمان، قالت: ثم ماذا؟ قال: واجتمع الناس على علي، فقالت: بِفيك الحَجَر، والله وَدِدْتُ أن هذه انطبقت على هذه، يعني السماء على الأرض، ولا وَلي علي، رُدّوني، والله لأطلُبنّ بدم المظلوم عثمان، فقال لها عُبيد: فأنت والله أول مَن حَرَّض الناسَ على قتله، ألستِ القائلة: اقتلوا نَعثَلاً فقد كفر؟ فقالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، فأنشد عبيد: [من المتقارب]

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٤٩.

فمنكِ الرّياحُ ومنك المطرْ ... ومنك البَداءُ ومنك الغِيَرْ
وأنتِ أمرتِ بقتلِ الإمامِ ... وقلتِ لنا إنه قد كَفَرْ
فهبْنا أطعناكِ في قتله ... فقاتلُه عندنا مَن أَمَرْ
ولم يَسْقُطِ السقفُ من فوقنا ... ولم تَنكسِف شمسُنا والقمر
وقد بايع الناسُ ذا تُدْرَأ ... يُزيل الشَّبَا ويُقيم الصَّعَر
ويَلبسُ للحرب أوزارَها ... وما مَن وَفَى مثلُ مَن قد غَدَرْ

وقد ذكر الأبيات الطبري[1].

وقال سيف: حدثني عمرو بن محمد، عن الشعبي قال: أولُ مَن أجاب عائشة إلى الطَّلَب بدم عثمان عبد الله بنُ عامر الحضرميّ، وسعيد بنُ العاص، والوليد بنُ عُقْبة، وسائر بني أمية، وقدم عليهم عبد الله بن عامر بن كُرَيْز من البصرة، ويَعلى بن أمية من اليمن، واجتمع مَلَؤهم بعد نَظَرٍ طويل في مسيرهم إلى البصرة، وقالت لهم عائشة: إن هذا حدثٌ عظيم، فانهضوا فيه إلى إخوانكم بالبصرة، فقد كفاكم أهلُ الشام ما عندهم، لعل الله يُدرك لعثمان ثأرَه.

ذكر الأموال التي جَهّزوا بها الجيش

روى سيف عن أشياخه قال: قدم يعلى بن أمية من اليمن إلى مكة ومعه ستُّ مئة ألف ألف درهم، وست مئة بعير[2]، فأناخ بالأَبْطَح ـ وقيل: كان معه ست مئة ألف دينار زيادة على ما ذكرنا ـ وقدم ابنُ عامر من البصرة بأكثر من ذلك، واجتمع بنو أمية بالأبطح فقالت لهم عائشة: ما تَرون؟ فأشار كلّ واحدٍ بقَصْد جِهةٍ.

وقال عبد الله بن عامر بن كُريز: اقصدوا البصرة؛ فإن لي بها صنائع وأيادي، وقد كفانا معاويةُ الشام، فقالوا له: قاتلك الله، والله ما كنتَ لا بالمحارب ولا بالمسالم، هلا أقمتَ بها كما أقام معاوية بالشام؛ فنَكتفي بك، ونأتي الكوفة فنَسُدّ عليهم المذاهب، فلم ينطق ابنُ عامر بحرف، واتفق قَصْدُهم إلى البصرة.

---

(١) في تاريخه ٤/ ٤٥٩ .

(٢) في الطبري ٤/ ٤٥٠ ، والمنتظم ٥/ ٨٠ : ومعه ست مئة بعير وست مئة ألف.

واختلفوا في الجمل الذي ركبتْه عائشة، فقال الواقدي: قدم به يَعلى بن أمية من اليمن، اشتراه بثمانين ديناراً.

وقال الهيثم: جاء به معه عبد الله بنُ عامر من البصرة، اشتراه بمئتي دينارٍ، فدفعه إلى عائشة، وقيل: اشترته عائشة من رجل من عُرَيْنَة بست مئة درهم، وأخذته يدلُّ بها الطريق إلى البصرة، وسنذكره.

وقال خليفة بن خياط: الأصُّح أن يَعلى بن أمية اشتراه من اليمن بمئتي دينار، ولم يُرَ مثلُه.

وقال سيف: حدثني محمد وطلحة قالا: قدم يَعلى بن أمية من اليمن ومعه ست مئة بعير وست مئة ألف، فأناخ بالأبطح مُعَسكِراً، وقدم عليهم طلحة والزبير، فلقيا عائشة فقالت: ما وراءكما؟ فقالا: إنا تحمَّلنا هُرَّاباً من المدينة من غَوْغاء وأعراب، وفارَقْنا قوماً حَيارى، لا يَعرفون حقّاً ولا يُنكرون باطلاً، ثم قالوا: يا أمَّ المؤمنين، دعي المدينة، واشخَصي معنا إلى البصرة، فإن صَلُح هذا الأمر وإلا دَفَعنا بجهدنا، قالت: نعم.

فانطلقوا إلى حفصة، فقالت حفصة: رأيي [تَبَعٌ لرأي] عائشة، حتى إذا لم يَبق إلا الخروج قالوا: [كيف] نستَقِلُّ ولا مالَ معنا نتَجهَّز به؟ فقال يعلى بن أمية: معي المال والجمال فاركبوها، وقال ابن عامر كذلك، فنادى المنادي: إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن كان يُريد إعزازَ الإسلام، وقتالَ المحِلِّين، والطلبَ بثأر عثمان فليَخرُج، فخرجوا واستقلّوا سائرين.

وأرادت حَفصة الخروج، فأتى عبد الله بن عمر، فسألها أن تَقعُد فقعَدت وبعثتْ إلى عائشة: إن عبد الله مَنَعني، أو حال بيني وبين الخروج، فقالت: يَغفر الله لعبد الله.

وخرج المغيرة بن شعبة وسعيد بن العاص معهم مَرحلةً من مكة، فقال سعيد للمغيرة: ما الرّأي؟ قال: الرَّأيُ والله الاعتزال، فأيّهم أظفره الله أتيناه فقلنا: كان صَفوُنا معك، فَجَلسا.

وقال الطبري: وبعثت أمُّ الفضل ابنة الحارث امرأةُ العباس رجلاً من جُهينة يُدعى

ظفراً، فاستأجَرتْه على أن يَطوي البلاد ويأتي علياً بكتابها، فقَدِم على عليّ بكتاب أمّ الفضل بالخبر[١].

قلت: ليس في الصحابيات مَن كُنيتُها أمُّ الفضل سوى أم الفضل ابنة الحارث الهلالية، زوجة العباس بن عبد المطلب، وقد تقدَّمت وفاتُها[٢]، فإن كان الطبري أشار إليها فقد وَهم.

وقال الواقدي: قالت عائشة لابن عمر: تخرُجُ معنا؟ فقال: مَعاذ الله أن أدخل في الفتنة.

وذكر هشام: أن أم سَلَمة جاءت إلى عائشة فقالت لها: إن حجابَ الله عليك لم يُرفع، وما أنتِ يا هذه وهذا الأمر، وقد تنازعته الأيدي وتهافتَ فيه الرجال، وتسكينُه للمسلمين أصلح، فأبقِ على رسول الله من الافتضاح في زوجته، واتَّقِ دماً لم يُبح الله لك، فلما رأتها لا تُصغي إلى نُصحها قالت هذه الأبيات: [من الطويل]

نصحتُ ولكن ليس للنُّصح قابِلٌ ... ولو قبلتْ ما عنَّفَتْها العواذِلُ

كأني بها قد رَدَّت الحرب رحلها ... وليس لها إلا التَّرَحُّلُ راجِلُ

وقال الجوهري: قالت أمُّ سَلَمة لعائشة: قد جَمّع القرآنُ ذَيْلَكِ فلا تَنْدَحِيه، أي: لا تُوسِّعيه بالخُروج إلى البصرة، والنُّدْحُ بالضم: الأرض الواسعة[٣].

قلت: إلا أن الصحيح من الروايات أنه لم يكن بمكة في هذه السنة إلا عائشة وحفصة، وفي حفصة خلافٌ، وأن أم سلمة كانت بالمدينة، ويُحتمل أنها كتبت إلى عائشة بذلك، ولما عادت عائشة من البصرة إلى المدينة كانت تُنشد البيتين وتبكي.

وقال سيف والهيثم بنُ عديّ: لما خرجت من مكة خرج نساءُ أهل مكة معها إلى ذات عِرْق لوَدَاعِها، فلم يُرَ باكياً في الإسلام مثل ذلك اليوم، ويُسمَّى يوم النَّحيب.

وحكى سيف عن الأغرّ قال: لما أجمع القوم على الطلب بدم عثمان وقتال السبئيّة

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٥١.

(٢) في سنة أربع وعشرين.

(٣) الصحاح: (ندح).

قالت لهم عائشة: اخرجوا إلى المدينة، فرَدُّوها إلى البصرة، وقال لها طلحة والزبير: كيف نأتي أرضاً قد صارت لعلي؟! وله في رقابنا بَيعةٌ، فيحتجُّ علينا بذلك، ونحن في ست مئة بعير، ولا تقدرون على قتال الغَوغاء والأعراب والعَبيد، وقد افتَرَشوا أذرِعَتَهم مُستعدّين لأول واعِية.

فسارت إلى البصرة، وأمَّرت على الصلاة عبد الرحمن بن عتّاب بن أَسِيد، فكان يصلّي بهم في الطريق وبالبصرة حتى قُتِل، وخرج جميعُ بني أمية إلا مَن خَشَع.

وحكى الطبري عن أبي كثير، عن ابن عباس قال: خرج أهل الجَمل في ست مئة، معهم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق[1] وعبد الله بن صفوان الجُمَحي، فلما جاوزوا بئرَ مَيمون إذا بجَزورٍ قد نُحِرت ونَحرُها يَثعَبُ دماً، فتطيَّروا من ذلك، وأذَّن مروان بن الحكم ـ وهو كان المؤذّن ـ حين فَصَلوا من مكة، فلما أذَّنَ عند بئر ميمون جاء فوقف على طلحة والزبير فقال: على أيّكما أُسَلّم بالإمرة وأُؤذّن بالصلاة؟ فقال عبد الله بن الزبير: على أبي عبد الله، يعني أباه، وقال محمد بن طلحة: على أبي محمد يعني أباه، وبلغ عائشة فأرسلت إلى مروان: مالك يا مروان؟ أتُريد أن تُفرِّقَ أمرَنا؟ ليُصلِّ ابنُ أختي، فكان يُصلّي بهم عبد الله بن الزبير حتى قدموا البصرة.

وحكى سيف بإسناده عن محمد وطلحة قالا: لقي طلحة والزبير عبد الله بن عمر بمكة، فدعواه إلى الخروج معهم، فقال لهم: إني امرؤ من أهل المدينة، وقد زعمتم أنكم خرجتم في الطَّلب بدم عثمان، وقتل قَتَلَته، وما قتله إلا مَن أشار بقَتله، وهي زعيمتكم ورئيستكم، وأخوها الذي أخذ بلحيته، فهزّها حتى صارت أضراسُه تتقَلْقَل، وضربه بالمِشقَص فقتله، أما تخافون الله أيّها القوم، وتَدَعون هذه الأباطيل عنكم؟! وكيف أضرب في وجه علي بن أبي طالب بالسيف وقد عرفتُ فضلَه وسابقتَه ومَكانتَه من رسول الله ﷺ؟! وإنكما بايعتُما وسألتُماه القيامَ بهذا الأمر، ثم نَكثتُما ونقضتُما عهدَه بعدما جعل الله عليكما شهيداً، وإنه ما بدَّلَ ولا غيَّر، ولا حلّ ولا عقد، ولا حال عن سنة رسول الله ﷺ، ولا عمل عملاً يُخالف كتابَ الله، ولكنكم أيها القوم أطعنتم

(١) في الطبري ٤/ ٤٥٤ : عبد الرحمن بن أبي بكرة.

له، وكمنتم له العداوة بين ضُلوعكم، والله حَسيبُه عليكم، فلما سمعا كلامَه تركاه وذهبا.

ذكر مسير أمير المؤمنين خلفهم

حكى سيف بن عمر عن أشياخه قالوا: لما بلغ علياً خبرُهم، خرج من المدينة على تَعبيته التي كان يريد الخروجَ فيها إلى الشام، واستخلف على المدينة تَمّام بن العباس، وبعث إلى مكة قُثَم بن العباس، وخرج معه تسع مئةٍ من أهل مصر والكوفة والبصرة، فلقيه عبد الله بن سَلام، فأخذ بعِنان فرسه وقال له: يا أمير المؤمنين، لا تخرجْ منها، فوالله لئن خرجتَ منها لا يعود إليها سلطانُ المسلمين أبداً، وفي رواية: لا تعودُ إليها أبداً، فسَبُّوه، فقال علي: دعوه، فنِعمَ الرجل هو من أصحاب رسول الله ﷺ.

وسار حتى انتهى إلى الرَّبَذة ففاتوه، وجاء بخبرهم عطاء بنُ رِئاب مولى الحارث، فأقام بالرَّبَذة يأتَمرُ في أمره، وقد كان يَرجو أن يأخُذَهم في الطريق.

وقال أبو مِخْنَف: بعثت إليه أمُّ سَلَمة تقول: يا أمير المؤمنين، لولا أن الله نهاني عن الخروج من بيتي لخرجتُ معك، وقد أمرنا الله بالقرار في بيوتنا، وهذا ابني عُمر، هو أعزُّ عليّ من نفسي، خارجٌ معك، وشاهدٌ مَشاهدَك، فخرج عمر معه ولَزِمَه، فاستعمله على البحرين، ثم عزله واستعمل النعمان بنَ عَجْلان الزُّرَقيّ.

وقال سيف: حدثني خالد بن مِهران بإسناده، عن طارق بن شهاب قال: لما نزل علي عليه السلام الرَّبَذة صلّى الفجر بغَلَس، فلما انصرف من صلاته جاءه وَلَدُه الحسن، فأراد أن يتكلَّم فخنقَتْه العَبْرة، فقال له: يا بُنيّ تكلَّم، فقال: يا أمير المؤمنين، إني أمرتُك أمراً فعَصيتَني، وما أخوفني أن تُقتل غداً بمَضِيعَة ولا ناصرَ لك، فقال له علي: يا حسن، لا تزال تخِنُّ خَنينَ الجارية، ما الذي أمرتَني به فعَصَيتُك؟!

قال: قلتُ لك يومَ أُحيطَ بالرجل ـ يعني عثمان ـ اخرج من المدينة فيُقتل ولستَ بها فخالفتني ـ وفي رواية: فإن قُتل لم تكن بها فخالفتني.

وقلتُ لك يوم قُتل: لا تقبل البيعةَ حتى تأتيك وُفودُ العرب وبيعةُ أهل الأمصار فَعَصَيْتَني، ثم أمرتُك يومَ فعل هذان الرجلان ما فعلا ـ يعني طلحة والزبير ـ أن تجلسَ

في بيتك، فإن كان الفساد يكون على يد غيرك فعصيتَني.

فقال له: يا بنيّ، أما قولُك: لو خرجتَ من المدينة يوم أُحيط بعثمان، فوالله لقد أُحيط بنا كما أُحيط به، وأما قولُك: لا تقبلِ البيعةَ حتى تأتيك وُفودُ العرب، فإن الأمر أمرُ أهل المدينة، وهم الذين يُولُّون، وكرهتُ أن يَضيعَ هذا الأمر، وأُكرهتُ عليه.

وأما قولُك حين خرج طلحة والزبير؛ فإن ذلك وَهْناً على الإسلام، ووالله مازلتُ مقهوراً منذ وليت، لا أصل إلى شيءٍ مما يَنبغي.

وأما قولك إنني أجلسُ في بيتي، فكيف لي بما قد لَزِمَني؟ أتريدُني أن أكون كالضَّبُع اللدم، التي يُحاط بها ويُقال: دَبابِ دَبابِ ليست ها هنا، حتى يثقب عرقوبها ثم تُخْرَج، وإذا لم أنظُر في هذا الأمر فمَن يَنظُر فيه؟! فكُفَّ عني يا بُني.

ومعنى اللّدْم: أن صائدَ الضَّبُع يضرب الأرضَ بشيءٍ، فتخرج الضبعُ فتُصاد، وقال الجوهري: اللَّدْمُ: صوتُ الحَجَر والشيء يَقع على الأرض، وليس بالصوت الشديد، قال: ودَبابِ: ضربٌ من الصوت، ومنه الدَّبْدَبَةُ[1].

وقال سيف: حدثني سعيد بن عبد الله، عن ابن أبي مليكة قال: لما نزل أمير المؤمنين الرَّبَذَةَ قيل له: لا تَخَفْ فإن البصرة والكوفة في يديك، فقال: ويحكم، إني ابتُليتُ بثلاثةٍ ما رُمي عليهم أحد؛ ابتُليتُ بفتى العرب وأجودِهم طلحة، وبفارس العرب وأحرَبهم الزبير، وبأم المؤمنين أطوَعِ الناس في الناس.

ذكر ما جرى لطلحة والزبير وعائشة في طريق البصرة

قد ذكرنا خروجَهم من مكة، ووصولَهم إلى ذات عِرْق، ولما انفصلوا عن ذات عِرق لقيهم العُرَني.

فحكى الطبري عن صفوان بن قبيصة قال: حدثنا العُرَنيّ صاحب الجمَل ـ رجل من عُرَينة ـ قال: بينما أسير على جَملي إذ عرض لي راكب فقال: يا صاحبَ الجمل، أتبيعُ جملَك؟ قلتُ: نعم، قال: بكم؟ قلت: بألف درهم، قال: أمجنون أنت؟ جملٌ يُباع بألفِ درهم؟ قلت: نعم جملي هذا، قال: ولِمَ؟ قلت: ما طلبتُ عليه أحداً إلا أدركتُه،

(١) الصحاح: (لدم، دبب).

ولا طَلَبني أحدٌ إلا فُتُّه، فقال: لو تعلم لمن نُريدُه؟ قلت: لمن؟ قال: لأمِّك، قلت: إني تركتُ أمّي قاعدةً في بيتي ما تُريد بَراحاً، قال: إنما نُريده لأم المؤمنين عائشة، فقلت: خُذه بغير ثَمَن، فقال: لا، ولكن ارجع معنا إلى الرَّحْل، فرجعتُ فأعطَوني ناقةً مَهريّة، وزادوني ست مئة درهم أو أربع مئة، ثم قالوا لي: يا أخا عُرَينة، هل لك دلالة بالطريق؟ قلت: نعم، أنا أدَلُّ الناس، قالوا: فسِرْ معنا، فسرتُ بين أيديهم، فلا أمرُّ على ماءٍ ولا وادٍ إلا سألوني عنه.

حديث الحَوْأب

قال العُرَني: فسرنا حتى طرَقْنا ماءَ الحَوْأب، فنَبَحتنا كلابُه، فقالوا: أيُّ ماءٍ هذا؟ قلت: ماء الحَوْأب، قال: فصرخت عائشة بأعلى صوتها، وضربت عَضُدَ بعيرها فأناختْه وقالت: والله أنا صاحبةُ الحَوْأب طروقاً، ردُّوني ردُّوني ـ تقول ذلك ثلاثاً ـ وأناخوا حولها، وهم على ذلك وهي تأبى المسير، حتى إذا كانت الساعة التي أناخت فيها من الغد فَجاءها عبد الله بنُ الزبير فقال: النَّجاء النَّجاء، فقد أدرككم علي بن أبي طالب.

قال: فرحلوا وشتموني وانصرفتُ، فما سرتُ إلا قليلا وإذا بأمير المؤمنين علي ومعه ركْبٌ نحو ثلاث مئة، فلما رآني قال: عليَّ بالرّاكب، فأتيتُه فقال: أين لقيتَ الظَّعينة؟ قلت: في مكان كذا وكذا، وهذه ناقتُها، وبعثُهم جملي، قال: وركبتْه؟ قلت: نعم، وأعطوني ستَّ مئة درهم، ووصلنا الحَوْأب، ونبحتْها كلابُه وقالت كذا وكذا، فقال علي: هل لك دلالة بذي قار؟ قلت: نعم.

فسرتُ معهم إلى ذي قار، فلما جئناها نزل، وقام خطيباً على رَحْلِ جَمَل، فخطب وقال: قد رأيتُم ما صنع هؤلاء القوم وهذه المرأة، فقام إليه الحسن بن علي فبكى، فقال له علي: قد جئتَ تَخنُّ خنينَ الجارية، وذكر بمعنى ما تقدم.

وقال علي: يا بُنيّ، قُبض رسول الله ﷺ، وما أعلم أحداً أحقَّ بهذا الأمر منّي، فبايع الناس أبا بكر، فبايعتُ كما بايعوا، ثم هلك وبايعوا لعمر، فبايعتُ كما بايعوا، وما رأيت أحداً أحقّ بهذا الأمر مني، فجُعِلْتُ سهماً من ستة أسهم، فبايع الناس لعثمان، فبايعتُ كما بايعوا، ثم سار الناس إلى عثمان فقتلوه، ثم أتَوني طائِعين غير

مُكرَهين، فأنا مُقاتلٌ من خالفني بمَن اتَّبعني، حتى يَحكمَ الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين[١].

كذا وقعت هذه الرواية؛ أن مُعاتبةَ الحسن لأمير المؤمنين كانت بذي قار، وفي تلك الرواية بالرَّبَذَة، ويُحتمل أن الواقعتين كانتا في المكانَين. انتهى كلامُ الطبري في الحَوْأب.

وقد أخرج حديث الحَوْأب أحمد في «المسند» فقال: حدثنا يحيى، عن إسماعيل، عن قيس قال[٢]: لما أقبلت عائشةُ تُريد البصرة بلغت مياه بني عامر ليلاً، فنَبحت الكلاب، فقالت: أيُّ ماءٍ هذا؟ قالوا: الحَوْأب، قالت: ما أظنني إلا راجعة، فقال بعضُ من كان معها: بل تَقدَمين، فيراكِ المسلمون، فيُصلح الله بك ذات البَيْن، قالت: فإن رسول الله ﷺ قال لي ذات يوم: «كيف بإحداكُنّ إذا نَبحتْها كلابُ الحَوْأب؟».

وقال هشام بن الكلبي: لما قيل لعائشة: هذا ماء الحوأب خافت، وذكرت قولَ النبي ﷺ: «كيف بك إذا نبحتْك كلابُ الحوأب؟» وقالت: ردّوني، لا حاجةَ لي في المسير.

وفي رواية فقالت: وإني لَهيَهْ، وقد كانت سمعت النبي ﷺ يقول لنسائه وهنّ عنده: «أيّتكن تَنبَحُها كلابُ الحوأب؟».

فلما أصرّت على الرجوع أحضر طلحة والزبير خمسين رجلاً، فشهدوا أن هذا ليس بماء الحوأب، وأن العُرَنيَّ كذب، قال الشعبي: فهي أوَّلُ شهادة زُورٍ أُقيمت في الإسلام.

ولا خلافَ أن ماء الحوأب لبني عامر بين البصرة والحجاز، وأن عائشة مرَّت به.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٥٦ـ٤٥٨ .

(٢) في (خ): حدثنا يحيى بن إسماعيل بإسناده عن أبي سهلة. اهـ. وهذا الإسناد للحديث الذي قبل هذا في مسند أحمد (٢٤٢٥٣) ونصه: حدثنا يحيى، عن إسماعيل قال: حدثنا قيس، عن أبي سهلة (وهو مولى عثمان بن عفان)، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: ادعوا لي بعض أصحابي قلت: أبو بكر؟ قال: لا. قلت: عمر؟ قال: لا قلت: ابن عمك علي؟ قال: لا قلت: عثمان؟ قال: نعم فلما جاء قال: تنحَّي فجعل يُسارُّه ولون عثمان يتغير، فلما كان يوم الدار وحُصر فيها قلنا: يا أمير المؤمنين، ألا تقاتل؟ قال: لا، إن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً، وإني صابر نفسي عليه. اهـ. وأما الحديث المثبت فهو في المسند برقم (٢٤٣٥٤).

ذكر وصولهم إلى البصرة

حكى سيف عن أشياخه قالوا: كان علي عليه السلام في همٍّ من توَجُّه القوم، لا يَدري أين يأخذون، وكان إتيانُهم البصرةَ أحبّ إليه، لأن الكوفة بها رجالُ العرب وأشرافُهم، فقال له ابن عباس: إن الذي يَسرُّك من ذلك يَسوؤني، قال: ولمَ؟ قال: لأن الكوفة فُسطاط الإسلام، وبها أعلامُ الناس، وفيهم من تَسمو هِمَّتُه إلى الأمر، فربما فسد الأمر أو مال إليهم، فقال علي: الأمر يَختصّ بأهل السَّوابق، فلا يُزاحمهم غيرُهم.

وقال سيف: حدثني محمد وطلحة قالا: لما كان القوم بفناء البصرة، لقيهم عمير ابن عبد الله التميمي، فقال لعائشة: يا أمَّ المؤمنين، أما تَتَّقِين اللهَ في فِعلك هذا؟ فقالت: إليك عني يا تميمي، فقال لها: أنشدك الله إذا أنت لا تهوّني هذا الأمر أن تَقدَمي على قوم ولم تُراسِليهم أو أحداً منهم، فقالت: جئتَ الآن بالرأي، فقال: أرسلي إليهم عبد الله بن عامر، فإن له فيهم الصَّنائع، فكتبت كُتباً إلى رجالٍ من البصرة؛ منهم الأحنف بن قيس وصَبْرة بن شَيْمان وغيرهما، ومضت حتى إذا كانت بالحُفَيْر أقامت تنتظر الجواب.

قال سيف: ولما بلغ عثمان بنَ حُنَيف عاملَ علي عليه السلام على البصرة قال لعمران بن الحُصَين وأبي الأسود الدِّيلي: انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمَها، وإلى هؤلاء القوم فاعلموا علمَهم، فخرجا حتى انتهيا إليها وهي بالحُفَيْر، فاستأذنا عليها فأذِنت لهما، فدخلا وسلّما وقالا: إن الأمير أرسلنا إليك، نسألُك عن مسيرك هذا، فهل أنت مُخبِرتنا؟ فقالت: أمثلي يسير بالأمر المكتوم؟

إن الغَوْغاء من أهل الأمصار ونُزّاع القبائل غَزَوْا حريمَ رسول الله ﷺ، وأحدثوا فيه الأحداث، وآوَوْا فيه المحدثين، واستوجبوا لعنةَ الله ورسوله، مع ما نالوا فيه من قتلِ أمير المؤمنين، واستحلُّوا الدّمَ الحرام، والشهرَ الحرام، وانتهبوا المالَ الحرام، ومزَّقوا الأعراض، وقتلوا إمامَ المسلمين من غير تِرةٍ ولا حَدثٍ ولا عُذرٍ، وأقاموا في دار قوم كارهين لمقامهم، ضارِّين غير نافِعين، لا يَقدرون على الامتناع، ولا يأمَنون على النفوس والأموال، فخرجتُ في المسلمين أُعلمهم ما أتى هؤلاء القوم، وما فيه

الناس وراءنا.

ثم قرأت: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[النساء: ١١٤]، فالنهوض في الإصلاح مما أمر الله به ورسوله، فهذا شأنُنا الذي قدمنا له؛ نأمركم بمعروفٍ ونحضُّكم عليه، وننهاكم عن مُنكرٍ ونحُثّكم على تغييره والسلام.

قال سيف: فخرجا من عندها، فأتيا طلحة فقالا: ما أقدمَك؟ قال: الطلبُ بدم عثمان، قالا: ألم تُبايع علياً؟ قال: بلى واللُّجُّ على عُنقي ـ يعني السيف ـ وما أستقيلُه البيعة إن خلّى بيننا وبين قَتَلة عثمان، فقالا له: أتركتم قتلةَ عثمان بالمدينة، وقصدتُم العراقَ لإفساده وتوهينِ أمر أمير المؤمنين؟! أما تستحيون من هذا الفعل، وتخافون الله، ألستم المهاجرين وأصحابَ رسول الله ﷺ؟.

ثم انصرفا عنه وأتيا الزبير، فقالا له مثلَ ما قالا لطلحة، وردُّوا عليه مثل ما ردوا على طلحة، ثم رجعا إلى عائشة فودعاها، وقالا لها مثلَ ما قالا لطلحة والزبير، فودَّعت عمران، وقالت عائشة: يا أبا الأسود، إياك أن يَقودَك الهوى إلى النار، فقد قال الله: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ الآية [النساء: ١٣٥] فقال لها أبو الأسود: لو اتّعظتِ بما وعظتيني للزمتِ بيتَك أو منزلك، ولم تهتكي لرسول الله ﷺ ستراً، وقد عرفتِ محلَّك منه، وموضعَك من قبله، وقد أدَّبك بأحسن ما أدَّبَه الله به، ألم يأمركنَّ الله يا أزواج رسول الله بالقرار في البيوت؟ فقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾[الأحزاب: ٣٣]، فقالت: اغرُبا عني، فخرجا من عندها، ونادت بالرّحيل.

ومضى عِمران وأبو الأسود إلى عثمان بن حُنَيف، فبَدَر أبو الأسود عمران فقال: [من الرجز]

يا بنَ حُنَيفٍ قد أتيتَ فانفِر
وطاعِن القومَ وجالِدْ واصبِر
وابرُزْ لهم مُستَلئِماً وشمِّر

فقال عثمان بن حُنيف: إنا لله وإنا إليه راجعون، دارت رحا الحرب على الإسلام وربّ الكعبة، ثم قال لعمران بن حُصين: ما ترى؟ قال: إني قاعِدٌ فاقعُدْ، فقال عثمان: لا والله، بل أمنعُهم حتى يأتيَ أميرُ المؤمنين، فقال عمران: بل يَحكم الله بما يُريد.

ثم انصرف عمران إلى بيته، وقام عثمان في أمره، فأتاه هشام بن عامر فقال له: إن هذا الأمر الذي تَرومُ يصير إلى ما تَكره، وإن هذا فَتْقٌ لا يُرتَق، وصَدْعٌ لا يَنْجَبر، فسامِحْهم حتى يأتيَ أمرُ علي ولاتحادّهم، فقال: لا والله.

ونادى عثمان بن حُنَيف في الناس، فلبسوا السلاح، واجتمعوا إلى المسجد الجامع، وأراد عثمان أن يَختبر أهلَ البصرة، فدسَّ رجلاً كوفيّاً خُدَعة فقال: أيّها الناس، أنا ابنُ العَقَديّة الحُميْسي، إن هؤلاء القوم إن كانوا جاؤوكم خائفين، فقد جاؤوكم من المكان الذي تأمَنُ فيه الطيرُ والوحش، وإن كانوا طالبين بدم عثمان فما نحن قَتَلَة عثمان، أطيعوني ورُدُّوهم من حيث جاؤوا.

فقام الأسود بن سريع السَّعديّ فقال: أوَ زعموا أنّا قتلةُ عثمان؟! إنما جاؤوا إلينا ـ أو فَزِعوا إلينا ـ يَستعينون بنا على قَتَلةِ عثمان، ثم حَصَب الناسُ ابن العَقَديّة وتحاصبوا، فعرف عثمان أن لهم بالبصرة ناصراً ممن معه، فكسره ذلك.

وأقبلت عائشة ومَن معها حتى انتَهوا إلى المِرْبَد، فدخلوا من أعلاه، وأمسكوا ووقفوا، حتى خرج عثمان ومَن معه، وخرج إلى عائشة من أهل البصرة مَن أراد.

وتكلَّم طلحة، وكان في مَيمنة المِرْبَد، وعثمان بن حُنَيف في ميسرته يَسمع، وأنصت الناس، فحمِد اللهَ طلحةُ وأثنى عليه، وذكر عثمان وفضْلَه، والمدينةَ وما استحلَّ منها، ودعا إلى الطّلَب بدمه وقال: الخليفةُ المظلوم، وإن الطلبَ بدمه حدٌّ من حدود الله، فإن فعلتم أصبْتُم وعاد أمرُكم، وإن لم تفعلوا لم يَقُم لكم [نظام]، ولم يَثبُت لكم سُلطان، فقال مَن في مَيمنة المِربد: صدق وبَرّ، وقال مَن في مَيسرته: كذب وفَجَر وغَدرَ.

وفي رواية أن طلحة والزبير خطبا وقالا ذلك، وأن مَن في ميمنة المِربد قال: صدقا وبرَّا، ومَن في ميسرته قال: كذَبا وفجرا وغَدَرا، إنهما قد بايعا أمير المؤمنين وجاءا يقولان ما يقولان.

ثم تحاصَب الناس وأرهجوا، فتكلَّمت عائشة وكانت جَهْوَريّة الصوت، فحمدت الله وأثنت عليه، وقالت: كان الناس يَتجنَّون على عثمان ويُزرُون على عُمّاله، ويأتوننا بالمدينة فيَستشيروننا فيما يُخبروننا عنهم، فننظر في ذلك، فنجد عثمان برّاً نقيّا وفيّاً، ونجدهم فَجَرةً غَدَرةً كَذَبة، فلما قَوُوا على المكاثرة اقتحموا عليه داره فقتلوه، وإن مما ينبغي لكم أخذ قَتَلَته، والطلب بثأره، وإقامة كتاب الله، ثم قرأت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٢٣].

فافترق أصحاب عثمان بن حُنَيف فرقتين؛ فرقة قالت: صدقتْ وبرَّتْ، وجاءت بالحق وأمرت بالمعروف، وقال الآخرون: كذبتم، والله ما نعرف ما تقولون، فتحاصَبوا وأرْهجوا، فلمّا رأت عائشة ذلك انحدرت، وانحدر أهلُ الميمنة مفارقين لعثمان، حتى وَقفوا بالمربد في موضع الدَّبّاغين، وبقي أصحابُ عثمان على حالهم حتى تحاجَزوا، ومال بعضُهم إلى عائشة، وبقي بعضهم مع عثمان على فم السّكّة، فوقف عليها.

قال سيف فيما رواه عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد قال: وأقبل جارية ابن قُدامة السعديّ فنادى: يا أمّ المؤمنين، والله لَقتلُ عثمان أهونُ من خُروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عُرضةً للسلاح، إنه قد كان لك من الله سِترٌ وحُرمة، فهتكتِ سترَك، وأبحتِ حُرمتك، إنه مَن يرى قتالَك فإنه يرى قَتْلَك، فإن كنتِ أتيتنا طائعةً فارجعي إلى منزلك، وإن كنتِ مُستكرهةً فاستعيني بالناس.

قال: وخرج غلامٌ شاب من بني سعد، فصاح بطلحة والزبير: أما أنت يا زبير فحَواريُّ رسول الله ﷺ، وأما أنت يا طلحة فوَقَيته بيدك يوم أحُد، وإني أرى أُمَّكما معكما، فهل جئتُما بنسائكما؟ قالا: لا، قال: فما أنا منكما في شيءٍ، واعتزل، ثم قال: [من الكامل]

صُنتُم حَلائلكم وقُدْتُم أُمَّكم ... هذا لعَمَري قِلَّةُ الإنصافِ
أُمِرتْ بجَرِّ ذيولها في بيتها ... فهَوَتْ تشُقُّ البِيدَ بالإيجافِ
غَرَضاً يقاتلُ دونَها أبناؤها ... بالنَّبْل والخَطِّيِّ والأسيافِ
هُتِكت بطلحةَ والزبير سُتورُها ... هذا المُخَبّر عنهم والكافي

قال سيف: وأقبل غُلامٌ من جُهَينة على محمد بن طلحة ـ وكان ابنُ طلحةَ رجلاً عابداً ـ فقال: أخبرني عن دم عثمان، فقال: نعم، هو ثلاثة أثلاث، ثلث على صاحبة الهَودَج ـ يعني عائشة ـ وثلث على صاحب الجمل الأحمر، وثلثٌ على علي بن أبي طالب، فضحك الغلام وقال: لا أُراني إلا على ضلال، ولحق بعلي عليه السلام، وقال الغلام في ذلك شعراً: [من المتقارب]

سألتُ ابنَ طلحةَ عن هالِكٍ ... بجَوفِ المدينة لم يُقبَرِ
فقال ثلاثة رَهْطٍ هم ... أماتوا ابنَ عفان فاستَعْبِرِ
فثلْثٌ على تلك في خِدرِها ... وثلثٌ على راكب الأحمرِ
وثلثٌ على ابن أبي طالبٍ ... ونحن بداوِيَّةٍ قَرْقَرِ
فقلتُ صدقتَ على الأوَّلَيْنِ ... وأخطأتَ في الثالث الأزهرِ

قلت: إنما ضحك الغلامُ على محمد بن طلحة لأنه عَنى بقوله صاحب الأحمر الزبير، ونَسي أباه طلحة[1]، وبنو أمية ما نسبوا قتل عثمان إلا إلى طلحة، ولهذا قتله مروان بن الحكم يوم الجمل لما نذكر.

قال سيف: وأقبل حُكيم بنُ جَبَلة على خيل عثمان بن حُنَيف فأنشب القتال، وأشرع أصحابُ عائشة رماحَهم، وأمسكوا بعضَ التَّمسُّك فلم يَنْتَهِ، فاقتتلوا على فم السّكة، وأشرف أهلُ الدُّور ممن كان له في أحد الفريقين هوًى، فرمَوا الآخرين بالحجارة.

وأمرت عائشةُ أصحابها فتيامنوا، حتى انتهوا إلى مقبرة بني مازن، فوقفوا عندها مليّاً، وثاب إليهم الناس، فحجز الليل بينهم، ورجع عثمان إلى القصر، ورجع الناس إلى قبائلهم.

وجاء أبو الجَرْباء ـ أحدُ بني عثمان التميمي ـ إلى عائشة وطلحة والزبير، فأشار عليهم بالنزول في مكانٍ أمثل من مكانهم فقَبلوا رأيَه، فساروا من مقبرة بني مازن، فأخذوا على مُسَنّاة البصرة من قِبل الجبّانة، حتى انتَهوا إلى الزّابُوقة، [ثم أتوا] مقبرةَ بني حِصن فنزلوا بها، وباتوا على تعبية، وأصبحوا على القتال.

(١) صرّح سيف ـ كما ذكر الطبري ٤/ ٤٦٥ ـ بأن المقصود بصاحب الأحمر هو طلحة.

وغدا حُكيم بن جَبَلة، وبيده الرُّمح ويُبربِر، وهو ينال من عائشة، فقال له رجل من عبد القيس: مَن هذه التي تسُبُّ؟ قال: أمّك، قال: عائشة؟ قال: نعم، قال: يا ابنَ الخبيثة، ألأمّ المؤمنين تقول هذا؟ فطعنه فقتله، وقتل امرأة أخرى بهذا السَّبب، واقتتلوا عامَّةَ النهار، وقيل إلى الزَّوال، وكَثُرت القَتلى والجِراحات في الفريقين، ومُنادي عائشة يَدعوهم ويُناشِدُهم الله أن يَكُفُّوا ولم يَفعلوا، فلما كان في آخر النهار كَثُرت القتلى في أصحاب عثمان بن حُنَيف، وعضّتْهم الحرب، فسألوا أصحابَ عائشةَ الصُّلحَ والمهادنة، فأجابوهم.

وكانت هذه الوقعة في شهر ربيع الآخر، سنة ست وثلاثين، لخمس ليالٍ بقين منه، واصطلحوا على أن يَكتبوا بينهما كتاباً إلى المدينة، ويبعثوا رسولاً إليها، ومَضمون الكتاب: إن كان طلحة والزبير أُكرِها على البيعة لأمير المؤمنين؛ خرج عثمان من البصرة فخلّاها لهم، وإن لم يكونا أكرِها، رجع طلحة والزبير وعائشة عن البصرة، وخَلّوها لعثمان بن حُنَيف، وتواعدوا وتعاقدوا وتعاهدوا على ذلك، وبعثوا بالكتاب مع كعب بن سُور قاضي البصرة، وكان قد قَعَد في بيته، وطيَّن بابَه، واعتزل القوم، فجاءت عائشة بنفسها إليه وأخرجتْه لما نذكر.

قال سيف: وصورة الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اصطلح عليه طلحة والزبير ومَن معهما من المسلمين، وعثمان بن حنيف ومَن معه من المؤمنين... وذكر بمعنى ما ذكرنا.

وخرج كعب حتى قدم المدينة يوم جمعة، وأقام عند المنبر وقال: إني رسولُ أهلِ البصرة إليكم، هل أُكرِه طلحةُ والزبير على بيعة علي أو أتيا طائعَيْن؟ فأرَمَّ القومُ؛ إلا ما كان من أسامة بن زيد، فإنه قام فقال: لم يُبايعا إلا مُكرهَين، فأمر به تَمَّامُ بنُ العباس، فداسَه سهل بنُ حُنَيف والناس حتى كادوا يَقتلونه، وثار صُهيب بنُ سِنان وأبو أيُّوب الأنصاري ومحمد بن مَسلمة وجماعة من الصحابة خافوا أن يَقتلوا أسامة، فقالوا: اللهمَّ نعم، وأخذ صُهيب يدَه فأدخله منزلَه، وقال له: أما علمتَ أن أمَّ عامر جائعة، أما وَسِعَك ما وَسِعَنا من السّكوت؟ قال: ما كنتُ أظنُّ أن الأمر يَترامى إلى ما رأيت، أو يُفضي إلى هذا.

وعاد كعب إلى البصرة، وبلغ علياً الخبر، فكتب إلى عثمان بن حُنَيف يَلومُه ويُعَجِّزُه ويقول: والله ما أُكرِها، ولقد بايعا طوعاً، فإن كانا يُريدان الخلع فلا عُذرَ لهما، وإن كانا يُريدان غير ذلك نظرنا.

وقدم كعب إلى البصرة، وقدم كتابُ علي إلى عثمان، فأخبر كعب الناسَ بما رأى، فأرسلت عائشة إلى عثمان تقول: اخرج عنا فقد أقرَّ الجمُّ الغَفِير بالحقّ، فاحتجَّ عليهم بكتاب علي وقال: هذا كتابُ أمير المؤمنين، وقد جاء أمرٌ آخر، وما لكم عندنا سوى السيف.

فأمهل طلحةُ والزبير، حتى إذا كانت ليلةٌ مُظلمةٌ ذاتُ رياح، قصدا المسجد بالرجال والسّلاح، وكان عثمان يُؤخّر الصلاة فقَدَّم القومُ عبد الرحمن بن عَتَّاب، وجاء عثمان في جماعةٍ من أصحابه، فدخل في الصلاة، فوضع فيهم أصحابُ طلحة والزبير السِّلاح، فقتلوا منهم أربعين رجلاً، وأخذوا عثمان قبضاً، وأخرجوه من المسجد وقد نَتَفوا رأسه ولحيتَه فما أبقوا فيه شعرة، وأرسلوا إلى عائشة يَستطلعون رأيَها فيه، فأرسلت إليهما: خَلُّوا سبيلَه ولا تَحبسوه، وليذهب أين شاء.

وفي رواية الطبري عن أبي مِخنَف قال: لما أخذوا عثمان بن حُنَيف أرسلوا أبانَ بن عثمان إلى عائشة يَستشيرونها في أمره، فقالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة كانت عندها: نَشدتُك الله يا أمّ المؤمنين في عثمان وصُحبتِه لرسول الله ﷺ، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه.

وقال مُجاشع بن مسعود: اضربوه، وانتِفوا شعرَ لحيته ورأسِه وحاجبيه وأشفار عينيه، واضربوه أربعين سَوطاً واحبسوه، ففعلوا به ذلك[1].

وروي عن الزهري أنه قال: إنما لم يَقتلوا عثمان بن حُنَيف لأنهم خافوا غَضَبَ الأنصار بالمدينة على أهاليهم أن يُقتِّلوهم.

رجع الحديث إلى سيف بن عمر، عن محمد وطلحة قالا: وأصبح طلحة والزبير وبيتُ المال في أيديهما، فبعث إليهما حُكيم بن جَبَلة وهو في جمعٍ كثير يقول: أطلِقا

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٦٨ـ٤٦٩ وما قبله وما بعده منه.

عثمان، فأطلقاه، فخرج عثمان،ومضى لِطِيَّته، فوافى علياً بذي قار وهو على تلك الحال، فقال: يا أمير المؤمنين، بعثتَني ذا لحية فجئتُك أمرد، فقال: بعثتُك شيخاً وجئتَنا شاباً، أصبتَ أجراً وخيراً، ودعا له.

وقال الهيثم: لم يكتبوا كتاباً إلى المدينة، ولم يَبعثوا رسولاً؛ لأن أمير المؤمنين ما أقام في طريق البصرة مدةً يُرسلون فيها رسولاً ويعود إليهم بالجواب، وإنما اتّفقوا مع عثمان أن يُوقف الأمر حتى يَرَوا ما يكون من أمير المؤمنين، ولا يَعترض أحدٌ لأحد، وتكون دارُ الإمارة والمسجد وبيت المال بيد عثمان، ويترك طلحة والزبير وعائشة أين شاؤوا.

فلما كتبوا كتاب الصُّلح على هذه القاعدة خلا طلحة بالزبير، فقال له طلحة: والله لئن قَدِم ابنُ أبي طالب ليَأخذنَّ بأعناقنا، فاتفقا على تَبييتِ عثمان والغدرِ به، فهجموا عليه، فأخذوه من المسجد غيلة وهو غار. فقال لهما: وَيحَكما، أغَدراً بعد العهود والمواثيق والأيمان؟ فقالا خِفنا من ابن أبي طالب، وأرادا قتلَه فقال لهما: والله لئن شاكني أحدٌ منكم بشوكة لَيَضعنَّ أخي سَهل بنُ حُنَيف السيفَ في المدينة في آل طلحة والزبير، وليَقتُلنّ أولادَكما، ويَسبي حريمَكما، فكفّا عنه، وقالا لعائشة: ما نَصنع به؟ فقالت: أطلِقوه، وفي رواية: انتِفوا رأسَه وشعرَ وَجهه، ففعلوا.

وأصبح حُكيم بن جَبَلة ومَن تبعه من عبد القيس، ومَن نزع إليه من ربيعة، [فانتهى بهم إلى الزَّابوقة عند دار الرِّزق] فقالت عائشة: لا تقاتلوا إلا مَن قاتلكم، ونادَوا: مَن لم يكن من قَتلَةِ عثمان فليَكفُفْ عنا، فأنشب حُكيمٌ القتال وهو يَنال من عائشة.

وكان مع حُكيم بن جَبَلة ثلاثة: ذَرِيح بحِيال الزبير، وابن المحرِّش بحيال عبد الرحمن بن عتّاب، وحُرْقوص بحيال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وحكيم بن جبلة بحيال طلحة، فحمل عليه طلحة في ثلاث مئة رجل، وحُكيم يضرب بسيفه ويقول: [من مجزوء الرجز]

أضـــرِبـــهـــمُ بـــالـــيـــابـــس

ضـــــربَ غـــــلامٍ عـــــابِـــــس

مـــن الـــحـــيـــاةِ آيـــس

فـــي الـــغُـــرُفـــات نـــافِـــس

فضرب رجلٌ من أصحاب طلحة رِجْلَ حكيم فأطنَّها، فحَبا حتى أخذها، ورمى بها نحو الرجل الذي قطعها فأصاب عينيه، ثم أتاه حكيم فقتله وقال: [من مجزوء الرجز]

يـــا فَـــخْـــذ لـــن تُـــراعـــي

إنّ مـــعـــي ذِراعـــي

ثم وقع، فمرَّ به رجل وهو رَثيث، ورأسُه على آخره، فقال: مالك يا حكيم؟ فقال: قتلتُ، فاحتمله وضمَّه في سبعين من أصحابه، فتكلّم يومئذٍ، وإن السيوف لتَأخُذُه وهو قائمٌ على رِجلٍ واحدة ما يتتعتع، وأشار إلى طلحة والزبير: إنا خلَّفنا هذين، وقد بايعا أميرَ المؤمنين وأعطياه الطاعة، ثم أقبلا مُخالفَيْن محاربَيْن، يطلبان دمَ عثمان، فناداه مُنادٍ: يا حكيم، جَزِعتَ حين عَضَّك نَكالُ الله أنت وأصحابك بما ركبتم من الإمام المظلوم، وفرَّقتم الجماعة، وأصبتُم الدِّماء، وذكر كلاماً طويلاً.

وقُتل ذَريح ومَن معه، وأفلت حُرقوص بنُ زهير في نفرٍ من أصحابه، فلجؤوا إلى قومهم بني سعد فحمَوْهم، ونادى مُنادي طلحة والزبير: ألا مَن كان فيهم من قبائلهم من غزا عثمان بالمدينة فليأتِنا بهم، فجيءَ بهم فقُتلوا، ولم يُفلت من القوم إلا حُرقوص؛ منعه بنو سعد، فطُلب منهم فغضبوا، وغضبت عبدُ القيس حين غضب بنو سعد لمن قُتل منهم بعد الوَقعة، مَن كان لَجأ إليهم مع طاعتهم لأمير المؤمنين.

وقال هشام: كان حُكيم بن جَبَلة من ربيعة، وكان شجاعاً يحمل على القوم ويقول: وَيحك يا زبير ويا طلحة، صُنتُما نساءكما في الخدور، وأبرزتُما عِرسَ رسول الله للحرب والحرور؟!

ولما قُتل عَزَّ قتلُه على عبد القيس وبني سعد، فخرجوا من البصرة في ستّة آلاف ينتظرون قُدوم علي عليه السلام. ولما قَتل طلحة والزبير الغوغاء ممن اتّهموه بقتل عثمان، خرج الباقون مع بني سعد وعبد قيس، فقعدوا على طريق العراق للقاء أمير المؤمنين.

وقال سيف عن محمد وطلحة: وكتب طلحة والزّبير إلى أهل الشام يُخبرونهم بما صنعوا بقتَلَة عثمان، ويُحرِّضونهم على القيام معهم، ويقولون: قَتَلْنا من قتلَةِ عثمان ست مئة إلا واحداً ـ يُشيرون إلى حُرقوص ـ ونحن في طَلَبه، وبعثوا بالكتاب مع سَيَّار العِجلي، وكتبوا إلى أهل الكوفة بمثل ذلك، وبعثوا بالكتاب مع مُظفَّر بن مُعرّض الأسدي، وكتبوا إلى اليمامة مع الحارث السَّدوسي، وعليها سَبْرة بن عمرو العنبري، وكتبوا إلى أهل المدينة، وبعثوا به مع جعونة بن قُدامة القُشيريّ.

وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة كتابين؛ أحدهما خاص والآخر عام.

فأما الخاص فقال الطبري، عن الشعبي قال: كتبت عائشة إلى زيد بن صُوحان: من عائشة ابنة أبي بكر، أم المؤمنين، وحبيبة رسول رب العالمين، إلى ابنها الخالص زيد ابن صُوحان، أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم علينا لتَنصُرنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل فخَذِّل الناسَ عن علي بن أبي طالب.

وأما كتابُها العام فمضمونُه إلى أهل الكوفة: أما بعد، فإني أذكّركم الله والإسلام، أقيموا كتاب الله واعتصموا بحَبله، وإنا قَدِمنا البصرة، فدَعَونا أهلَها إلى كتاب الله، فأجابنا الصالحون، واستقبلنا الغَوغاء بالسلاح، وقاتلونا فنَصَرنا الله عليهم، فقتَلْنا قتلَةَ عثمان، ولم يُفلت منهم إلا واحدٌ ـ تُشير إلى حُرقوص ـ وذكرت كلاماً طويلاً حاصِلُه التَّخذيل عن أمير المؤمنين والتقاعد عنه، فما أجابها أحدٌ منهم بشيء.

قال الطبري: وأما زيد بن صُوحان فكتب إليها: من زيد بن صُوحان إلى عائشة بنت أبي بكر، أما بعد، فإن الله أمرك أن تلزمي بيتك، وأمَرنا أن نُقاتل، فتركتِ ما أُمرت به، ونهيتِنا أن نفعل ما أُمِرنا، فإن اعتزلتِ هذا الأمر وعُدتِ إلى بيتك، وإلا قاتلناك حتى ترجعي إلى الموضع الذي أُمرتِ بالقرار فيه[1].

ولما بلغ علياً وهو بالثعلَبيّة قتلُ حُكَيم بن جَبَلة، استرجع وعزَّ عليه.

واختلفوا في قاتله على قولين؛ أحدهما: سُحيم الحُدَّاني، والثاني يزيد بن الأَسْحَم الحُدَّاني، وُجِدا قتيلَين قد قتل كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه.

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٧٦ـ٤٧٧ ، ٤٧٢ ـ٤٧٣ .

وحكى الطبري عن أبي المَليح قال: لما قُتل [حكيم بن] جَبلة أرادوا أن يَقتلوا عثمان بن حُنَيف فقال لهم: أما إن أخي سَهل بن حُنَيف والٍ على المدينة، فإن قتلتموني انتصر، فخَلّوا سبيلَه[1].

وقال ابن عبد البرّ: لما قدمت عائشة البصرة أرسلت إلى الأحنف بن قيس فلم يأتها، فأرسلت إليه ثانياً تقول: عَقَقْتَ أمَّك؟! فأتاها فقالت له: وَيحك يا أحنف، بم تعتذر غداً إلى الله من تركك جهاد قتلَةِ عثمان؟ فقال لها: ما كبرت السنّ، ولا طال العهد، ولعَهدي بك عام أوّل تنالين من عثمان، وتأمرين بقتله، وهذا قولك اليوم، لا آخذ بأمرك وأنت راضية وأَدَعهُ وأنت ساخطة، ثم اعتزل الفريقين، ولم يقاتل مع أحد منهم.

وقال الهيثم بن عدي: قدم الأحنف بن قيس المدينة وعثمان محصور في داره، وكان الأحنف يُريد الحج، قال: فأتيتُ طلحة والزبير فقلتُ: ما أرى هذا الرجلَ إلا مقتولاً، فما تأمراني؟ فقالا: عليك بعلي، فقلت: أترضَياه؟ قالا: نعم، فأتيتُ مكة، فأقمت الحج، وبلغني قتلُ عثمان، فأتيتُ عائشة وهي بمكة، فقلت: مَن تأمريني أن أُبايع؟ قالت: علياً، قلت: أتَرضينَه؟ قالت: نعم، فعدتُ إلى المدينة، فبايعتُ علياً، ثم عُدتُ إلى البصرة إلى أهلي، فما شعرتُ إلا بعائشة وطلحة والزبير قد قدموا، قال: فأتيتُهم فقلت: ما الذي أقدمكم؟ قالوا: نَستنصر بكم على دم عثمان فإنه قُتل مَظلوماً، فقلت: ألستُم بايعتم وقلتم: بايعه فإنا نرضى به؟ قالا: بلى، ولكنه بدَّل، فقلت: ومتى كان هذا؟ والله لا أقاتل ابنَ عمّ النبي ﷺ، ولا أقاتلكم ومعكم أمّ المؤمنين، واعتزل بالجَلْحاء على فرسخين من البصرة ومعه زُهاءُ ستةِ آلاف.

ذكر مسير أمير المؤمنين علي إلى البصرة

روى سيف عن أشياخه قالوا: لما أتى علياً عليه السلام خبرُ طلحة والزبير وعائشة وهو بالمدينة، وأنهم قد ساروا نحو العراق، خرج غُرَّةَ ربيع الأول مبادراً، وهو يرجو أن يُدركهم فيَرُدَّهم، فلما نزل الرَّبَذَة أتاه الخبرُ أنهم قد أمْعنوا نحو البصرة، فسُرِّي عنه، وقال: إن أهل الكوفة أشدّ لي حباً، وفيهم فرسانُ العرب وأعلامُهم، فكتب

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٧٤.

إليهم: إني قد اخترتكم على أهل الأمصار، وإني على الأثر.

وحكى الطبري عن [محمد بن] عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه قال: كتب علي إلى أهل الكوفة: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى سادات أهل الكوفة، أما بعد، فإني قد اخترتُكم، واخترتُ النُّزولَ بين ظَهرانيكم؛ لما أعرف من مودَّتِكم وحبّكم لله ورسوله، فمن جاءني ونصرني فقد أجاب الحقَّ وقضى ما عليه.

قال ابن أبي ليلى: بعث بالكتاب مع محمد بن أبي بكر ومحمد بن عوف، وقيل: محمد بن جعفر، فجاء الناس إلى أبي موسى يَستشيرونه في الخروج، فقال أبو موسى: أما سبيلُ الآخرة فأن تُقيموا، وأما سبيلُ الدنيا فأن تَخرجوا، وأنتم أعلم، وبلغ المحمَّدَيْن فأتيا أبا موسى فأغلظا له، فقال: أما والله إن بيعة عثمان في عُنقي وفي عُنق صاحبكما الذي أرسلكما، وإن أرادنا أن نُقاتل معه لا نُقاتل حتى لا يَبقى أحدٌ من قَتَلَةِ عثمان إلا قُتل.

فانطلقا إلى علي، فوافياه بذي قار، فأخبراه الخَبَر، فقال علي للأشتر ولعبد الله بن عباس: اذهبا إلى أبي موسى، فقدِما عليه وكلّماه، واستعانا عليه بأناس من أهل الكوفة، فأجاب بنحو ما أجاب في الأول، وذكر خُطبة طويلةً منها:

أيها الناس إن أصحاب رسول الله ﷺ الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله ورسوله ممّن لم يصحبه، وإن لكم علينا حقاً فأنا مُؤدِّيه إليكم، كان الرأي أولاً أن لا تستخِفّوا بسلطان الله، ولا تجترؤوا على الله، وكان الرأي الثاني أن تأخذوا مَن قَدِم عليكم من أهل المدينة، فتردّوهم إليها حتى يَجتمعوا، فهم أعلم بمَن تصلح له الإمامة منكم، ولا تَكلَّفوا الدخولَ في هذا، فأمّا إذا كان ما كان فإنها فتنةٌ صَمَّاء، النائم فيها خيرٌ من اليقظان، واليقظان فيها خيرٌ من القاعد، والقاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الرّاكب، فكونوا جُرثومةً من جراثيم العرب، فأغمِدوا السّيوف، وأنصِلوا الأسنّة، واقطعوا الأوتار، وآووا المظلوم المضطهد، حتى يلتئمَ هذا الأمر، وتَنجليَ هذه الفتنة.

وقال سيف، عن أشياخه منهم محمد وطلحة: ولما بلغ علياً عليه السلام الخبرُ أرسل الحسن بن علي، وأرسل معه عمار بن ياسر، وقال لعمار: انطلق فأصلح ما أفسَدْتَ، فأقبلا حتى قدما الكوفة، فدخلا المسجد، فأول مَن أتاهما مَسروق بن

الأجْدَع، فسلَّم عليهما وقال لعمار: يا أبا اليقظان عَلام قتلتم عثمان؟ قال: على شَتْم أعراضِنا وضَربِ أجسادنا، فقال: والله ما عاقبتُم بمثل ما عُوقِبتم به، ولا صبرتم فكان خيراً للصّابرين.

ولقي أبو موسى الحسن فضمه إليه، وأقبل على عمار فقال: يا عمار، أعَدوتَ فيمن عدا على أمير المؤمنين، فأحلَلْتَ نفسَك محلَّ الفُجّار؟ فقال: لم أفعل، ولم تسؤني؟ فقطع الحسن عليهما الكلام وقال: يا أبا موسى، لم تُثبِّط الناسَ عنا؟ فوالله ما نُريد إلا الإصلاح، وما مثل أمير المؤمنين مَن يُخاف على شيء، فقال: صدقتَ بأبي أنت وأمي، ولكن المستشار مؤتَمن، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتنةٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الراكب»، وقد جعلنا الله إخواناً، وحرَّم علينا دماءنا وأموالنا، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية [النساء: ٢٩]، وقال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ الآية [النساء: ٩٣].

فسبّ عمار أبا موسى، فقال رجلٌ من بني تميم لعمار: اسكت أيّها العبد، بالأمس أنت مع الغَوغاء، وتُسافِه اليوم أميرَنا بهذا؟ وثار زيد بن صُوحان وأتباعُه، وثار الناس، وجعل أبو موسى يُكفكف الناس، ثم انطلق حتى أتى المنبر، وسكن الناس.

وأقبل زيد بن صُوحان ومعه الكتابان اللذان كتبتهما عائشة إلى الكوفة؛ كتاب الخاصة وكتاب العامة، وقال: أُمِرت بالقَرار في بيتها، وأُمِرنا بالقتال، فأَمرتنا بما أُمرت، وركبت ما أُمِرنا به!

وقال أبو موسى: أيها الناس، أطيعوني، شيموا سيوفكم، وقصّدوا رماحَكم، فإن الفتنة قد أقبلت، وذكر كلاماً طويلاً.

وقال عمار: هذا ابنُ عمّ رسول الله، وهو مُستنفِرُكم إلى زوجة رسول الله ﷺ، وإني أشهد أنها زوجتُه في الدنيا والآخرة، فانظروا في الحق، وقاتلوا معه طلحة والزبير.

وقام الحسن بن علي فقال: أيها الناس، أجيبوا دعوةَ أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر مَن يَنفر إليه، ولأن يليه أولو النُّهى أمثلُ في العاجلة، وخيرٌ في العاقبة، فأجيبوا دعوتَنا [وأعينونا] على ما ابتُلينا به وابتُليتم، فتسامح الناس،

وأجابوا ورضوا.

وقال الحسن: إني غادٍ، فمَن شاء منكم أن يَخرج معي على الظَّهر، ومَن شاء في الماء، فنفر معه تسعةُ آلاف، أخذ بعضهم البرّ، وأخذ بعضهم الماء، ففي البرّ ستة آلاف ومئتان، وأخذ الماء ألفان وثمان مئة.

قلت: وقد أخرج البخاري طرفاً من هذا عن شقيق قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، بعث علي عماراً وحسناً فقدما الكوفة، فصعدا المنبر، فكان الحسن في أعلاه وعمار في أسفله، فاجتمع الناس إليهما، فقال عمار: أما بعد، فإن عائشة قد صارت إلى البصرة، ووالله إنها زوجةُ نبيّكم... وذكره، وقال: ليَنظر إياه تُطيعون أم هي[1].

وفي رواية الطبري عن بعض أهل العلم: أن الأشتر قال لأمير المؤمنين: إنك قد بعثتَ إلى أهل الكوفة قبل هذين رجالاً، فلم أرَهم أبرموا وأحكموا أمراً، فإن رأيتَ أن تُتبعني في إثرهم، فإن أهل المِصر أحسنُ شيءٍ لي طاعة، ولو قَدمتُ عليهم رجوتُ أن لا يُخالفني منهم أحدٌ، فقال علي: الحق بهم.

فأقبل الأشتر حتى دخل الكوفة، فجعل لا يمرُّ بقبيلة إلا ويقول: اتّبعوني إلى القصر، وكان أبو موسى قائماً يخطب، يُثبِّط الناس عن علي ويقول: أيها الناس، إنها فتنة عمياء صمّاء، وذكر بمثل ما تقدّم، وعمار ينهاه، والحسن يقول له: اعتزل عملَنا، وتَنحَّ عن منبرنا لا أُمَّ لك.

قال نُعَيم عن أبي مريم الثقفي: والله إني في المسجد يومئذٍ، وعمار يُخاطب أبا موسى ويقول له: أنتَ سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «إن هذه فتنة عمياء صمّاء، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، والساعي فيها خير من الراكب؟» قال: نعم، إذ خرج علينا غِلمانٌ لأبي موسى يشتدّون يُنادون: يا أبا موسى، هذا الأشتر قد دخل القصر، فنزل وأتى إلى القصر، فقال له

---

(١) أخرجه البخاري بهذا السياق (٧١٠٠) من رواية أبي مريم عبد الله بن زياد الأسدي، عن عمار، به. أما رواية شقيق فأخرجها البخاري (٣٧٧٢) و(٧١٠١) مختصرة، وانظر مسند أحمد (١٨٣٣١).

الأشتر: أخرج الله نفسَك، فإنك من المنافقين قديماً، فقال: أجِرْني فأجاره، وقال: اخرُج العشيَّة، قال: نعم، ودخل الناس فانتهبوا متاعَ أبي موسى[١].

وذكر المسعودي في تاريخه وقال: كتب عليّ عليه السلام إلى أبي موسى: اعتزل عَمَلَنا يا ابن الحائك مَذموماً مَدْحوراً، فما هذه بأوّل هَناتنا منك، وإن لك لهنات وهنات، وفي رواية: فهذا أول يوم منك[٢].

وروى سيف بن عمر، عن محمد وطلحة قالا: لما أراد عليّ الخروجَ من الرَّبذة إلى البصرة قام إليه [ابن] رِفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين، [أيّ شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبوا إليه؟] قال علي: [ندعهم بعُذرهم ونعطيهم] الحق [ونصبر، قال: فإن لم يرضَوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذاً]. وسار الحسن وعمار ومعهما رؤساء أهل الكوفة.

ذكر اجتماعهم بأمير المؤمنين ومسيرهم إلى البصرة

روى سيف بن عمر، عن الشعبي، ومحمد وطلحة قالوا: التقوا بذي قار فالتقاهم علي، ورحّب بهم، وقال: يا أهل الكوفة، أنتم جُرثومةُ العرب ووجوهها، وقال ابن عباس: أنتم فَضَضْتُم جموعَ العَجم، حتى صارت إليكم مواريثهم... وذكر كلاماً في هذا المعنى.

وكان رؤساء الجماعة القعقاع بن عمرو، وشَدّاد[٣] بن مالك، وهند بن عمرو، والهيثم بن شهاب، وزيد بن صُوحان، والأشتر النَّخعي، والمسيّب بن نَجَبة، وعَدي ابن حاتم، وحُجر بن عدي الكندي، وابن مَجْدوح الذهلي في آخرين، وهؤلاء كانوا على رأي أمير المؤمنين، وكان القعقاع وعدي صحابيَّيْن.

قال هشام: وكان فيهم زياد بن النَّضْر الحارثي، وسعد بن مسعود الثقفي عمّ

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٨٦ـ٤٨٧.

(٢) في مروج الذهب ٤/ ٣٠٨: فما هذا أول يومنا منك.

(٣) في الطبري ٤/ ٤٨٨: وسِعْر.

المختار بن أبي عبيد، ومِخنَف بن سُلَيم الأزدي، ووَعْلة وهو ابن مَجْدوح، ومعقل بن قيس الرياحي[١]، وسعيد بن قيس الهمذاني.

وقال هشام: وكمل أهل الكوفة بذي قار اثني عشر ألفاً، وجعلهم علي أرباعاً وقيل أسباعاً، فكان القعقاع بن عمرو على سُبع، وسعيد بن قيس الهمذاني على همذان وحمير، وزياد بن النَّضْر الحارثي على مَذْحِج والأشعريين، وحُجر بن عديّ على كِندة وحضرموت، وسعد بن مسعود على غيلان وعبد القيس، ومخنف بن سُلَيم على الأزد وبَجيلة وخَثْعَم، ووعلة بن مَجْدوح الذُّهلي على بكر بن وائل وتغلب وربيعة، ومعقل ابن قيس الرِّياحي على قريش وتميم وكِنانة وضَبَّة والرِّباب ومُزَينة.

قال هشام بن الكلبي، عن أبيه: فشهد هؤلاء الجمل وصفّين والنَّهروان مع أمير المؤمنين على هذا الترتيب.

قال سيف: اجتمعوا على ذي قار، وهل لَقيهم عثمان بنُ حنيف الذي نتفوا رأسَه ولحيته على الرَّبَذَة أم على ذي قار؟؟ فيه قولان.

ذكر إرسال علي القعقاع إلى أهل البصرة

قال علماء السير: لما نزل عليّ الثَّعلَبيّة خرج إليه خلقٌ كثير من أهل الكوفة، ولما قَرُب من البصرة جاءه عبد القيس، وبنو سعد، وربيعة، وخلقٌ عظيم، فصار في تسعة عشر ألفاً، اثنا عشر من أهل الكوفة، وستة آلاف من أهل البصرة، وخرج من المدينة في تسع مئة، وقيل: في ألف، فلما عزم على البصرة بعث إليهم القعقاع بن عمرو يُنذرهم ويُخوِّفُهم.

فقال سيف بن عمر: حدثني محمد وطلحة قالا: لما نزل أمير المؤمنين بذي قار دعا القعقاع بنَ عمرو ـ وكانت له صُحبة ـ فقال له: اذهب إلى أهل البصرة، والْقَ هذين الرجلين، فادعُهما إلى الأُلفة والجماعة، وعَظِّم عليهما الفُرقة.

فخرج القعقاع حتى قدم البصرة، فبدأ بعائشة وقال: يا أُمّاه، ما الذي أقدَمَك إلى ها هنا؟ قالت: أُصلح بين الناس، قال: فابعثي إلى طلحة والزبير لتَسمعي كلامي

(١) في الطبري ٤/ ٥٠٠ : معقل بن يسار الرياحي، وفي أنساب الأشراف ٢/ ١٦٧ : معقل بن سنان الرياحي.

وكلامَهما، فأرسلت إليهما فحضرا، فقال لهما: إني سألتُ أم المؤمنين ما الذي أقدمها إلى هذه البلاد، فقالت: الإصلاحُ بين الناس، فما تقولان أنتما؟ قالا: ونحن نقول كذلك، قال: فأخبراني ما وَجْهُ الإصلاح؟ قالا: قَتَلةُ عثمان، فإن عَمِل به كان إحياءً للقرآن، وإن لم يَعمل به كان تارِكاً له، قال: قد قتلتُما قَتَلةَ عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم أقربُ إلى الاستقامة منكم اليوم؛ حين قتلتُم ست مئة إلا رجلاً ـ يعني حُرقوص ـ فغضب له ستة آلاف، واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهُركم، وطلبتم ذاك الذي أفلت، يعني حُرقوص، فمنعه ستة آلاف، وهم على رجل واحد، فإن تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون... وذكر كلاماً في هذا المعنى.

فقالت عائشة: فتقول أنت ماذا؟ قال: أقول: إن هذا الأمر دواؤه التَّسكين، فإذا سَكن اختُلجوا ـ يعني قتلة عثمان ـ فإن أنتم بايعتمونا فعَلامةُ خير، وتباشير رحمة، ودَرْكُ ثأرِ هذا الرجل، وعافيةٌ وسلامة لهذه الأمة، وإن أبيتُم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامةُ شرّ، وذهابُ هذه الأمة، فاطلبوا العافيةَ تُرزَقوها، وكونوا مفاتيحَ خير، ولا تكونوا مفاتيح شرّ، ولا تتعرّضوا للبلاء وتعرّضونا له، فيَصرعنا وإياكم، وايْمُ الله، إني لأقول هذا وأدعوكم إليه وإني لخائفٌ أن لا يَتمّ حتى يَأخذ الله حاجتَه من هذه الأمة.

فقالوا: نِعم ما قلتَ، فلقد أحسنتَ وأصبْتَ المقالة، فارجع إلى علي، فإن قَدِم على مثل رأيك صلَح هذا الأمر.

فعاد إلى أمير المؤمنين، وأخبره بما قال وقالوا، فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك مَن كرهه، ورضيَه مَن رضيه.

وأقبلت وُفود البصرة نحو علي لما نزل بذي قار؛ وفد تميم وبكر قبل رجوع القعقاع، ليَنظروا ما رأيُ إخوانهم من أهل الكوفة، وعلى أيّ حالٍ نهضوا إليهم، ولا يَخطر لهم قتالُهم على بال.

وروى الهيثم بن عدي، عن أشياخه قالوا: لما قدم علي ذا قار كتب إلى طلحة والزبير وعائشة كتابين، أحدهما إلى طلحة والزبير، والآخر إلى عائشة، فأما كتاب طلحة والزبير فنُسخته:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى طلحة والزبير، أما بعد، فقد علمتما أني لم أُرد البيعةَ حتى أكرهتُ عليها، وأنتما ممن رَضي ببيعتي، وألزمني إياها، فإن كنتما بايعتما طائعَيْن فتوبا إلى الله، وارجعا عما أنتما عليه، وإن كنتما بايعتما مُكرَهَين فقد جعلتما لي السبيلَ عليكما بإظهاركما المعصية، وأنت يا طلحة شيخ المهاجرين، وأنت يا زبير فارس قريش، لو دفعتما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه لكان أوسع لكما من خروجكما منه، والسلام.

وأما كتاب عائشة فكان فيه: أما بعد، فإنك قد خرجتِ من بيتك عاصية لله ولرسوله، تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثم تزعمين أنك تُريدين الإصلاح بين المسلمين، فخَبِّريني ما للنساء وهنَّ عورات وقَوْد الجيوش، والبروز للرجال؟! وطلبتِ بزعمك دمَ عثمان، وعثمان رجلٌ من بني أمية، وأنت من بني تميم، ثم بالأمس تُؤلّبين عليه، وتقولين في ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ: اقتلوا نَعْثلاً فقد كفر، قتله الله، واليوم تطلبين بثأره؟! فاتقي الله، وارجعي إلى بيتك، وأسبِلي عليك سترك قبل أن يَفضحك الله، ولا حول ولا قوَّةَ إلا بالله العلي العظيم. ولما قرؤوا الكتابين لم يكن لهم جواب، وعرفوا أنه الحق فسكتوا.

وقال أبو اليقظان: ولما قَرُبَ أمير المؤمنين من البصرة خرج إليه شيعته منها، وهم ثلاثة آلاف، وكان شقيق بن ثَوْر السَّدوسي على بكر بن وائل، وعمرو بن مَرْجوم على عبد قيس، واجتمع بعضُ القبائل إلى طلحة والزبير كضبَّة والرِّباب وعامر وباهلة، وكان على ضَبَّةَ والرِّباب هلال بن وكيع بن بشر بن عُدس، قُتل يوم الجمل، وكان رئيسُ الأزد صَبْرة بن شَيْمان الحُدَّاني، نهاه كعب بن سُور فلم يَنته، فقُتل يوم الجمل أيضاً.

ورتّب أمير المؤمنين الجيوش، فجعل على الميمنة عبد الله بن عباس والأشتر وهو مالك بن الحارث النخعي، وعلى الميسرة عمر بن أم سلمة وعمار بن ياسر، وعلى الرَّجَّالة أبا قتادة النعمان بن ربعي الأنصاري، وأعطى الراية العُظمى ولدَه محمد بن الحنفية، وقيل: إنما كان يوم الجمل على الترتيب الذي خرج به من المدينة، ورتب القبائل من أهل الكوفة والبصرة على مراتبها، وأقام كلَّ قبيلة في منزلتها.

ثم خطب الناس فقال: إني قد كتبتُ إلى هؤلاء القوم، وناشدتُهم الله في دماء هذه

الأمة كي يرجعوا فأبَوا، وأنذرتُهم فلم يُبالوا، وتأنّيتُ بهم فلم يَنظروا لنفوسهم وللمسلمين في مصلحة، وإنهم يَتهدَّدوني بالحرب، والآن فقد أنصفَ القارة مَن راماها[١]، وإني على بَيِّنةٍ من ربي من النّصر عليهم، والظَّفَر بهم، ومَن لم يُقتَل يَمُت، والذي نفسي بيده لألفُ ضربةٍ بسيف أهونُ عليَّ من الموت على فراشي.

ثم رفع يديه وقال: اللهمَّ إن طلحة أعطاني صَفقةَ يمينه طائعاً، ثم نَكث بيعتي، اللهمَّ فعاجله، اللهمَّ إن الزبير قطع قرابتي، ونَكث بَيعتي، وظاهر عدوّي، ونصب إلي الحرب بغياً وعدواناً، وهو ظالم لي، فاكفنيه بما شئت، ثم تمثّل، وقيل إنهما له: [من الخفيف]

إن يـومـي مـن الـزبـيـر ومـن طـلـ ـحـة فـيـمـا يـسـوؤنـي لـطـويـلُ
ظَـلـمـانـي ولـم يـكـن عـلـم الـلـ ـه إلـى الـظُّـلـمِ حـاجـةٌ وسـبـيـلُ[٢]

ذكر اجتماع أمير المؤمنين بالأحنف بن قيس

قال سيف: ولما نزل أمير المؤمنين قريباً من البصرة جاءه الأحنَفُ بنُ قيس وبنو سعد؛ وقد منعوا حُرقوصَ بن زهير من القتل، وهم لا يُريدون القتال مع أحد من الفريقين، فقال: يا أمير المؤمنين، إن قوماً يَزعمون أنك إن ظهرتَ غداً عليهم أنك تقتل رجالهم وتَسبي نساءهم، فقال: ما مثلي من يُخاف منه مثلُ هذا، وهل يجوز ذلك إلا في مثل مَن تولّى وكفر؟! وهم قومٌ مسلمون.

وقال له الأحنف: اختر مني واحدة من اثنتين: إما أن آتيك فأكون معك بنفسي، وإما أن أكفَّ عنك عشرة آلاف سيف، فقال: لا بل هذه، فخرج الأحنف وهو يقول ـ أو قال: يا لَخِنْدِف، فأجابه قوم، ثم نادى: يالَ تميم فأجابه آخرون، ثم نادى يالَ سعد فلم يبق سعدي إلّا وأجابه، فاعتزل ناحية عن الناس.

وقد ذكر الطبري للأحنف أخباراً كثيرة في اجتماعه بأمير المؤمنين[٣].

---

(١) مثل، انظر جمهرة الأمثال ١/ ٥٥.
(٢) ديوان علي ٨٤.
(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٤٩٦ـ٥٠٠.

ذكر حديث الوقعة

رجع الحديث إلى سيف، عن محمد وطلحة، وأن أمير المؤمنين أرسل إليهم القعقاع بن عمرو، وجرى له مع عائشة وطلحة والزبير من الاتّفاق ما جرى على أن يتّفقوا ويَختلجوا قتلَةَ عثمان فيما بين ذلك.

وعاد القعقاع إلى أمير المؤمنين، وأخبره بما جرى، وسُرَّ أمير المؤمنين بقوله، وأشرف القوم على الصلح رَضيه مَن رَضيه وكرهه مَن كرهه.

قال سيف بن عمر عن محمد وطلحة، قال: لما رجع القعقاع من عند أمير المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم، جمع علي عليه السلام [الناس]، ثم قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وعلى رسوله، وذكر الجاهلية وشقاءها، والإسلام وسعادتَه، وإنعام الله على هذه الأمة [بالجماعة]، وذكر الخلفاء بعد رسول الله ﷺ، ثم قال: ثم حَدث هذا الحدث الذي جَرى على هذه الأمة من أقوام طلبوا الدنيا حَسَداً لمن أفاءها الله عليه، وأرادوا ردَّ الأشياء إلى أدبارها، والله بالغ أمره، ومصيب ما أراد، ألا وإني راحلٌ غداً، فلا يَرحلنّ معنا أحدٌ ممن أعان على عثمان بشيء، وليُغْنِ السفهاء عني أنفسَهم.

فلما قال هذه المقالة اجتمع نفرٌ منهم عِلباء بن الهيثم، وعدي بن حاتم، وسالم بن ثعلبة القيسي[1]، وشُريح بن أوفى بن ضُبَيعة، والأشتر النَّخَعي، في عدّةٍ ممن سار إلى عثمان، وجاء معهم المصريون: ابن السوداء، وخالد بن ملجم، فتشاوروا وقالوا: ما الرأي؟ فهذا علي أبصر بكتاب الله ممن يَطلب قتلَة عثمان، وأقربهم إلى العمل بذلك، وهو يقول ما يقول، ولم ينفِر إليهم، فكيف إذا شام القوم وشاموه، ورأوا قلّتنا في كثرتهم، إياكم والله يُراد، وما يريد إلا أنتم.

فقال الأشتر: أما طلحة والزبير وعائشة فقد عرفتم أمرَهم، وأما علي فما عرفنا أمره إلّا اليوم، ورأيُه ورأيُ الناس فينا واحد، وإنهم قد اصطلحوا على دمائنا، فهلموا نتواثب على علي فنُلحقه بعثمان، فتعود فتنة يُرضى منا فيها بالسكون.

فقال ابن السوداء: بئس الرأي رأيتَ، نحن نحو من ست مئة، وهذا ابنُ الحَنظليّة

(١) في الطبري ٤/ ٤٩٣ : العبسي.

وأصحابُه في خمسة آلاف، وهم بالأشواق إلى أن يَجدوا إلى قتالكم سبيلاً.

وقال علباء بن الهيثم: انصرفوا بنا عنهم، ودعوهم وارجعوا، وتعلَّقوا ببعض البلدان حتى يأتيكم فيه مَن تثقون به.

قال ابن السَّوداء: بئسَ ما رأيت، لو فعلتُم هذا تخطَّفكم الناس.

وقال عدي بن حاتم: إن لنا خيولاً وسلاحاً، فإن أقدمتُم أقدَمْنا، وإن أمسكتُم أحجمنا، فقال له ابن السوداء: أحسنت.

وقال ابن السوداء: الرأيُ عندي أنكم تُنشبون القتال، ولا تُفرّغوا علياً وطلحة والزبير للنظر، فإنهم لا يجدون بُدّاً من الامتناع، ويَشغلهم الله عنا بما يَكرهون، وإذاً تقاتلوا، فأنشِبوا القتال في السَّحَر، وتفرَّقوا على هذا والناسُ لا يَشعرون.

وأصبح أمير المؤمنين على ظَهْر، وسار حتى نزل بعَبْد القيس وهم أمام ذلك، ثم سار بالناس فنزل بإزاء القوم، فقال أبو الجَرْباء للزبير: الرأيُ أن تبعث إلى علي ألفَ فارس فيُبيتوه أو يُصبّحوه قبل أن يَتوافى أصحابُه، فقال: يا أبا الجَرْباء، لسنا نجهل أمرَ الحرب ولكنهم أهلُ دَعوتِنا، وقد فارقَنا وافدُهم على أمر، ونرجو أن يَتمَّ الصُّلح.

وقال صَبْرة بن شَيْمان: يا طلحة، الرأي في الحرب خيرٌ من الشّدّة، وأشار بمثل ما أشار أبو الجَرْباء، فقال طلحة: إنا وإياهم مسلمون، وإنه علي ومَن معه.

وقال كعب بن سور: ما تنتظرون؟ اقطعوا هذا العُنُق من هؤلاء، فقالوا: يا كعب، هذا أمرٌ بيننا وبين إخواننا، وهذا أمر مُلتبس، ونحن نرجو الصُّلح، فإن أجابوا وإلا فآخر الداء الكي.

وقال سيف: وقام إلى علي أقوامٌ من أهل الكوفة يَسألونه عن إقدامهم على القوم، وفيهم الأعور بن بُنان المِنقري، فقال: يا أمير المؤمنين، علامَ عزمتَ؟ فقال: على الإصلاح وإطفاء النائرة، لعل الله يَجمع شملَ هذه الأمة، قال: فإن لم يُجيبوا؟ قال: تركناهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: نَدفعُهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم بمثل ما عليهم من هذا؟ قال: نعم.

قال: وقام إليه أبو سلامة الدّألاني فقال: أترى لهؤلاء القوم حجّة فيما طلبوا من

هذا الدم إن كانوا أرادوا الله بذلك؟ قال: نعم، قال: أفترى لنا حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم إن الشيء إذا كان لا يُدرك فالأناة والحلم فيه أحوط، قال: فما حالنا وحالهم إن ابتُلينا غداً؟ قال: إني لأرجو أن لا يُقتل أحدٌ منا ومنهم وفي قلبه تُقى لله إلا أدخله الله الجنة.

ثم قام علي عليه السلام فخطب الناس وقال: أيها الناس، املِكوا أنفسَكم، واصبروا على ما نالكم، وإياكم أن تسبقونا فإن المخصوم مَن خصم اليوم.

قال: وارتحل على تعبيته التي خرج فيها، حتى إذا أطلّ على القوم بعث إليهم حَكيم ابن سلامة ومالك بن حبيب يقول لهم: إن كنتم على ما فارقتُم عليه القعقاع، فكفُّوا لننزل ونَنظر في هذا الأمر.

رجع الحديث إلى سيف عن محمد وطلحة قالا: فلما نزل الناس واطمأنوا خرج علي وطلحة والزبير، وتواقفوا، وتكلّموا فيما بينهم، فلم يَجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ووضْعِ الحرب، وافترقوا على ذلك، ورجع علي عليه السلام إلى عسكره، وطلحة والزبير إلى عسكرهما، ثم بعث إليهما وقتَ العشاء عبد الله بن عباس، وبعثا هما عبد الله بن الزبير إلى علي، وأن يُكلّم كلّ واحد منهما أصحابه، فقالوا: نعم، فلما أمسَوا ـ وذلك في جُمادى الآخرة، [أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه].

وفي رواية: لما نزل علي جاء إليه طلحة والزبير، واتفقوا على الصُّلح، وخرجا، فخرج علي مشيّعاً لهما، وأرسلا إلى أصحابهما بالصُّلح، وأرسل علي إلى أصحابه بمثل ذلك، وبات الفريقان بلَيلةٍ لم يبيتوا بمثلها للعافية التي قد أشرفوا عليها، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشرٍّ ليلةٍ باتوها قط؛ قد أشرفوا على الهَلَكة، وجعلوا يتشاورون ليلتَهم كلّها، حتى إذا اجتمعوا على إنشاب الحرب أسرُّوا ذلك خيفةَ أن يُفطَن بهم، وحاولوا أمر الشر في الغَلَس، فأثاروا الحربَ ولم يَشعر بهم جيرانُهم، بل انسلُّوا انسِلالاً، فخرج مُضَرِيّهم إلى مُضَريّهم، وربيعتهم إلى ربيعتهم، ويمانيتهم إلى يمانيتهم، فوضعوا السلاح فيهم، فثار أهل البصرة، وخرج طلحة والزبير في وجوه الناس من مُضر، وبعثا عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى الميمنة، وعبد الرحمن

ابن عَتّاب بن أسيد إلى الميسرة، وثبتا في القلب، وقالوا: ما هذا؟ قالوا: طَرَقنا أهلُ الكوفة ليلاً، فقالا: قد علمنا أن علياً غير مُنتهٍ حتى يَسفك الدماء، ويَستحلّ الحُرمة، وأنه لن يُطاوعَنا، وزحفا بأهل البصرة حتى ردّوهم إلى عسكرهم.

وسمع علي الصوت، وقد وضع القوم رجلاً قريباً من علي يُخبره بما يريدون، فلما قال علي: ما هذا؟ قال الرجل: إن القوم قد بَيَّتونا، فرددناهم من حيث جاؤوا، فقال علي لصاحب ميمنته: الحق بالميمنة، ولصاحب الميسرة: الحق بالميسرة، وقال: لقد علمتُ أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يَسفكا الدماء، ويَستحلّا الحُرمة، ونادى علي عليه السلام في الناس: كُفّوا، وكان من رأيهم جميعاً في تلك الفتنة ألا يقتلوا حتى يُبدؤوا، ولا يُجهزوا على جريح، ولا يستحلّوا سَلباً، ولا يأخذوا مالاً.

قال سيف: فأقبل كعب بن سُور إلى عائشة فقال: الحقي القوم فقد أبَوا إلا القتال، لعل الله يُصلح بك، فركبت، وألبسوا هَودَجَها الأدْراع، ووقَفت على الجمل، فسمعت غَوغاء كثيرة، فقالت: ما هذا؟ قالوا: ضَجَّةُ العسكر، قالت: بخير أو بشَرّ؟ قالوا: بشَرّ، قالت: فأيّ الفريقين كانت فيهم هذه الضجّة فهم المنهزمون، فما فَجِئها إلا هزيمةُ أهل البصرة، وهذا قول سيف.

وأما هشام بن الكلبي فإنه قال: لما وصل علي عليه السلام إلى البصرة، نزل بالزاوية، ثم سار منها يريد القوم، فالتقوا عند قصر عبيد الله بن زياد.

وقال البلاذري: التقوا في مكان يُقال له: الخُرَيْبَة في جمادى الأولى، سنة ست وثلاثين... وذكر الوقعة[1]

رجع الحديث إلى سيف وغيره من علماء السير، قالوا جميعاً: لما توافَوا خرج طلحة والزبير على فرسين، وخرج إليهما علي عليه السلام، ودنا كل واحد من الآخر، فقال لهما علي: لعَمري لقد أعددتُما خيلاً ورجالاً وسلاحاً، إن كنتُما أعددتُما عند الله عُذراً فاتقيا الله، ولا تكونا كالتي نَقضت غزلَها من بعد قوَّةٍ أنكاثا، ألم تكونا إخوتي في الله، تُحرّمان دمي وأُحرِّم دمكما؟ [فهل من حَدَثٍ أحلّ لكما دمي؟] فقال له طلحة:

(١) أنساب الأشراف ٢/ ١٧٤.

ألّبتَ الناس على عثمان، فقال: أنتما خذلتُماه حتى قُتل، فسلّط الله اليوم على أشدّنا على عثمان ما يَكره.

ثم قال: يا زبير، أتذكر يوم مررتَ مع رسول الله ﷺ في بني غَنْم، أو في بني بَياضة، فنظر إليّ وضحك فضحكتُ إليه، فقلت أنت يا زبير: لا يدع ابنُ أبي طالب زَهْوه، فقال لك رسول الله ﷺ: «إنه ليس بمَزْهُو، ولتُقاتلَنّه يا زُبير، أو لتقاتلنّ ابنَ عمتك، وأنت ظالم له». فوجم الزبير، وقال: والله لو ذكرتُ ذلك ما قاتلتُك، ولا سرتُ مَسيري هذا، ولكن كيف أصنعُ وقد التقت حَلَقتا البِطان، ورجوعي عين العار؟ فقال له علي: تَرجع بالعار، ولا تَرجع بالنار، أو ترجع بالعار خيرٌ من أن ترجع بالنار، يا زُبير قد كنا نَعدُّك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنُك [ابن] السّوء ففرَّق بيننا، فذكّرتك قول رسول الله ﷺ.

فرجع الزبير وهو يقول: والله لا قاتلتُك أبداً، وقال: [من البسيط]

اخترتُ عاراً على نارٍ مُؤجَّجةٍ ... أني يَقوم لها خَلْقٌ من الطّينِ
نادى عليّ بأمرٍ لستُ أجهلُه ... عارٌ لعمرك في الدنيا وفي الدّينِ
فقلتُ حسبُك من لَوْمٍ أبا حسنٍ ... فبعضُ هذا الذي قد قلتَ يكفيني[1]

قال هشام: ولما رجع الزبير إلى أصحابه قالت له عائشة: مالك؟ فقال: ما كنتُ في موطن منذ عقلتُ عقلي إلا وأنا أعرف فيه أمري إلا هذا الموطن، فإنه مالي فيه بالحرب بَصيرة، قالت: فما تُريد أن تصنع؟ قال: أذهبُ وأدعُكم، فقال له ابنه عبد الله: جمعتَ هذين الغارَين، حتى إذا جدّ بعضهم لبعض أردتَ أن تتركَهم وتذهب، ولقد خرجتَ على بصيرة، ولكنك رأيتَ رايات ابن أبي طالب، فنظرتَ تحتها الموتَ الأحمر فجَبُنت.

فأرعد الزبير غضباً وقال: ويحك، قد حلفتُ أن لا أُقاتلَه، فكيف أصنع؟ قال: تُكفِّر عن يمينك، فأخذ رُمحه، وحَمل فخرق الصُّفوف يميناً وشمالاً، فحمل عليه الأشتر ليَطعنه، فقال علي: دَعه فإنه مُحرَج، ثم أعتق غلاماً له يقال له مكحول، فقال الشاعر: [من الرجز]

---

(١) مروج الذهب ٤/ ٣١٧ـ٣١٨ ، وانظر التدوين في أخبار قزوين ١/ ١٩٣ـ١٩٤ .

أعــتــق مــكــحــولاً لــصَــون دِيــنــه
كــفّـــارةً لله عـــن يـــمـــيـــنـــه
والـغَـدْرُ قـد لاح عـلـى جَـبـيـنـه

وقال الطبري: اسم الغلام سَرْجَس[١]، وقال عبد الرحمن بن سليمان التيمي: [من الرجز]

لــم أر كــالــيــوم أخــا إخــوانِ
أعــجــبَ مــن مُــكَــفِّــر الأيــمــان
بــالــعــتـقِ فـي مـعـصـيـةِ الـرحـمـن

وقال أبو اليقظان: ثم صاح أمير المؤمنين، يا طلحة، أنشدك الله، ألم تسمع رسول الله يقول: «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»؟ قال: بلى، قال: فلمَ تُقاتلني وقد بايعتَني؟ فانصرف طلحة، ثم أنشب القوم القتال.

وحكى الطبري عن الزهري قال: قال علي: يا طلحة، أجئتَ بعِرس رسول الله ﷺ تُقاتل بها، وخَبَأتَ عِرسَك في البيت، أما بايعتَني؟ فقال: بايعتُك وعلى عُنقي اللُّجّ.

وقال أيضاً: قال أميرُ المؤمنين: أيُّكم يَعرض على القوم هذا المصحف، فإن قُطعت يدُه أخذه بيده الأخرى، فإن قُطعت يدُه أخذه بأسنانه؟ فقال فتى من القوم: أنا، فقال له: اعرِض عليهم هذا، وقل لهم: بيننا وبينكم كتابُ الله، ففعل، فحمل عليه فتى من القوم فقتله، فقال علي: الآن طاب الضِّراب، احملوا عليهم فحَملوا، وما كان يَبدؤهم بالقتال حتى يَبدؤوه.

وفي رواية: فقطعوا يدَه فأخذه بالأخرى، فقُطعت فأخذه بأسنانه، فقتلوه[٢].

وقال الهيثم: واسمُ الغلام المقتول مُسلم، فقالت أُمُّه وكانت عجوزاً كبيرة: [من الرجز]

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٩، وفي ٤/ ٥٠٢ أن اسمه مكحول.
(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٩، ٥٥١.

يـــا ربِّ إن مُـــســـلـــمـــاً أتـــاهُـــمُ
يَـتـلـو كـتـابَ الله لا يَـخـشـاهـمُ
فـخَـضَّـبـوا مـن دمـه لِـحـاهُـمُ
وأُمُّـــه قـــائـــمـــةٌ تَـــراهُـــمُ[1]

وقال أبو اليقظان: وقف عمار بين الصفَّين وصاح: ما أنصفتُم نبيَّكم حين أبرزتُم عَقيلَتَه للسيوف، وصُنْتُم حَلائلَكم عن الحُتوف، ثم دنا من هودج عائشة وقال: ما الذي تَطلبين؟ فقالت: دَمَ عثمان، فقال: خذل الله اليوم الباغي منا.

قال علماء السير: ثم اقتتلوا قتالاً لم يَجْرِ في جاهلية ولا إسلامٍ مثلُه.

فحكى سيف، عن فِطر بن خليفة، عن أبي بشير قال: شهدتُ الوَقعة، فوالله ما سمعتُ دقّ القصَّارين إلا ذكرتُها.

وقال الواقدي: كان زِمامُ الجمل بيد كعب بن سُور، فقالت عائشة: خلِّ عنه، وادعُهم إلى كتاب الله، وناولتْه مصحفاً، فنشره وصاح: هذا كتاب الله، فاستقبلتْه السَّبئية فقتلوه.

قال الزهري: ما شوهِدت وقعةٌ مثلها، فَني فيها الكُماة من فُرسان مُضَر، وما كان يَأخذ زِمام الجمل إلا مَن هو مَعروف بالشجاعة، وما أخذه أحدٌ إلا قُتل أو أُصيب، حمل عليه عديُّ بن حاتم، ولم يبق إلا عشرة، ففُقِئت عينُ عدي.

وحكى الطبري عن الزهري قال: أخذ عبد الله بن الزبير بخِطامه، فقالت عائشة: مَن هذا؟ قالوا: ابنُ الزبير، فقالت: واثُكلَ أسماء[2].

واجتمع بنو ضَبَّةَ حول الجمل، وقاتلوا دونه قِتالاً لم يُسمع بمثله، قُطِعت عنده ألفُ يد، وقُتل عليه ألفُ رجلٍ منهم، وكان بين يديه وسيم بن عمرو الضبِّي يَرتجز بهم، وهم يقولون مثلَ قوله:

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥١١-٥١٢ ، ومروج الذهب ٤/ ٥١٤ ، وأنساب الأشراف ٢/ ١٧٠-١٧١ .
(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٩ .

نحن بنو ضَبَّةَ أصحابُ الجَمَلْ
نَنْعى ابنَ عفّان بأطرافِ الأَسَلْ
الموتُ أحلى عندنا من العَسَلْ
رُدُّوا علينا شيخَنا أو نقتتل

يَعنون بشيخهم عُثمان، والأبيات في «الحماسة»[١].

وحكى الطبري عن ابن الزبير أنه قال: جُرحتُ على زمام الجمل سبعةً وثلاثين جِراحة، وما أخذ أحدٌ رأسَه إلا قُتل، أخذه عبد الرحمن بن عتّاب فقُتل، ثم أخذه الأسود بن [أبي] البَختَري فقُتل، وعدّ جماعةً.

قال ابن الزبير: ومَرَّ بي الأشتر فعرفني، فقصدَني وقصدتُه، واعتنقنا فسقطنا جميعاً إلى الأرض، فناديتُ: اقتلوني ومالكاً، أو اقتلا مالكاً معي، فجاء قوم فحجزوا بيننا[٢].

وقال البلاذري: لو قال اقتلوني والأشتر لقُتلا جميعاً.

وقيل لعائشة: هذا الأشتر يُعارك عبد الله، فقالت: واثُكلَ أسماء، وأعطت مَن بَشَّرها بخلاصِه منه مالاً[٣].

وحكى هشام، عن علقمة، عن الأشتر قال: كنتُ أسأل الله أن ألقى عبد الله بن الزبير؛ فإنه هو الذي أخرج عائشة إلى البصرة، وأقام الفتنة، قال: فالتقيتُه كفةً لِكفّة، فقمتُ في الرِّكاب، وضربتُه على رأسه فصرعتُه، وعانقني وصاح: اقتلوني ومالكاً، ولو عرفوا أنني مالك لقتلوني ولو قُتلوا كلّهم.

ثم أخذ زِمامَ الجمل عمرو بن يَثْرِبيّ، فقاتل قتالاً شديداً، فحَمل عليه عمار، وهو يومئذ ابن سبعين سنة وأكثر، وعليه فَروٌ قد شدَّ وَسَطه بحبلٍ من ليف، فقطع رجلَ عمرو ابن يَثْرِبي.

---

(١) نسبها أبو تمام للأعرج المعني، شرح ديوان الحماسة (٨٨)، وهي في أنساب الأشراف ٢/ ١٧٢، وتاريخ الطبري ٤/ ٥١٨، ومروج الذهب ٤/ ٥٢٧، والعقد الفريد ٤/ ٣٢٧، وعند الجميع: ثم بَجَل، بدل: أو نقتتل.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٥١٩.

(٣) أنساب الأشراف ٢/ ١٧٢-١٧٣.

وكان عمرو قد قتل في ذلك اليوم زيدَ بن صُوحان وكُنيته أبو عائشة، وهند بن عمرو، ويُقال له الجَمليّ، [وعلباء بن الهيثم السدوسي].

قال سيف وكان يَحمل ويقول: [من الرجز]

إني لمن أنكَرَني ابنُ يثرِبي
قاتلُ عِلباءَ وهندَ الجَملي
ثم ابن صُوحانَ على رأي عليّ

وجاء عمار بعمرو بن يَثربي إلى بين يدي أمير المؤمنين، فقال: يا عمار، اقتُلْه، فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، استَبْقِني، فقال: ويَحك بعدما قتلتَ خيار أصحابي: زيد بن صُوحان، وعلباء بن الهيثم، وهند بن عمرو، أستبقيك؟! لا والله، فقتله عمار.

وقال أبو اليقظان: لما رأى أمير المؤمنين يومئذ الرُّؤوسَ تُنْدَر، ضمَّ الحسنَ ابنَه إلى صدره وقبَّله وقال: يا حسن، أيُّ خيرٍ يُرجى بعد هذا اليوم؟ فقال: يا أبتِ قد كنتُ نَهيتُك عن مثل هذا، فقال: ما كنتُ أظنُّ أن الأمر يَبلغ إلى مثل هذا، ليت أنني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

ومضى الزبير هارباً على وجهه، فقُتل بوادي السّباع.

وجاء طلحةَ سهمٌ غَرْبٌ فخلَّ رُكبتَه بصَفحة الفرس، فحملوه إلى البصرة فمات، وسنذكر سيرتَهما في آخر السنة.

وقُتل محمد بن طلحة، وغُلب ابنُ الزبير من الجراحات، فألقى نفسه بين القتلى.

ذكر عَقْرِ الجمل

قال علماء السير: وحملت السَّبَئيَّةُ على الجمل والأشتر يَقدمُها، وزِمامه بيد عبد الله ابن حكيم بن حِزام، فضربه الأشتر فجرحه جُرحاً موثقاً، ولم يبقَ أحدٌ من بني عامر وضَبّة إلا وأُصيبَ عنده.

قال سيف: وكان آخر مَن قاتل عليه زُفَر بن الحارث، وزِمامُه بيده وهو يقول: [من الرجز]

يـا أمَّـنـا يـا عَـيْـشَ لـن تُـراعـي

وزحف إليه القعقاع بن عمرو وصاح: اعقِروا الجملَ الملعون قبلَ أن تُصابَ أمُّ المؤمنين.

وحكى عروةُ عن عائشة قالت: جال الناسُ حولي جَولةً، فصرتُ مثل اللُّجَة، ولو قَدرتُ على الخلاصِ لبادرتُ إليه، وحمل بُجَيْر بن دُلْجة الضّبي الكوفي، فقطع بِطانَه، وعَقره، وقطع ثلاث قوائم من قوائمه، فبرك.

وقال بُجَير: رأيتُ قومي قد فَنوا عليه، فأبقيتُ بعَقْره على مَن بقي منهم.

ووقع الهَوْدج على الأرض وجعلت تقول: يا بَنيّ، البقية البقية.

وقال سيف: وجاء محمد بن أبي بكر وعمار فاحتملاه ووضعاه، فأدخل محمد يَده فيه ليَنظر هل أُصيبت عائشة أم لا، وكان علي عليه السلام قد قال لما وقع الهَوْدج: انظر أختَك هل أصابها شيء؟ أو وصل إليها شيء؟ فلما أدخل يده قالت له: مَن أنت؟ قال: ابن الخَثْعميّة، قالت: محمد؟ قال: نعم، قالت: بأبي أنت وأمّي، الحمد لله الذي عافاك، ورأى خُموشاً في يدَيها، وأصابها مِشقص في عَضُدها فأخرجه منها، وبقي الجمل والهودج مثل القنفد من كثرة النُّشّاب.

وفي رواية أن عائشة قالت له: مَن أنت؟ قال: أخوك محمد البارّ، فقالت: أنت مُذَمَّم عُقَق، أو عَقَقْتَ، وقال لها عمار: يا أُمّاه، كيف رأيتِ ضَربَ بنيك اليوم؟ فقالت: لستُ لك بأُم، فقال: بلى وإن كرهتِ.

قال الهيثم: وجاء أعين بن ضُبَيْعَةَ المجاشعي، فاطّلع في الهَوْدَجِ وقال: ما أرى فيه حُميراء، فدعت عليه بكشفِ العَورة، فقُتل بالبصرة، ورُمي بها في خَرِبةٍ بادية عورتُه.

وقال الهيثم وغيره: ضرب عليها محمد فُسطاطاً.

وقال البلاذري: وجاء أمير المؤمنين، فوقف على الهَودج، وضربه برُمحه وقال: إن حميراء أختُ إرَم، هذه أرادت أن تَقتُلني كما قتلت عثمان[1].

(١) أنساب الأشراف ٢/ ١٧٨ .

واختلفوا في الذي قال لها أمير المؤمنين على أقوال:

أحدها: ما ذكره البلاذري.

والثاني: أنها قالت: مَلكْتَ فأسْجِحْ، وهذا مَثَلٌ للعرب[١]، والإسْجاحُ حسن العفو.

والثالث: أنه ضرب الهودج برُمحه وقال: يا حُميراء، الله أمرك بهذا، إنما أمرك بالقَرار في بيتك، واللهِ ما أنصفَك مَن أخرجَك، صانوا حَلائلَهم وأبرزوك، فلم تقل شيئاً.

وقال سيف: ووقف عليها علي وقال: السلام عليك يا أمّاه، فقالت: وعليك السلام يا بُنيّ، فقال: يَغفر الله لك، فقالت: ولك.

وقال ابن إسحاق والواقدي: ولما انهزم الناس يُريدون البصرة رأَوا الجمل قائماً، فأطافت به مُضَر، فقالت عائشة لكعب بن سُور: خلِّ رأسَ البعير وخُذِ المصحف، ففعل، فرَشَقوه رَشْقاً واحداً فقتلوه، ولما رأت عائشة اشتدادَ الأمر جعلت تصيح بأعلى صوتها: يا بَنيّ، البقيّةَ البقيّةَ، اذكروا الله واليوم الآخر، وهم يَأبَون إلا القتال، فصاحت: أيها الناس، العَنُوا قتَلَةَ عثمان وأشياعَهم.

وكان القتال من وقت السَّحَرِ إلى نصف النهار، وذلك في يوم الخميس عاشر جمادى الآخرة في أظهر الروايات، وقيل في مُنتَصَف جمادى الآخرة، وكان القتال أوّلَ النهار مع طلحة والزبير، وفي وَسَطه مع عائشة.

وظهر الخللُ في الفريقين، وكثُرت القتلى، وعَظُمت الجراحات، ولم يكن في وقعةٍ قط أكثر من يد مَقطوعةٍ منها، لا يُدرى مَن صاحبُها، فلما فَنِي الكُماة قال أميرُ المؤمنين ومعظم فُرسان طلحة والزبير: مادام هذا الجمل الملعون قائماً لا يبقى أحد من الفريقين، فقصدوه.

وقال سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: كان لا يجيءُ أحدٌ فيأخذ بزِمام الجمل إلا يقول: أنا فلان بن فلان.

---

(١) مجمع الأمثال ٢/٢٤٨، وانظر الصحاح: (سجح).

قال سيف: فوالله ما بَقي يومئذ أحدٌ من بني عامر شيخ إلا وأُصيب قُدَّامَ الجمل.

وحكى الطبري عن أبي رجاء قال: بينما أنا أمشي يوم الجمل، إذا برجل يَفْحَصُ برجليه ويقول: [من الطويل]

لقد أوردَتْنا حَوْمةَ الموت أُمُّنا ... فلم نَنْصرف إلّا ونحن رِواءُ
أطعْنا قُريشاً ضَلَّةً من حُلومنا ... ونُصرتنا أهلَ الحجازِ عَناءُ

من أبيات، قال: فقلتُ له: قل لا إله إلا الله، فقال: من أين أنت؟ فقلتُ: من أهل الكوفة، فقال: في أُذني ثِقَل ما أسمع ما تقول، ادْنُ مني، فدنوتُ منه، فوثب على أُذني فاصطَلَمها وقال: إذا أتيتَ أُمّك فقل لها: عُمير بن الأهلَب فَعل بي هذا[1].

وقيل: إن أمَّ هذا المقتول قُتل لها ابنٌ آخر، فلما مَرَّت بهما، ورأتهما قتيلين قالت: [من المتقارب]

شهدتُ الحروبَ فشَيَّبْنني ... فلم أرَ يوماً كيوم الجَملْ
أمَرَّ على مُؤمنٍ فتنةً ... وأقْتلَه لشُجاعٍ بَطَلْ
فليت الظَّعينةَ في بيتها ... وليتك عَسْكَرُ لم تُرتحل

عسكر اسمُ جمل عائشة[2].

وقال أبو اليقظان: مَرّوا على صبيٍّ يَفْحَصُ برجليه وقال: أنا قَتيلُ المرأة التي أرادت أن تكون أمير المؤمنين.

وقال سيف عن محمد وطلحة: لما كان من آخر الليل خرج محمد بعائشة فأدخلها البصرة، وأنزلها في دار عبد الله بن خَلَف الخُزاعي، على صفية بنت الحارث بن طلحة، وهي أمُّ طَلْحة الطَّلْحات، وبكت عائشة بكاء شديداً وقالت: وَدِدتُ أني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

قال هشام: واتفق أن أمير المؤمنين قال ذلك في ذلك الوقت، فخرج كلامُهما في وقتٍ واحد.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٢٤.

(٢) مروج الذهب ٤/ ٣٣٢ـ٣٣٣.

قال أبو اليقظان: ويُقال: إنها قالت: وَدِدتُ أني ثَكلت عَشرةً من الولد من رسول الله ﷺ، كلُّهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ولم أسِر إلى البصرة.

وقال أحمد بإسناده عن عَمرو بن غالب قال: انتهيتُ إلى عائشة أنا وعمار والأشتر، فقال عمار: السلام عليك يا أُمَّتاه، فقالت: السّلام على مَن اتّبع الهدى، حتى أعادها ثلاثاً أو مرتين، ثم قال: أما والله إنك لأمي وإن كرهتِ، قالت: فمَن هذا معك؟ قال: الأشتر، قالت: أنت الذي أردتَ أن تَقتل ابنَ أختي؟ قال: نعم، قد أردتُ ذلك، فقالت: أما إنك لو فعلتَ ما أفلحتَ، وأما أنت يا عمار، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يَحلُّ دمُ امرِىءٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث...» الحديث[1].

وقال الواقدي: وجيءَ بمروان بن الحكم أسيراً إلى بين يدي أمير المؤمنين، فشفع فيه الحسن والحسين فأطلقه، فقالا: ألا يُبايُعك؟ فقال: قد بايَعَني يوم قُتل عثمان، لا حاجةَ لي في بَيعتِه، إنها كفٌّ يهودية، أما والله إن له أمارة كلَعْقَةِ الكلبِ أنفَه، وسيرى الناسُ من نَسلِه يوماً أحمر.

وقيل: إن مروان استجار ببيتٍ من عَنَزة.

وقيل: إن عائشة ضَمَّتْه إليها مع مَن ضَمّت من المجروحين؛ كابن الزبير وغيره.

قال: وأما عبد الله بن عامر فأمَّنه رجلٌ من بني حُرقوص، وأخرجه إلى الشام، وأما عبد الرحمن ويحيى ابنا الحكم بن أبي العاص فلحجا في البرية، فلَقيهم عِصمةُ بن أُبير فأمَّنهما، وأخرجهما إلى الشام.

ذكر عَدد أصحاب الجمل

واختلفوا فيهم على أقوال:

حكى سيف عن محمد وطلحة قالا: كان قتلى الجمل عشرةُ آلاف، نصفُهم من أصحاب علي، ونصفُهم من أصحاب عائشة، من الأزد ألفان، ومن سائر اليمن خمس

(١) مسند أحمد (٢٤٣٠٤).

مئة، ومن مُضر ألفان وخمس مئة، وخمس مئة من قيس، وخمس مئة من تميم، وألف من بني ضَبّة، وخمس مئة من بكر بن وائل، والباقون من الأعراب.

وقال هشام: كان مع أمير المؤمنين، ثلاثون ألفاً.

وقال الواقدي: كان مع علي عشرون ألفاً، ومع عائشة خمسة عشر ألفاً.

وقال الهيثم: كان مع علي اثنا عشر ألفاً، ومع عائشة ثمانية آلاف.

وقال ابن الكلبي: قُتل من أصحاب عائشة ثمانية آلاف، وقيل ثلاثة عشر ألفاً، ومن أصحاب علي ألف.

وقيل: من أهل البصرة عشرة آلاف، ومن أهل الكوفة خمسة آلاف.

وحكى الطبري عن سعيد القُطعي قال: كنا نُحدّث أن قتلى يوم الجمل [يزيدون على ستة آلاف.

وحكى الطبري عن ابن أبي يعقوب قال: قتل علي يوم الجمل] ألفين وخمس مئة؛ ألفاً وثلاث مئة وخمسين من الأزْد، وثمان مئة من بني ضَبَّة، وثلاث مئة وخمسين من سائر أفناء الناس[1].

قال هشام: وكانت الوَقعةُ يوم الخميس منتصف جمادى الآخرة، وقيل: يوم السبت.

وقال سيف: علم أهلُ المدينة بالوَقْعة في يومها قبل أن تَغرب الشمس، أقبل نَسرٌ ومعه شيءٌ مُعلَّق، فسقط منه كفٌّ وفيها خاتم، فتأمَّلُوه وإذا به خاتم عبد الرحمن بن عَتَّاب بن أسيد، وعلم مَن بين مكة والمدينة ممن قَرب من البصرة من الأعراب بيوم الجمل؛ مما نَقلت إليهم النُّسور من الأقدام والأيدي.

وقال سيف: قُتل تسعون شيخاً يوم الجمل من بني عَديّ، كلّهم قد قرأ القرآن سوى الشباب.

---

(١) في (خ): وحكى الطبري عن سعيد القطيعي قال: كنا نحدث أن قتلى يوم الجمل ألف وخمس مئة، ثلاث مئة وخمسون من الأزد... والمثبت من تاريخ الطبري ٤/ ٥٤٥.

قال: وقالت عائشة: مازلتُ أرجو النّصر حتى خَفيتْ أصواتُ بني عدي.

ذكر دخولِ أمير المؤمنين البصرة

قال هشام: فأقام بظاهر البصرة ثلاثة أيام، وصلّى على القتلى من الفريقين، وجمع ما كان من الأسلاب في العَسكر، وبعث به إلى جامع البصرة وقال: مَن عَرف شيئاً أخذه، وأمر علي بدَفنِ مَوتاهم.

وقال سيف عن محمد وطلحة: دخل عليّ البصرة يوم الاثنين، فانتهى إلى المسجد، فصلى فيه، وأتاه الناس، ثم راح على عائشة على بَغلته، فلما انتهى إلى دار عبد الله بن خَلَف ـ وهي أعظم دارٍ بالبصرة ـ وجد النساء يَبكين على عبد الله وعثمان ابنَي خَلَف؛ قُتل أحدُهما مع علي، والآخر مع عائشة، وصفية بنت الحارث مُتَخمّرة تبكي، فلما رأته قالت: يا علي يا قاتلَ الأحبّة، يا مُفَرّقَ الجمع، أيتم الله بنيك منك كما أيتمتَ ولدَ عبد الله، فلم يردَّ عليها شيئاً، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة، فسلّم عليها، وقعد عندها وقال: جَبَهَتْنا صفية، أما إني لم أَرَها منذ كانت جارية حتى اليوم.

فلما خرج من عند عائشة مرَّ عليها، فأعادت عليه ذلك الكلام، فكفَّ بغلتَه ثم قال: أما والله لقد هممتُ ـ وأشار إلى باب من أبواب الدار ـ أفتحُ هذا الباب، وأقتل مَن فيه، وكان أناسٌ جَرحى قد لَجؤوا إلى عائشة، وأُخبر علي بمكانهم عندها فتغافل عنهم، فسكتت صفيّة، فقال له رجل من الأزد: والله لا تغلبنا هذه المرأة، فغضب وقال: لا تَهتكنَّ سِتراً، ولا تَدخلنّ داراً، ولا تَهيجنّ امرأةً؛ وإن شتمنَ أعراضكم، وسَفَّهنَ أمراءكم وصُلحاءكم؛ فإنهن ضِعاف، ولقد كنا نُؤمَر بالكفِّ عنهن وهن مُشركات، فلا يبلغنّي عن أحدٍ أنه تَعرَّض لامرأة، فأنَكِّل به شرار الناس.

فلحقه رجل وقال: يا أمير المؤمنين، إن رجلين قد نالا ـ أو تناولا ـ مَن هو أَمسُّ بك من صفيّة، قال: لعلها عائشة، قال: نعم، قام أحدهما على باب الدار فقال: [من الرجز]

جُـزيـتِ عـنـا أمَّـنـا عُـقـوقـا

وقال الآخر: يا أمَّنا تُوبي من خروجك لقد أخطأتِ، فأرسل القعقاع بنَ عمرو إلى الباب، وأراد أن يَضرب عُنق الرجلين فضربهما مئةً مئة، وأزال مَن كان بالباب. وهذا قول سيف.

وأما هشام والواقدي والهيثم فإنهم قالوا: لما دخل علي مسجدَ البصرة صلَّى ركعتين، ثم خطب خُطبته المعروفة؛ حمد الله، وأثنى عليه، وصلى على رسوله، وعَظَّم حق الإسلام، وخَوَّفَ من الفتن، ثم قال:

يا أهل البصرة، ويا جُندَ المرأة، دِينكم نِفاق، وماؤكم زُعاق، وعهدُكم شِقاق، دعاكم الشيطان فأجبتموه، المقيمُ بين أظهركم مُرتَهن بذَنْبه، والشَّاخصُ عنكم مُتَدارَكٌ برحمة الله، كأني والله أنظرُ إلى مسجدكم هذا قد بعث الله عليه العذابَ من فوقه ومن تحته، فهو كجُؤجئ سفينة، أو كنَعامةٍ جاثمة، أو كجُؤجُئ طائرٍ في لُجَّةِ بحر، أرضكم بعيدةٌ من السماء، قريبةٌ من الماء، خَفَّتْ عُقولُكم، وسَفِهتْ أحلامُكم، في ألفاظٍ أُخَر[1].

قال الجوهري: الماء الزُّعاق: المالح[2].

وقال سيف عن محمد وطلحة قالا: بايع الأحنف بن قيس علياً من عَشيَّة ذلك اليوم؛ لأنه كان خارجاً مع بني سعد، ثم دخل البصرة، وبايع أهلُ البصرة علياً وهم على راياتهم.

قال: ولما فرغ علي من بيعةِ أهل البصرة نظر في بيت مال البصرة، فإذا فيه ست مئة ألف درهم، وقيل: ست مئة ألف ألف، فقسمها فيمن شهد معه الوَقْعة، فأصاب كلُّ واحدٍ خمس مئة درهم خمس مئة درهم، وقال: إن أظفركم الله بالشام فلكم مثلُها إلى أُعطياتكم، وخاض في ذلك السبئيَّة، وطعنوا على عليّ من وراء وراء.

قال سيف: وكان من سيرة علي أنه لا يَقتل مُدبراً، ولا يُذَفِّفُ على جريح، ولا يَكشف ستراً، ولا يَأخذ مالاً، فقال قوم يومئذٍ: ما الذي أحلَّ لنا دماءهم وحَرَّم علينا أموالَهم، وبلغ أمير المؤمنين فقال: القومُ أمثالكم، مَن صَفح عنا فهو منا ونحن منه،

(١) انظر الخطبة في العقد ٤/ ٨١، ومروج الذهب ٤/ ٣٢٩، ومصادر نهج البلاغة ١/ ٣٤٢، ٣٤٨.

(٢) مختار الصحاح: (زعق)، ولم أجده في الصحاح.

وإن لكم في خمس مئة لغُنية، فيومئذ تكلَّمت الخوارج.

وحكى الطبري عن ابن كُليب، عن أبيه قال: لما فرغوا يومَ الجمل أمرني الأشتر فانطلقتُ، فاشتريتُ له جملاً بسبع مئةِ درهم من رجل من مَهْرة، وقال: انطلق به إلى عائشة، وقل لها: بعث به إليك مالك بن الحارث وقال: هذا عِوض من بعيرك، قال: فانطلقتُ به إليها، وقلت لها: مالك بن الحارث يُقرئك السلام ويقول كذا وكذا، فقالت: لا سَلَّم الله عليه، يَقتل يُعسوب العرب محمد بن طلحة السَّجَّاد، ويَفعل بابن أختي ما فعل، ويُسلّم عليَّ؟ رُدَّه إليه، قال: فردَدْتُه إليه، وأخبرتُه بما قالت، فقال: أراد قتلي فما كنتُ أصنع[1]؟!

ذكر جَهاز عائشة إلى المدينة

قال سيف: وجَهَّز أمير المؤمنين عائشة أحسنَ جَهاز؛ بكلِّ شيءٍ يَنبغي لها من مَركب وزادٍ ومَتاع، وأخرج معها كلَّ من نجا ممن خرج معها إلا من أحبَّ المقام، واختار لها أربعين امرأةً من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: يا محمد، تَجهَّز معها.

فلما كان اليوم الذي تَرتحل فيه جاءها فوقف لها، وحضر الناس، وخرجت فودَّعها ووَدَّعَتْهم وقالت: يا بَنيّ، والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على مَعتبتي عليه عندي لمن الأخيار، وذكرتْ كلاماً في هذا المعنى.

وقال علي: أيها الناس، صَدقتْ والله وبَرَّت، ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنها لَزوجةُ نبيِّكم في الدنيا والآخرة.

فخرجت يوم السبت غُرَّة رجب سنة ستٍّ وثلاثين، وشيَّعها علي أميالاً، وسَرَّح بنيه معها يوماً. وهذه رواية سيف عن محمد وطلحة.

وقد اختلفوا في جهاز عائشة، فقال الواقدي: أعطاها علي اثني عشر ألفاً، فاستقلّها عبد الله بن جعفر، فدفع إليها ضِعفها.

وقال أبو اليَقظان: أرسل علي عبد الله بنَ عباس إلى عائشة يَأمرها بالمسير إلى المدينة، فدخل عليها عبد الله بغير إذنها، فوجد عندها وِسادة فقعد عليها، فقالت له:

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٤١-٥٤٢.

يا ابن عباس، أخطأتَ السُّنة، دخلتَ علينا بغير إذنِنا، وجلستَ على وِسادتنا بغير أمرنا! فقال لها: لو كنتِ في البيتِ الذي خَلَّفكِ رسول الله ﷺ ما فعلنا ذلك إلا بإذنك وأمرك، إن أمير المؤمنين يَأمُرك بسرعةِ الأوبَةِ إلى دار قَرارك، فامتنعتْ، فقال: إنه أمير المؤمنين، وقد عرفتيه، فأجابت.

ثم جاءها أمير المؤمنين ومعه بنوه فقالت: أحبّ أن أكون معك أُجاهد عدوَّك، فقال: رُجوعُك إلى البيت الذي أمرك الله بالقَرار فيه أَولى.

وسألتْه في مروان وابن الزبير وبني أمية فأمنهم، وجهَّز معها أخاها عبد الرحمن في جماعة من شيوخ الصحابة، وبعث معها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة، وذوات الدّين من هَمْدان وعبد القيس، وأمرهنَّ بلُبس العَمائم وتَقَلّد السيوف، ثم قال لهن: لا تُعلمنها أنكن نِسوة، وتلثَّمن مثلَ الرجال، وكنَّ حولها من بعيد ولا تقرَبْنها.

وسارت على تلك الحال، فأقامت بمكة حتى حَجَّت، واجتمع إليها نساء أهل مكة يبكين وهي تبكي، وسُئلت عن مَسيرها فقالت: لقد أعطى علي فأكثر، ولكنه بعث معي رجالاً.

وبلغ النساء فأتينها، وكشفن عن وُجوههن، وعرَّفْنَها الحال، فسجدت وقالت: والله لا يَزداد ابنُ أبي طالب إلا كرماً[1].

وروى سيف عن محمد وطلحة قالا: قصدت عائشة مكة، وانصرف مروان والأسود ابن [أبي] البَخْتَريّ من الطريق إلى المدينة، وقيل: إنه لحق بمعاوية، وقيل: إنه لم يرجع إلى المدينة حتى لحق بصفّين، وأقامت بمكة حتى حجّت، وعادت إلى المدينة.

وقال هشام: ولما دخلت على أم سلمة بكت، وبكت أمُّ سلمة، وجعلت تتذكر قولَها وتبكي.

وروى الخطيب بإسناده إلى هشام بن عروة، عن أبيه قال: ما ذكرت عائشة مَسيرها قط إلا بكت؛ حتى تَبُلَّ خمارها وتقول: ليتني كنتُ نسياً مَنسِيّاً. قال سفيان: النَّسيُ المنسِيّ: الحَيضة الملقاة[2].

---

(١) مروج الذهب ٤/ ٣٣٠ـ٣٣١ ، ٣٣٤ـ٣٣٥ .

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٨٥ ، والمنتظم ٥/ ٩٥ .

وأنبأنا جدي بإسناده عن قيس بن أبي حازم، عن عائشة أنها كانت تقول: لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت ولم أكن خرجتُ على علي، كان أحبّ إليّ من أن يكون لي من رسول الله ﷺ عشرة من الولد؛ كلهم مثل أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام[١]. وقد ذكرناه.

وفي الباب حديثان يَتعلّقان بهذا المعنى؛

أحدهما: أخرجه البخاري عن أبي بكرة قال: لقد نفعني الله تعالى بكلمةٍ سمعتُها من رسول الله ﷺ أيام الجمل، بعد ما كدتُ أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتلَ معهم، وهي أنه لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس مَلّكوا عليهم بنت كسرى قال: «لن يُفلحَ قومٌ ولّوا أمرَهم امرأة»[٢]، أشار إلى بُوران بنت كسرى؛ فإن الأمور اختلّت في زمانها، فكذا كلُّ امرأةٍ تولّت أمراً تحتاج فيه إلى الإشهار والرأي، ولهذا إن المرأة لا تَلي إمامةَ الرجال، والإمارةَ، والجمعة، والموسمَ، والقضاءَ ونحوه، لأن مَبنى حالهنّ على السّتر.

والحديث الثاني: قال أحمد بإسناده عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «سيكون بينك وبين عائشة أمرٌ»، فقال علي: أنا؟ قال: «نعم»، قال علي: فإذاً أنا أشقاهم، قال: «لا، ولكن إذا كان ذاك فاردُدْها إلى مأمنها»[٣]. إلّا أن هذا الحديث ضعيف، ذكره جدي في «الواهية»[٤].

وذكر الزمخشري في كتاب «ربيع الأبرار» عن جُميع بن عُمير قال: دخلتُ على عائشة فقلتُ لها: مَن كان أحبَّ ا لناس إلى رسول الله ﷺ؟ فقالت: فاطمة، فقال: إنما سألتُكِ عن الرجال، فقالت: زوجُها، وما يَمنعُه، ولقد كان والله صوّاماً قوّاماً، قال: فما حمَلَك على قتاله؟ فأرسلتْ خِمارها على وجهها وبكت، وقالت: أمرٌ قُضي[٥].

وذكر ابن عبد ربه في كتاب «العقد» وقال: قال المغيرة بن شُعبة: دخلتُ على عائشة

---

(١) المنتظم ٥/ ٩٥ـ٩٦.

(٢) صحيح البخاري (٤٤٢٥).

(٣) مسند أحمد (٢٧١٩٨).

(٤) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١٤١٩)، وذكره في المنتظم ٥/ ٩٥.

(٥) ربيع الأبرار ٢/ ٢٢٨ـ٢٢٩.

بعد رُجوعها من البصرة، فقالت له: يا أبا عبد الله، لو رأيتَني يومَ الجمل وقد أنفذ النبلُ هَودجي حتى وصل بعضُه إلى جِلدي، فقال لها المغيرة: وَدِدْتُ أنّ بعضَه قتَلك، قالت: ولمَ؟ قال: لعلَّه أن يكون كفارة لك على سَعْيك على عثمان، فقالت: أما والله لئن قلتَ ذلك لقد علم الله أنني ما أردتُ قَتلَه، ولكنني أردتُ أ ن يُقاتَل فقوتلتُ، وأردتُ أن يُرمى فرُميتُ، وأردتُ أن يُعصى فعُصيتُ، ولو علم الله مني أنني أردتُ قتلَه لقُتلتُ[1].

قال سيف: وأعجلت السبئيَّةُ أمير المؤمنين، وارتحلوا بغير إذنه، فارتحل في آثارهم ليَقطع عليهم أمراً كانوا أرادوه.

انتهت وَقعةُ الجمل، وبينها وبين الهجرة خمس وثلاثون سنة وأشهر، وسار أمير المؤمنين إلى الكوفة عقيب مسير عائشة، فقدم الكوفة لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب، فأقام بظاهرها، وكان الأشعث بن قيس عاملاً على أرمينية وأذربيجان لعثمان، فعزله عنها لأمرٍ بلغه عنه، وحقدها عليه الأشعث، وما كانوا يُولّون مَن ارتدّ عن الإسلام ثم أسلم.

حديث زياد بن أبيه مع علي عليه السلام وولاية علي ابن عباس البصرة

حكى سيف عن أشياخه قالوا: كان زياد بن أبيه مُقيماً بالبصرة، ولم يشهد الوقعة، واعتزل الفريقين، وجلس في بيته، وجاء عبد الرحمن بن أبي بكرة إلى أمير المؤمنين مُستأمناً، فسلّم عليه فردّ السلام وقال: عمُّك من المتربِّصين علي، المتقاعدين بي، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه والله لك لَوَادٌّ، وعلى مَسرَّتِك لحريص، وهو في بيت نافع ابن الحارث مريض، وقيل: إن علي لما سأله عنه كتم مكانه، فقال له أمير المؤمنين: لابأس عليك، امشِ أمامي، ففعل، فلما دخل عليه قام زياد من فراشه، فسلّم عليه أمير المؤمنين وقال له: تقاعدتَ عني، ووضع يده على صدره وقال: هذا عُذرٌ بَيِّن، فاعتذر إليه زياد فقبل عُذرَه وأكرمه، وأراده على ولاية البصرة، وكان له عند علي مكانة،

(١) العقد ٤/ ٢٩٦.

فامتنع من الولاية وقال: وَلِّ رجلاً من أهل بيتك تطمئنُّ إليه الناس، وسأشير عليه وأكفيك، فولّى عبد الله بن عباس إمارةَ البصرة، وولّى زياداً الخراجَ وبيتَ المال، وأمر ابنَ عباس أن يسمعَ له ويُطيعَ، ففعل.

وكان ابن عباس يقول: استشرتُ زياداً في هَنَةٍ كانت من الناس، فقال: إن كنتَ تعلم أنك على الحق، وأن غيرك على الباطل ممن خالفك؛ أشرتُ عليك بما ينبغي، قال: فقلتُ: إني على الحق، وهم على الباطل، قال: اضرِبْ بمن أطاعك مَن عصاك، ومَن ترك أمرك فاقتُله، فعلمت أنه قد اجتهد رأيَه، قال: فلما وُلِّي رأيتُ ما صنع، وعلمت أنه قد أجهد لي رأيَه.

قال الواقدي: لما قدم أمير المؤمنين الكوفة لم يَنزل قصر الإمارة الذي كان يَنزله الأُمراءُ قبلَه، وإنما نزل برَحْبَة الكوفة في أخصاص كانت بها، وكان معاوية قد أظهر الخلاف لما قال أمير المؤمنين: والله لا أُقرُّه على عمله، فقال معاوية: والله لا أَلي له وِلاية، ولا أُبايعه، ولا أقدم عليه.

وكان جرير بن عبد الله البَجَلي عاملاً لعثمان على همذان، فاستقدمه أمير المؤمنين بعد أن أخذ له البيعةَ على أهلِ همذان، فلما قدم عليه قال: يا جرير إني أريد أن أبعثك إلى معاوية؛ تأخُذَ لي عليه البيعة.

ذكر إرسال جرير إلى معاوية وكتاب علي عليه السلام إليه

قال أبو جعفر الطبري عن عَوانة قال: لما قال علي عليه السلام لجرير إني أريد أن أبعثَك إلى معاوية، قال له جرير: ابعثني إليه فإنه لي وَادٌّ، فأدعوه إلى طاعتك، فشاور علي أصحابَه، فقال له الأشتر: لا تبعثه، فوالله إني لأظنّ أن هواه معه، فقال علي عليه السلام: دعه حتى نَنظر ما الذي يَرجع به إلينا، فبعثه إليه، وكتب معه كتاباً يُعلمه فيه اجتماعَ المهاجرين والأنصار على بيعته، ونكث طلحة والزبير، وما كان من حَربه إياهما، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار. هذا قول الطبري[1].

وقال هشام بن محمد الكلبي، عن أبيه: كتب أمير المؤمنين إلى معاوية: أما بعد:

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٦١.

فإني قد لزمَتْك بيعتي وطاعتي في المدينة وأنت بالشام، لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، فلم يكن للشاهد أن يَختار، ولا للغائب أن يردّ، وإنما الشّورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل ونَصبوه إماماً كان ذلك رضًى لله، فإن خرج عن أمرهم خارج رَدُّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غيرَ سبيل المؤمنين، وولّاه الله ما تولّى، وأصلاه جهنّم وساءت مصيراً.

ثم إن طلحة والزبير بايعاني، ثم نَقضا بيعتي، وكان نقضُهما كردّهما، فجاهدتُهما بعد ما أعذرتُ إليهما، حتى جاء الحقُّ وظَهر أمرُ الله وهم كارهون، ومَن نكث فإنما يَنكثُ على نفسه، فادخُل فيما دخل فيه المسلمون، ولا تتعرَّض للبلاء، فإن عصيتَ قاتلتُك واستعنتُ بالله عليك، وقد بلغني إكثارُك في قَتَلَة عثمان، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكمهم إليّ أحملْكم على كتاب الله.

وأما التي تُريدها فهي خُدعة الصبيِّ عن اللبن، ولَعمري لئن نظرتَ بعين عَقلك دون عين هواك لَتجدَنّي أبرأَ الناس من دم عثمان، وقد علمتَ أنك من الطُّلقَاء الذين لا تحلُّ لهم الخلافة، ولا تجوزُ لهم الشورى، وقد بعثتُ إليك جرير بن عبد الله، وهو من أهل الإيمان والهجرة والصحبة، فبايع ولا قوَّةَ إلا بالله والسلام[1].

وقد ذكر القصة محمد بن إسحاق والواقدي وقال: قال له جرير: هذا كتاب أمير المؤمنين يدعوكم إلى الدخول في طاعته، فقد اجتمع له الحَرمان، والمِصران، والعراقان، والحجاز، واليمن، ونَجران، واليمامة، وعُمان، ومصر، وفارس، وخُراسان، ولم يبقَ إلا بلادكم هذه، فإن سال عليها وادٍ من أوديته غَرّقها.

رجع الحديث إلى هشام قال: فلما قدم عليه جرير ماطَلَه، ودعا عمرو بن العاص، فاستشاره فيما كتب به إليه، فأشار عليه أن يُلزمَ أميرَ المؤمنين دمَ عثمان، ويُقاتله بأهل الشام، وكان قميص عثمان معلَّقاً على منبر دمشق ومعه أصابع نائلة، والناس يَنتابونه من كلِّ ناحية، ومعاوية يُؤلِّبُ على أمير المؤمنين، ويستعدُّ لقتاله، ويَبذل الأموال، ويتقوَّى بالسلاح.

---

(١) العقد ٤/ ٣٣٢_٣٣٣.

فلما يئس منه جرير طلب الانفصال عنه، فكتب إلى أمير المؤمنين جوابَ كتابه:

أما بعد: فإنه لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريءٌ من دم عثمان، كنتَ كأبي بكر وعمر وعثمان، ولكنك أغريتَ المهاجرين والأنصار بعثمان، وخَذّلتهم عنه، حتى أطاعك الجاهلُ، وتقوَّى بك الضعيف، وقد عَزم أهلُ الشام على قتالك؛ اللهمَّ إلا أن تَدفع إليهم قتلةَ عثمان فيكفُّوا عنك، وتَجعل الأمر شورى بين المسلمين، ويكون ذلك بالشام لا بالحجاز، فأما سابِقتُك في قريش، ومكانتُك من رسول الله ﷺ فإني لا أدفعُه والسّلام.

وكتب بأسفله أبياتَ كعب بن جُعيل قال: [من المتقارب]

أرى الشام تكره أهلَ العراق ... وأهلُ العراق لهم كارهونا
وكلٌّ لصاحبِه مُبغِضٌ ... يَرى كلَّ ما كان من ذاك دِينا
إذا ما رَمَوْنا رَمَيناهمُ ... ودِنَّاهُم مثلَ ما يُقرِضونا
وقالوا عليٌّ إمامٌ لنا ... فقلنا رَضِينا ابنَ هندٍ رضينا
وقالوا نرى أن تَدينوا له ... فقلنا لهم لا نَرى أن نَدينا
وكلٌّ يُسَرُّ بما عنده ... يَرى غثَّ ما في يديه سَمِينا

من أبيات[1].

فلما قدم جرير على أمير المؤمنين أخبره خبر معاوية، واجتماعَ أهل الشام معه على قتاله، وأنهم يبكون على عثمان، ويقولون: إن علياً قتله، وأنهم لا ينتهون عنه حتى يَقتلهم أو يَقتلوه.

فقال له الأشتر: قد كنتُ نهيتُك أن تبعثَ جريراً، وأخبرتُك بعداوته وغِشّه، ولو بعثتَني كان خيراً من هذا الذي أقام عنده؛ حتى لم يَدَع باباً يُرجى فتحُه إلا فتحه، ولا باباً يُخاف منه إلا أغلقه.

فقال له جرير: والله لو كنتَ هناك لقتلوك، لقد ذكروا أنك من قَتَلة عثمان.

فقال الأشتر: أما والله لو أتيتُ معاوية لحملتُه على خُطَّةٍ أُعجلُه فيها عن الفكر، ولو

(١) الأبيات في الأخبار الطوال ١٦٠، ووقعة صفين ٥٦ـ٥٧.

طاوَعَني أميرُ المؤمنين لحبسَك وأمثالَك من أهل الظنَّة في مجلس لا تخرجون منه حتى تستقيم هذه الأمور.

فخرج جرير إلى قَرْقِيسياء، وكتب إلى معاوية، فكتب إليه يَأمره بالقدوم عليه، وخرج علي عليه السلام فعسكر بالنُّخَيلة، وقدم عليه عبد الله بن عباس بمن نهض معه من أهل البصرة.

وقال ابن إسحاق والواقدي: قال جرير للأشتر: ما يَمنعك من إتيانهم الآن؟ فقال الأشتر: بعد أن أفسَدْتَهم، والله ما أحسِبُك أتيتَهم إلا لِتَتَّخِذَ عندهم يداً، والدليل عليه أنك تُخَوِّفُنا بكثرة جُموعهم. فخاف جرير مما استقبلَه به الأشتر، فخرج من الكوفة ليلاً في أُناسٍ من أهل بيته، فلحق بقَرْقِيسياء، وهي كُورةٌ من كُوَر الجزيرة.

وبلغ علياً فغضب، وأمر بإحراق دارِه، فخرج أبو زُرعة بن عمرو بن جرير فقال: إن كان إنسانٌ واحدٌ قد أجرم، فإن في هذه الدار أَناسيَّ كثيراً لم يُجرِموا، فقال علي: أستغفر الله، ثم خرج.

وقال هشام، عن أبيه: وأمر أمير المؤمنين عبد الله بن الحر[1] أن يكتبَ جوابَ كتاب معاوية، فكتب إليه:

أما بعد: فقد أتاني كتابُ أمير[2] ليس له بَصرٌ يَهديه، ولا قائدٌ يُرشِده، دعاه الهوى فأجابَه، وقادَه فاتَّبعه، زعمتَ أني خَذَلت عن عثمان، ولَعمري إني ما كنتُ إلا كواحدٍ من المهاجرين والأنصار، أُوردتُ كما أوردِوا، وأصدِرتُ كما أُصدروا.

وأما قولُك عن الشورى وأهلِ الشام، فمَن بالشام ممن يَصلح للخلافة؟ فإن سمَّيتَ واحداً كذَّبك الله ورسولُه والمسلمون، وأما اعترافُك بسَوابقي؛ فلو استطعتَ دفعتَها، ولكنك عاجزٌ عن ذلك، ثم كتب في أسفل الكتاب: [من المتقارب]

مَعاويَ دعْ عنك ما لا يكونا ... وقَتْلةَ عثمان إذ تَدَّعونا

أتاكم عليٌّ بأهل العراقِ ... وأهلِ الحجاز فما تَصنعونا

---

(١) كذا، ولعله عبد الله بن الحارث أخو الأشتر.

(٢) في وقعة صفين ٥٧ ، والعقد ٤/ ٣٣٣ : كتاب امرىء.

من أبيات، وأرسله إلى معاوية[١].

فصل في حديث قيس بن سعد بن عبادة وتوليته مصر

قد ذكرنا أن أمير المؤمنين ولّى قيس بن سعد مصر عَقيب قتلِ عثمان، وأنه دخلها، وأنهم افترقوا عليه، وتوقَّف أهلُ خَرِبْتا حتى يَتَّضح الأمر.

وحكى القصةَ هشام بن محمد، عن أبي مِخنَف، عن محمد بن يوسف بن ثابت، عن سهل بن سعد قال: لما قُتل عثمان وولي علي دعا قيس بنَ سعد بن عُبادة الأنصاري فقال له: سِرْ إلى مصر فقد وَلَّيتُكها، واجمع إليك ثقاتك، ومَن أحببتَ أن يَصحبَك، حتى تأتيها ومعك جُند، فإن ذلك أرْعَبُ لعدوِّك، وأعزُّ لسُلطانك، فإذا قَدمتَها فأحسنْ إلى المحسِن، واشْدُد على المريب، وارفُق بالعامَّة والخاصة، فإن الرِّفقَ يُمن، وقال[٢]: أمّا الجُنْد فدَعْهم عندك عُدَّةً لك، وأمّا أنا فأسيرُ بنفسي وأهلِ بيتي، وبالله المستعان.

وخرج قيس في سبعة نَفَرٍ حتى دخل مصر، فصعِد المنبر، فقعد عليه، وقرأ كتاب عليّ عليه السلام على الناس، وفيه:

من عبد الله عليّ أميرِ المؤمنين إلى مَن بلغه كتابي هذا من المسلمين والمؤمنين، سلامٌ عليكم، أما بعد؛ فإني أحمَدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأُصلِّي على رسوله محمد ﷺ، وذكر الأنبياء، وأن الله تَوفّى رسولَه، واستخلف بعده خليفتين صالحَيْن، عَمِلا بالكتاب والسنّة، وأحسنا السيرة، ثم توفّاهما الله على ما كانا عليه، ثم وَلي بعدهما وَالٍ أحدث أحداثاً، فوجَدَت عليه الأمة مقالاً، فنَقَموا عليه وغيَّروه، ثم جاؤوني فبايعوني، ولله عليّ العملُ بكتابه وسنَّةِ رسوله، والنُّصحُ للرعية بالغيب، والله المستعان.

وبعثتُ إليكم قيس بنَ سعد بن عُبادة أميراً، فوازِروه وعاضِدوه، وأعينوه على الحق، وقد أمَرتُه بالإحسان إلى مُحسنِكم، والشدَّةِ على مُريبكم، والرِّفقِ بعوامِّكم

(١) وقعة صفين ٥٧ـ٥٩، والأخبار الطوال ١٦٠ـ١٦١، والعقد ٤/ ٣٣٣ـ٣٣٤.

(٢) يعني قيس، كما في الطبري ٤/ ٥٤٨.

وخواصِّكم، وهو ممَّن أرضى هَديَه، وأرجو صلاحَه ونَصيحتَه، وأسألُ الله لنا ولكم عملاً زاكياً، وثواباً جزيلاً، ورحمةً واسعةً، والسلام عليكم ورحمة الله.

وكتب عُبيد الله بن أبي رافع في صفر سنة ستٍّ وثلاثين.

وقال قيس: أيها الناس، قد جاء الحق وزهق الباطل، وبايَعْنا خيرَ من نعلم بعد نبينا ﷺ، فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإن نحن لم نعمل بذلك فلا بيعةَ لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا، واستقامت مصر، وبعث عليها عُمَّاله، إلا أن قريةً من قُرى مصر يقال لها: خَرِبْتا، فيها أناسٌ قد أعظموا قتلَ عثمان، وبها رجلٌ من كِنانة من بني مُدلِج يُقال له: يزيد بن الحارث بن مُدْلِج، فأرسلوه إلى قيس بن سعد: إنا لا نُقاتلك، فابعث عُمَّالَك، فالأرضُ أرضُك، ولكن أقِرَّنا على حالنا حتى نَنظرَ ما يصير إليه أمر الناس.

ووثب مَسلمة بن مخلّد الأنصاري، فنعى عثمان، ودعا إلى الطلب بدمه، فأرسل إليه قيس بن سعد: ويحك، عليَّ تَثب؟! فوالله ما أحبُّ أن لي مُلكَ مصر إلى الشام وأني قتلتُك، فبعث إليه مَسلمة يقول: إني كافٌّ عنك ما دمتَ والي مصر.

وكان قيس بن سعد له حَزمٌ ورأيٌ، فبعث إلى الذين بخَربتا: إني لا أُكرهكم على البيعة، وأكفُّ عنكم. فهادنَهم وهادن مسلمة بن مخلد، وأقام قيس يَجبي الخراج، لا يُنازعه أحدٌ من الناس.

وخرج أمير المؤمنين إلى الجمل، ورجع إلى الكوفة وقيس مكانَه، فكان أثقلَ خلقِ الله على معاوية بن أبي سفيان؛ لقُربه من الشام، مخافةَ أن يَصلَ إليه أمير المؤمنين من العراق، ويُقبلَ إليه قيس في أهل مصر، فيقع معاوية بينهما، فأخذ يَخدعُه، فكتب معاوية إلى قيس:

من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد، سلامٌ عليك، أما بعد؛ فإنكم إن كنتم نَقَمتم على عثمان في أثرةٍ رأيتموها، أو ضربةِ سَوطٍ ضربها، أو شَتمةٍ شَتَمها، أو في تسييرٍ سيَّره، أو في استعماله الفيءَ، فقد علمتم أن دمَه لم يكن حَلالاً لكم، فقد ركبتم

عظيماً من الأمر، وجئتم شيئاً إِدًّا، فتُبْ إلى الله يا قيس بن سعد؛ فإنك ممّن أعان على عثمان، إن كانت التوبةُ من قتلِ المؤمن تُغني شيئاً.

وأما صاحبُك فقد تيقَّنّا أنه الذي أغرى به، وحَمَلهم على قتله حتى قتلوه، وأنه لم يَسلم من دمه عُظْمُ قومِك، فإن استطعتَ أن تكون ممَّن يَطلب بدم عثمان فافعل، فإن بايعتَنا على هذا الأمر فلك سُلطان العراقَين، ولمن شئتَ من أهلك سُلطانُ الحجاز ما دام لي سلطان، وسَلْني غير هذا مما تُحبّ، فإنك لا تسألني شيئاً إلا أُوتيتَه، واكتب إلي برأيك فيما كتبتُ به إليك، والسلام.

فلما جاءه كتابُ معاوية أحب قيس أن يُدافعَه، ولا يُبدي له أمرَه، ولا يَتعجَّل حَرْبَه، فكتب إليه:

أما بعد؛ فقد بلغني كتابُك، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه، فأما ما ذكرتَ من أمر عثمان فذلك أمرٌ لم أُقارِفه، ولم أتَنَطَّف به. وأما قولُك إن صاحبي أغرى الناس بعثمان، فهذا أمرٌ لم نَطَّلع عليه، وذكرتَ أن مُعظم عشيرتي لم يَسلموا من دم عثمان، فأوّلُ الناس فيه قياماً عشيرتي، ولهم أُسوةٌ غيرهم. وأما ما ذكرتَ من مُبايعتي إياك، وما عرضتَ عليّ؛ فلي فيه نظرٌ وفكرة، وليس هذا مما يُسارَع إليه، وأنا كافٌّ عنك، ولن يَبدوَ إليك من قِبلي شيءٌ تكرهه، والسلام.

فلما قرأ كتابَه معاوية لم يره إلا مُباعداً مُفارِقاً، ولم يأمن مَكيدتَه فكتب إليه:

أما بعد؛ فقد قرأتُ كتابَك فلم أرك تدنو فأَعُدُّك سِلماً، ولم أرك مُباعداً فأعُدُّك حَرْباً، وليس مثلي من يُخدَع وبيده أعِنَّةُ الخيل، ومعه أعداد الرجال، والسلام.

فلما قرأ قيس كتابَه، ورأى أنه لا يَقبل منه المدافَعة والمماطَلَة، أظهر له ما في نفسه، وكتب إليه:

أما بعد، فالعَجَبُ من اغترارك يا معاوية، وطمعِك فيَّ، تسومُني الخروجَ من طاعة أَولَى الناس بالإمْرة، وأقومِهم بالخلافة، وأقولِهم بالحق، وأهداهم سبيلاً، وأقربِهم إلى رسوله وَسيلةً، وأوفرِهم فضيلةً، وتأمُرني بالدخول في طاعتك؛ طاعةِ أبعدِ الناس من هذا الأمر، وأقولِهم بالزُّور، وأضلِّهم سبيلاً، وأبعدِهم من الله ورسوله، ولدِ ضالّين

مُضلّين، طاغوتٍ ابن طاغوت.

وأما قولك: إن معك أعنَّةَ الخيل، وأعدادَ الرجال؛ فوالله لتُشْغَلَنَّ بنفسك حتى تَتمنّى العَدَم.

قال هشام: ولما رأى معاويةُ قيس بنَ سعد لا يَلينُ له كاده من قِبَل أمير المؤمنين.

وكذا روى عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه بإسناده، عن الزهري، وحكى الطبريّ طرفاً منه قال:

كان قيس بن سعد من ذوي البَأس، صاحبَ راية الأنصار مع رسول الله ﷺ، فكان على مصر من قِبَل علي عليه السلام، وكان معاوية وعمرو بن العاص جاهدَيْن على أن يُخرجاه منها ليَغلِبا عليها، وكان قد امتنع منهما بالدَّهاء والمكايدة، فلم يقدرا على أن يَفتتحا مصر؛ حتى كاد معاوية قيس بنَ سعد من قبل أمير المؤمنين.

فكان معاوية يُحدِّث رجالاً من ذوي الرأي من قريش يقول: ما ابتدعتُ قطّ مُكايدةً كانت عندي أعجبَ من مَكيدةٍ كِدتُ بها قيس بنَ سعد من قبل علي وهو بالعراق، حين امتنع مني قيس، قلتُ لأهل الشام: لا تسبُّوا قيساً فإنه لنا شِيعةٌ، وتأتينا كُتُبه ونصائحُه سرّاً، ألا ترون ما فعل بإخوانكم أهل خَرِبْتا؛ يُجري عليهم أُعطياتهم وأرزاقَهم، ويُحسن إليهم.

قال معاوية: وكتبتُ إلى جواسيسي بالعراق يَتحدَّثوا به، فرفعه إلى علي محمد بنُ أبي بكر وعبد الله ومحمد ابنا جعفر بن أبي طالب، فلما بلغ علياً اتّهم قيساً، وكتب إليه يأمُره بقتال أهل خَرِبْتا، وأهلُ خربتا يومئذ عشرةُ آلاف، فأبى قيس أن يُقاتلهم، وكتب إلى علي: إنهم وجوه أهل مصر وأشرافُهم، وأهلُ الحِفاظ منهم، وقد رَضُوا مني أن أؤمِّن سِربَهم، وأُجري عليهم أرزاقَهم، وقد علمت هواهم مع معاوية، فلستُ مُكايدهم بأمرٍ أهون علي وعليك من الذي أفعل بهم، فلو غَزوناهم كانوا أشدَّ العرب، وهم أُسود، منهم بُسْر بن أرطاة ومَسلمة بن مُخلَّد ومعاوية بن حُديج، فذَرْني فأنا أعلمُ بما أُداري به منهم.

فكتب إليه علي: لابدَّ من قتالهم، فكتب إليه قيس: إن كنتَ تَتَّهمني فاعزلني عن

عملك، وابعث إليه غيري، فبعث إليه علي الأشترَ أميراً على مصر، حتى إذا صار بالقُلْزُم شرب شَربةً من عسلٍ كان فيه حتفُه، فبلغ أمره معاوية فقال: إن لله جنوداً من عَسَل، وبلغ علياً موتُ الأشتر، فبعث محمد بنَ أبي بكر أميراً على مصر[١].

قلت: والأصحُّ أن أمير المؤمنين بعث الأشتر على مصر بعد مقتل محمد بن أبي بكر، وأن الأشتر حَضر حروب صفّين لما نذكر في موضعه، وقد نص عليه هشام بن محمد.

وقال هشام بن محمد، عن أبي مِخْنَف ـ وجه آخر في حديث قيس بن سعد ومعاوية ـ قال: لما أيس معاوية من قيس بن سعد مُتابَعته على أمره، شقَّ عليه لما يَعرف من حَزْمِه وبأسِه، فأظهر للناس أن قيساً قد بايعه، واختَلقَ معاوية كتاباً، فقرأه على أهل الشام، وفيه:

أما بعد، فإني لما نظرتُ رأيتُ أنه لا يَسَعُني مُظاهرةُ قومٍ قتلوا إمامَهم مُحرماً مسلماً بَرَّاً تقيّاً مستغفِراً، وإني معكم على قَتَلَتِه بما أحبَبْتُم من الأموال والرجال، متى شئتم عَجِلتُ إليكم.

قال: فشاع في الشام أن قيساً قد بايع معاوية، وبلغ ذلك أمير المؤمنين، فأكبر ذلك وأعظمَه، فقال له عبد الله بن جعفر: دَعْ ما يَرِيبُك إلى ما لا يَرِيبُك[٢]، اعزلْ قيساً عن مصر، فقال علي: والله ما أُصدّق هذا على قيس، قال: اعزله، فبينما هم على ذلك إذ جاء كتابُ قيسٍ إلى علي: أما بعد، فإني أُخبر أمير المؤمنين أن قِبَلي رجالاً معتزلِين، قد سألوني أن أَدعَهم على حالهم، حتى يستقيم أمرُ الناس ويَرون رأيَهم، وقد رأيتُ أن أكفَّ عنهم، ولا أتعجَّل حربَهم، وأن أتألَّفَهم فيما بين ذلك، لعل الله أن يُقبل بقلوبهم.

فقال عبد الله بن جعفر: ما أخوَفَني أن يكون هذا مُمالأةً لهم منه، فَأْمُره بقتالهم.

فكتب إليه علي: أما بعد، فسِرْ إلى القوم الذين ذكرتَ، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون وإلا فناجِزْهم.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٥٢ـ٥٥٣ .

(٢) قوله: دع ما يريبك... حديث أخرجه أحمد (١٧٢٣) عن الحسن رضي الله عنه.

فكتب إليه: قد عجبتُ لأمرك؛ أن تأمُرَني بقتال قومٍ كافّين عنك، ومتى حاربتَهم ساعدوا عليك عدوَّك، فأطِعْني واكفُف عنهم، فإن الرأيَ تركُهم، والسلام.

فلما أتاه هذا الكتاب قال له عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، ابعث محمد بن أبي بكر إلى مصر يَكفيك أمرَها، واعزل قيساً؛ فقد بلغني أن قيساً يقول: والله إن سلطاناً لا يقوم إلا بقتل مَسلمة بن مخلّد لسلطانٌ سوء، والله ما أحبُّ أن مُلكَ الشام إلى مصر لي وأني قتلتُ ابنَ مخلّد، وكان عبد الله بن جعفر أخا محمد بن أبي بكر لأمّه، فولّى محمداً وعزل قيساً.

ذكر قُدومِ محمد بن أبي بكر إلى مصر

فلما قدم محمد بن أبي بكر مصر قال له قيس بن سعد: ما بالُ أمير المؤمنين، ما غَيّره؟ أدخل أحدٌ بيني وبينه؟ قال: لا والله، وهذا السلطانُ سلطانُك، فقال له: والله لا أُقيم معك ساعةً واحدة، وغضب حين عُزل، وخرج مُقبلاً إلى المدينة فقدمها، فجاءه حسان بن ثابت شامِتاً به ـ وكان عثمانياً ـ فقال له: نَزعك عليّ بن أبي طالب، وقد قتلتَ عثمان، وبقي عليك الإثمُ، ولم يَحسن لك الشّكر، فقال له قيس: يا أعمى القلب والبصر، والله لولا أن أُلقي بين رهطي ورهطِك حرباً لضربتُ عُنُقك، اخرج عني.

ثم إن قيساً خرج هو وسَهل بنُ حُنَيف، حتى قدما الكوفةَ على علي، فأخبره الخبر، فصدّقه على ما قال، قال: وشهد قيس وسهل معه صفين.

وفي رواية: لما قدم قيس بن سعد على علي استحيى من قيس وقال: والله ما أنت عندي بالمتَّهم، ولكن بلغني عن معاوية كذا وكذا، فارجع إلى عملك، فقال: لا والله، روحي دون روحك، وأخرج له كُتُب معاوية وقال: أراد أن يَخدعَني، فلما يئس مني مَوَّه عليك، فقال: صدقتَ، وكان أحظى الناس عنده.

وهذه روايات هشام عن أبي مخنف، وقد ذكرها الطبري مُطوَّلة[1].

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٥٣ـ٥٥٥ .

وقال هشام عن أبي مخنف: لما قدم محمد مصر قرأ عليهم كتابَ أمير المؤمنين يدعوهم فيه إلى الطاعة، وهو من جِنْس كتابه لقيس بن سعد، وفي آخره: وكتب عُبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ لغُرَّة شهر رمضان.

قال: ثم إن محمداً لم يَلبَث شهراً حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين وادعهم قيس بن سعد، فقال لهم: إما أن تَدخلوا في طاعتنا، وإما أن تَخرجوا من بلادنا، فقالوا: لا تَعجَلْ علينا، دعنا ننظر في أمورنا إلى ما نصير إليه، فأبى عليهم، فامتنعوا منه، وأخذوا حِذرَهم وهم لمحمد هائبون، حتى كانت وقعة صفّين، وصار أمرُهم إلى الحكومة، ورجع علي إلى العراق، ومعاوية إلى الشام، اجترؤوا حينئذ على محمد بن أبي بكر، وبارزوه بالعصيان، فبعث إليهم محمد الحارثَ بنَ جُمهان الجُعْفيّ إلى خَرِبْتا، وفيها يزيد بنُ الحارث من بني كِنانة، فقاتلهم فقتلوه، ثم بعث إليهم محمد رجلاً آخر من كلب، يُدعى ابن مصاهر[1] فقتلوه، وظهروا على محمد، وصاروا مع معاوية، وقَتل بعد ذلك معاوية بنُ حُدَيج محمد بنَ أبي بكر لما نذكره.

وقال أبو اليقظان: لما يئس معاوية من قيس بن سعد كتب إليه: أما بعد، فإنك يهوديّ ابن يهودي، مات أبوك طَريداً بحوران.

فكتب إليه قيس: أما بعد، فإنك وَثَنٌ ابنُ وثن ابن وثن، دخلتَ في الإسلام كُرهاً، وخرجتَ منه طَوعاً، لم يتقدَّم[2] إيمانُك، وظهر نِفاقُك، ونحن أنصارُ الدين الذي دخلتَ فيه كُرهاً، ومرقتَ منه طَوعاً. وأما أبوك فملعونٌ على لسان رسول الله ﷺ يوم الأحزاب، وأنت وأخوك ـ أو وأخواك ـ معه، والسلام.

وفيها قدم مَرزُبان مَرْو على علي عليه السلام ـ واسمه: ماهَوَيه ـ بعد الجمل مُقِرّاً بالصّلح، فصالحه علي، وكتب له كتاباً إلى الدَّهاقين، ثم كفر بعد ذلك، فبعث إليه علي خُلَيْدَ بن قُرَّةَ اليَربوعي.

---

(١) في الطبري ٤/ ٥٥٧ : ابن مضاهم.

(٢) في العقد ٤/ ٣٣٨ : فأنت وثني ابن وثني... لم يَقْدُم.

ذكر اتفاق عمرو بن العاص ومعاوية على أمير المؤمنين في هذه السنة

واختلفوا فيه، روى سيف بن عمر، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا: لما أُحيط بعثمان خرج عمرو بن العاص من المدينة إلى الشام، وقال: يا أهلَ المدينة، والله لا يُقيم بها أحدٌ فيُدرِكه قَتلُ هذا الرجل إلا ضربه الله بذُلّ، مَن لم يستطع نصرَه فليذهب، فسار ومعه ابناه عبد الله ومحمد، وتتابع الناس على ذلك إلا من شاء الله.

فنزل بقصر العَجْلان، وقيل: نزل بفِحْل، فبينما هم على ذلك إذ مرَّ بهم راكبٌ، فقالوا: من أين؟ قال: من المدينة، قال له عمرو: ما اسمُك؟ قال: حصيرة، قال: حُصِر الرجل، فمر بهم راكب آخر فقال: ما اسمك؟ فقال: قَتّال، قال عمرو: قُتِل الرجل، فمر بهم راكب آخر فقال له: ما اسمك؟ قال: حَرْب، قال عمرو: يكون حرب، ثم سأله فقال: قُتل عثمان، فارتحل عمرو ومعه ابناه، وهو يبكي كما تبكي المرأة ويقول: واعثماناه، أنعى الحياءَ والدين، حتى قدم دمشق.

وفي رواية: فقال له ابنه عبد الله: توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض، وكذا أبو بكر وعمر، وأرى أن تكُفَّ يدَك، وتجلس في بيتك، حتى يَجتمعَ الناس على إمام فتبايعه، وقال له ابنه محمد: أنت نابٌ من أنياب العرب، فلا أرى أن يَجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صَوتٌ ولا ذِكر. فقال عمرو: أما أنت يا عبد الله فأمرتَني بالذي هو خيرٌ لي في آخرتي، وأسلم لي في ديني، وأما أنت يا محمد فأمرتَني بما فيه خيرٌ لي في دُنياي، وشرٌّ لي في آخرتي.

ثم خرج عمرو ومعه ابناه حتى قدم على معاوية، فوجد أهلَ الشام يَحضُّون معاويةَ على الطَّلبِ بدم عثمان، فقال عمرو: أنتم على الحق، اطلبوا بدم الخليفة المظلوم، ومعاوية لا يَلتفتُ إليه، ولا يَعبَأُ بقوله لما بلغه عنه، فقال له ابناه: ألا ترى إلى معاوية لا يلتفتُ إلى قولك! انصرف إلى غيره.

فدخل عمرو على معاوية، فقال له: عجباً لك! أنا أرفِدُك بما أرفدك وأنت مُعرضٌ عني؟! أما والله لئن قاتَلْنا معك بطلب دم عثمان إن في النفس من ذلك ما فيها؛ حيث نقاتل من نَعلم سابقتَه وفضلَه وقرابتَه، ولكنا إنما أردنا هذه الدنيا، فصالحه معاوية

وعَطف عليه. وهذا قول الواقدي.

وأما الهيثم بن عدي فإنه قال: أقام عمرو بفلسطين يَتربّص، ولم يَقدم على معاوية، فلما عزم معاوية على قتال أمير المؤمنين شاور أصحابه، فقالوا له: هذا أمرٌ عظيم لا يَتمّ إلا بعمرو؛ فإنه قَريعُ زمانه في الدَّهاء والمكر والخديعة، يَخدع ولا يُخدع، وكان معاوية يتَّهمه بأمير المؤمنين لما بدا منه في حقّ عثمان، فقال معاوية لأخيه عُتبة بن أبي سفيان: فما الرأي؟ قال: اكتب إليه، واخدَعْه بالمال والبلاد.

فكتب إليه معاوية: من معاوية بن أبي سفيان خليفةِ أمير المؤمنين عثمان إلى عمرو ابن العاص صاحبِ رسول الله ﷺ وأميرِ عسكره بذات السَّلاسل، المعظَّمِ رأيُه، المفَخَّم تدبيرُه، سلام عليك، أما بعد: فقد علمتَ احتراقَ قلوب المؤمنين، وما أُصيبوا به من الفَجعة بقتل إمام المتَّقين، وما ارتكب جارُه من البغي، وامتناعه من نُصرته، وخِذلانه إياه، حتى قُتل في محرابه صائماً، فيا لها من مُصيبة أوجبت على جميع المسلمين الطَّلبَ بدمه، وأنا أدعوك إلى الحظّ الجزيل من الثواب، والنصيبِ الأوفَر من الأجر، قتل مَن آوى قَتَلةَ عثمان.

فلما وقف عمرو على كتابه عرف مَقصودَه، فكتب إليه:

أما بعد، فإني قرأتُ كتابَك وفهمتُه، فأما ما دعوتَني إليه من خَلْعِ رِبْقةِ الإسلام من عُنقي، والتَّهوّر في الضلالة، وإعانتي لك على الباطل، واختراطِ السيف في وجه أمير المؤمنين؛ أخي رسول الله، ووصيِّه، وقاضي دينه، وصهرِه على ابنته، وأبي السبطين الحسن والحسين سيِّدَي شباب أهلِ الجنة، فمعاذ الله أن أشارِك في الغيّ والضّلال.

وأما قولك إنك خليفة عثمان فقد عُزلتَ بموته، وأما قولُك إني صاحب جيش رسول الله فإني لا أعتز بالتزكية، ولا أميل بها عن الملَّة، وأما نِسبتُك أمير المؤمنين إلى قتلِ عثمان، وزعمِك أن أصحاب رسول الله فَسَقة، وأنه أَشلاهم عليه، فهذا زُورٌ وبُهتان.

وَيْحك يا معاوية، ألم تعلم أن أبا الحسن بذل نفسه لله، وبات على فراش رسول الله ﷺ ليلةَ هجرته، يَفديه بنفسه، ويَقيه بروحه، أليس هو القائل في حقّه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» «من كنت مَولاه فعليّ مَولاه» وكتابُك الذي هذا جوابُه ليس يَخدع ذا عقلٍ ودين، والسلام.

فلما قرأ معاوية كتابه يئس منه، فقال له أخوه عُتبة: لا تيأس منه، وعِدْهُ ومَنِّه، ورَغّبه في الولايات، وأشرِكْه في سُلطانك، وإلا لم تأمَنْه، فكتب إليه معاوية: [من الطويل]

جهِلتَ ولم تعلم مَحلَّك عندنا ... فأرسلت سيباً من عتاب ولا تدري
فثِقْ بالذي عندي لك اليوم آنفاً ... من العزِّ والإكرام والجاه والقَدْرِ

فكتب إليه عمرو وقال [من الطويل]

أبى القلبُ مني أن يُخادع بالمكرِ ... بقتل ابن عَفّانٍ أُجَرُّ إلى الكُفرِ
وإني لَعمري ذو دَهاءٍ وفِطنةٍ ... ولستُ أبيع الدِّينَ بالمال والوَفْرِ
أليس صغيراً مُلكُ مصرَ تَبيعُه ... هي العارُ في الدنيا على الآل من عمرو

فقال له عُتبة: أقطِعْه مصر فإنها ليست في يدك، ألا ترى أنه قد تعرَّض لها؟! فكتب إليه بعهده على مصر، فكتب إليه عمرو: [من الطويل]

مُعاويَ لا أُعطيك ديني ولم أنَلْ ... به منك دُنيا فانظُرنْ كيف تَصنعُ
فإن تُعطِني مصراً فأرْبِحْ بصَفقةٍ ... أخذتَ به شيخاً يَضرُّ ويَنفعُ

وبات عَمرو طول ليلته مفكّراً، فدعا غلاماً له يُقال له: وَرْدان ـ وهو الذي يُنسب إليه سوق وَردان بمصر ـ فاستشاره فقال: إن مع علي آخرة ولا دنيا، وإن مع معاوية دنيا ولا آخرة، والتي مع علي تَبقى، والتي مع معاوية تَفنى، فقال: صدقتَ.

ثم أصبح فركب فَرسه ومعه ولداه عبد الله ومحمد، فعبد الله يَمنعه عن قَصْدِ معاوية، ومحمد يُريده أن يَقصد معاوية، فلما وصل إلى طريق تأخذ إلى المدينة، وطريق تأخذ إلى دمشق، وقف ساعة يُفكّر، ثم ضرب رأس فرسه إلى دمشق وقال: معاوية أرفقُ بنا من علي، فقدم على معاوية.

وقال الواقدي وابن إسحاق: ولما قدم جرير على معاوية بكتاب أمير المؤمنين استشار معاوية عَمراً، فقال له: ما ترى؟ فقال عمرو: إنه قد أتاك في هذه البيعة رجلٌ من أعيان الصحابة، من عند خير الناس، ولستُ أرى لك أن تَدعو أهلَ الشام إلى الخلافة، فإن ذلك خطرٌ عظيم، حتى تتقَدّم قبل ذلك بتَوطين الأشراف منهم، وإشرابِ قلوبهم اليقينَ أن علياً قتل عثمان، ورأسُ أهل الشام شُرَحْبيل بن السِّمْط الكندي،

فأرسل إليه ليأتِك، ثم وَطِّن له الرجال على طريقه؛ يُخبرونه بأن علياً قتل عثمان، فإن عَلِقت هذه الكلمةُ بقلبه لم يُخرجها شيءٌ أبداً، فأقام له على طريقه يزيد بن أسد، وسفيان بن عمرو، ومُخارق بن الحارث وغيرهم، فوَطَّنهم على ذلك.

وقدم شُرحبيل، فأمر معاوية أشرافَ أهل الشام باستقباله، وأوصى كلَّ واحدٍ إذا خلا به ألقى في سمعه تلك الكلمة، فلما دخل على معاوية مغضباً قال له: ألا إن ابنَ أبي طالب قتل عثمان، ووالله لئن بايعتَه لنُخرجَنّك من الشام، فقال معاوية: إنما أنا واحدٌ منكم، والأمرُ أمرُكم، قال: فاردُدْ هذا الرجلَ إلى صاحبه ـ يعني جريراً ـ فقال له معاوية: إن هذا الأمر لا يَصحّ حتى تَمشي في مدائن الشام مدينة بعد مدينة وتقول: إن علياً قتل عثمان، فغضب له طلحة والزبير، فسار علي خلفَهم فقتلَهم، وغلب على أرضهم، ولم يبق إلا هذه البلاد، وهو واضعٌ سيفَه على عاتقِه، ولابد له منكم.

وكان شرحبيل مُطاعاً في الشام عظيماً، أعظم من معاوية ففعل ذلك، فأجابه الناس إلا نفراً من أهل حمص نُسَّاكاً؛ فإنهم لزموا بيوتَهم ومساجدهم وقالوا: أنتم أعلم.

فلما ذاق معاوية أهلَ الشام، وعرف أنه قد وَقَر في قلوبهم ما وَقَر قال لجرير: الحق بصاحبك، وأخبِرْه أني وأهل الشام لا نُبايعه أبداً. ولهذا ضبط جريراً ثلاثةَ أشهر.

ذكر مسير أمير المؤمنين إلى صِفّين

قد ذكرنا أنه كان نازلاً بالنُّخيلة، وأنه جهَّز جريراً بكتابه إلى معاوية، وعَوده بالجواب.

وقال أبو اليقظان: لما قدم جرير على معاوية قال: وافَقْتُه على المنبر قد عَلَّق عليه قميصَ عُثمان وهو يَندُبُه، وأهلُ الشام يَبكون حولَه، قال: وكان قد رافَقَني في طريقي رجلٌ لا أعرفه، يَسير لمسيري ويُقيم لمقامي ولا أشعرُ به، فلما قَدِمنا إلى دمشق تَقدَّم إلى معاوية وقال له: [من الرجز]

إن بـنـي عـمِّـك عـبـدِ الـمـطَّـلِـبْ
قـد اسـتـحـلُّـوا شـيـخَـنـا غـيـرَ كَـذِبْ
وأنـت أَوْلـى الـنـاس بـالـوَثْـبِ فـثِـبْ

ثم ناوله كتاباً من الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط، وكان نازلاً بالجزيرة على البَليخ؛ بقريةٍ يُقال لها: عين رومية، وقيل: عين أبي سنان، من أعمال الرقّة، وبها مات، ولم يشهد صفّين مع معاوية على ما قيل.

قال جرير: وكان في كتابه إلى معاوية: [من الطويل]

مُعاويَ إن الملك قد جُبَّ غارِبُه ... وأنت بما في كفِّك اليوم صاحبُهْ
أتاك كتابٌ من عليٍّ بخُطَّةٍ ... هي الفَصْلُ فاختر سِلْمَه أو تُحارِبُهْ
فإن كنتَ تَنوي أن تُجيبَ كتابَه ... فقُبِّحَ مُمْليه وقُبِّحَ كاتِبُهْ
وإن كنتَ تَنوي تَرْكَ رَجْعِ جوابه ... فأنت بأمرٍ لا محالةَ راكِبُهْ

من أبيات.

قال جرير: فلما قرأ معاوية كتاب أمير المؤمنين قال: ما ترى [ما] الناس فيه من النُّفْرَة؟! أقم حتى يَسكنوا، فأقمتُ عنده أربعةَ أشهر، فبينما أنا عنده إذ وَرَد كتابٌ آخر من الوليد بن عُقبة يقول: [من الوافر]

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حَرْبٍ ... بأنّي في الكُفاةِ له مُليمُ
قطعت الدهر كالشَّذَبِ المعَنّى ... تُهدِّر في دمشق وما تَريمُ[1]

من أبيات.

قال الجوهري: الشَّذَبةُ بالتحريك: ما يُقطع مما تَفَرّق من أغصان الشجر ولم يكن في لُبِّه[2].

قال جرير: فلما وقف معاوية على أبيات الوليد، وصل معاوية بين طُومارَيْن أبيضين وختمه، وكتب على عُنوانه: من معاوية إلى علي، ودفعه إليّ، وبعث معي رجلاً من عَبْس، فلما قَدِمنا الكوفة، ودخلنا على أمير المؤمنين في المسجد، فناولتُه الطُّومار، ففتحه فلم يجدوا فيه شيئاً، وقام العبسيّ وقال: لقد تركتُ أكثر من خمسين ألف شيخ حول قميص عثمان، خاضبي لحاهم بدموعهم [يبكون] على عثمان، مُتعاقِدِين

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٦٤، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٠٢.
(٢) صحاح الجوهري: (شذب).

مُتعاهِدين ليَقتُلُنّ قَتَلةَ عثمان، وبالله أُقسم ليُصَبّحنّكم خمسون ألف عَنان، فصاح الأشتر والناس: اقتلوا الفاسق رسولَ الفاسق، فوالله ما نُبالي بخيلك ولا شيوخك، وسيعلمُ ابنُ هند، وثار الناس ليَقتلوه فهرب فلا يُدرى أين ذهب، فحينئذٍ خرج أمير المؤمنين إلى النخيلة.

وقال هشام: كتب أمير المؤمنين قبل رحيله من النُّخيلة إلى معاوية كتاباً يَتهدّده فيه، أبرَق فيه وأرعد، ووعد وأوعد، وخوَّف وهَدّد، ودعا بالأصبغ بن نُباتة التميمي فقال: اذهب به إليه.

قال الأصبغ: فدخلتُ على معاوية، وعن يمينه عمرو بن العاص، وعن يساره ذو الكلاع، وحوله عبد الله بن عامر بن كُريز، وأخوه عتبة بن أبي سفيان، وعبد الرحمن ابن خالد بن الوليد، وشُرَحبيل بن السّمط، وبين يديه أبو هريرة، والنعمان بن بشير، وأبو أمامة الباهلي.

قال: فناولته الكتاب، فقرأه وقال: إن علياً لا يَدفع إلينا قتلَةَ عثمان، قال: فقلت له: يا معاوية، لا تَتعلَّل بدم عثمان فإنك والله لا تَطلب إلا الملك، ولو أردتَ نُصرة عثمان حياً لفعلتَ، ولكنك تربَّصتَ به لما أرسل يَستصرخ بك، وأخفيتَ كتابَه، وتقاعدت عليه حتى قُتل؛ لتجدَ سبيلاً إلى ما في نفسك بقتله.

قال: فاستشاط غضباً، فأردتُ أن أزيدَه فقلت: يا أبا هريرة، أنت صاحب رسول الله ﷺ، أُقسم عليك بالله الذي لا إله إلا هو، هل سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»؟ قال: إي والله، سمعتُه يقول ذلك يوم غدير خُمّ، قال: فقلت: فأنت يا أبا هريرة واليتَ عدوَّه وعاديتَ وَليّه، فتنفَّس أبو هريرة واسترجع، وقال معاوية: يا هذا كفَّ عن كلامك؛ فإنك لا تستطيع أن تَخدع أهلَ الشام عن الطلب بدم عثمان؛ فإنه قُتل مظلوماً في حرم رسول الله ﷺ، في شهر حرام، عند صاحبك، وهو الذي أغراهم به حتى قَتلوه، وهم اليوم معه: أنصاره وأعوانه، ويده ورجله، وما مثلُ عثمان مَن يُهدر دمُه.

قال ذو الكَلاع وحَوشب: لننَصُرنّك حتى تحصّل مُرادك أو نقتل عن آخرنا، فقام الأصبغ وهو يقول: [من المتقارب]

مُـعـاويَ لله مـن خـلـقـه عـبـادٌ قـلـوبُـهـم قـاسِـيَـهْ
وقـلـبُـك مـن شـرِّ تـلـك الـقـلـوب ولـيـس الـمـطـيـعـة كـالـعـاصـيـه
دع ابـنَ خُـديـج ودع حَـوشـبـاً وذا كَـلـعٍ واطـلُـب الـعـافـيـه

فصاح معاوية: انصرف، أرسولاً جئتَ أو منفّراً؟!

قال علماء السير: ولما نزل أمير المؤمنين النُّخَيلة استشار أصحابَه في المسير إلى صفّين، فأشار عليه قوم أن يُقيم ويَبعثَ الجيوش، وأشار عليه قوم بالمسير والمباشرة، وقدم عليه عبد الله بن عباس من البصرة بمَن نَفَر معه من أهلها.

وقال الواقدي: واستخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاري، وكتب إلى عماله بالقدوم عليه، واستخلف ابنُ عباس على البصرة أبا الأسود الدّيلي.

ولما تحقّق عزم أمير المؤمنين على المسير بلغ معاوية، فاستشار عمرو بن العاص، وقال له: قد أشار علي القوم بأن أبعث الجيوش وأقيم، فقال له: سِرْ بنفسك لئلا يَنسبكم إلى الجُبن والخَوَر والضّعف، فقال له معاوية: فقم فحرِّض الناس، وضَعِّف علياً وأصحابَه، فقام عمرو فقال: إن أهل العراق والبصرة مخالفون لعلي، قد قتلهم ووَتَرهم، وأفنى صناديدَهم وصناديدَ أهل الكوفة، وإنما سار في شِرذمةٍ قليلة منهم، وقد قتل خليفتَكم، فالله الله في دم عثمان أن تُضيّعوه، وحقكم أن تُبطلوه.

وعقد لولدَيْه لوائين، ولغلامه وَرْدان، [وعقد عليٌّ لغلامه] قَنْبَر، وقال عمرو: [من الرجز]

هـل يُـغـنـيَـنْ وَرْدانُ عـنّـي قَـنـبَـرا
وتُـغـنـيَ الـسَّـكـونُ عـنّـي حـمـيَـرا
إذا الـكُـمـاةُ لَـبِـسـوا الـسَّـنَـوَّرا

وبلغ أمير المؤمنين فقال: [من الرجز]

لأصـبِـحـنَّ الـعـاص وابـنَ الـعـاص
سـبـعـيـن ألـفـاً عـاقِـدي الـنَّـواصـي
مـجـتَـنـبـيـنَ الـخـيـلَ بـالـقِـلاص

مُسْتَحْقِبِينَ حَلَقَ الدِّلاصِ[1]

وسار معاوية نحو العراق، وخرج أمير المؤمنين من النُّخَيلة، فنزل المدائن، وولى عليها سعد بنَ مسعود الثقفي عمَّ المختار بن أبي عبيد، وجَهَّز الطلائع بين يديه، فبعث زياد بن النَّضْر الحارثي في ثمانية آلاف، وشُريح بن هانىء في أربعة آلاف، ومَعقِل بن قيس في ثلاثة آلاف، وأمره أن يأخذ على الموصل، حتى يُوافيه بالرقّة، ورحل من المدائن في جيوشه، وسار بين دجلة والفرات.

وقال أبو اليقظان: لما أراد أمير المؤمنين المسير قَدَّم بين يديه زياد بن النَّضْر الحارثي، وشُرَيح بن هانىء، وعقد لكلّ واحدٍ منهما على ستة آلاف.

وقال هشام بن محمد: فوصل إلى الرقة، فلم يجد عندها سفينة، كانوا قد أحرزوا الكلّ، فقال: يا أهلَ الرقة، اجْسُروا لي جِسراً لأعبر إلى الشام، فلم يفعلوا.

وقال الهيثم: ناداهم أمير المؤمنين: يا أهل الرّقّة، أين سُفنكم؟ فقالوا: راحت تَرعى، فدعا عليهم بالذلّة والمسكنة.

قال هشام: وعزم أمير المؤمنين على النّهوض إلى مَنْبج ليَعبرَ على جسرها، فناداهم الأشتر: يا أهل الجزيرة ـ أو يا أهل الحصن ـ أقسم بالله، لئن لم تَمدُّوا لنا الجسر لأضَعنَّ فيكم السَّيف، ولأقتُلنّ رجالَكم، ولأسْبِينّ ذَراريكم، ولآخُذنَّ أموالَكم، فخافوا وقالوا: إنه الأشتر، والله ليَفينّ بما حلف عليه، فصاحوا: إنّا ناصِبون لكم الجسر، فنصبوه، وجاء أمير المؤمنين فعبر عليه بالأثقال والرّجال، ووقف الأشتر عند الجسر في ثلاثة آلاف، حتى لم يَبقَ أحدٌ غيره، وهو آخر الناس.

وقال أبو مخنف: لما عَبروا ازدحمت الخيل، فسقطت قَلَنْسُوة عبد الله بن أبي الحُصين الأزدي، فنزل فأخذها وركب، فسقطت قلنسوة عبد الله بن الحجّاج الأزدي، فنزل فأخذها ثم ركب.

وقال أبو مخنف: وسار أمير المؤمنين وبين يديه زياد بن النَّضْر الحارثي وشُرَيح بن هانىء، فلما انتَهوا إلى سُور الروم لَقيهم أبو الأعور السُّلَمي ـ وهو عمرو بن سفيان ـ

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٥٦٣ .

في جُندٍ من أهل الشام، فأرسلا إلى علي فأخبراه، فقال للأشتر: يا مالك، اذهب إليهما فأنت الأمير على الناس، وإياك أن تَبدأهم بقتالٍ حتى يَبدؤوك، واجعل على ميمنتك زياداً، وعلى الميسرة شُريحاً، وأنا قادم عليكم، ولا تَدْنُ من القوم دُنُوَّ مَن يُريد أن يُنشب الحرب، ولا تتباعد عنهم، بل كن وَسطاً.

فسار الأشتر ففعل ما أُمر به. وقيل إنما بعث إليه الحارث بنَ جُهمان الجُعفي، فأمره بذلك.

وبعث علي إلى زياد وشُريح: إني قد أَمَّرتُ عليكما الأشتر أو مالكاً، فاسمعا له وأطيعا.

والتقى الأشتر وزياد وشُريح بأبي الأعور، فاتَّبع الأشتر ما أمره علي، وكفّ عن القتال، ولم يزالوا مُتواقِفَين، حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور، فثبتوا له، ثم انصرف أبو الأعور، فلما كان من الغد عاد أبو الأعور، فأرسل إليه الأشتر سنانَ بنَ مالك النَّخَعي يَطلب منه أن يُبارِزَه، فقال له سنان: فأنا أُبارزه، فقال: يا ابن أخي، إنك حَدَثُ السّنّ، وإن كنتَ من أهل الشَّرف والكفاءة، وإن الحَدَثَ لا يُبارز الكَهْل، ولكن اذهب إليه وادعُه إلى مُبارزتي.

فذهب سنان إلى أبي الأعور فقال: إن الأشتر يَدعوك إلى أن تُبارزَه، قال: فسكتَ عني طويلاً، فقال: إن خفّةَ الأشتر وسوءَ رأيه يُقبّح محاسِنَه، ومن خِفّته وسوءِ رأيه أنه سار إلى ابن عفان إلى دارِه وقراره، فكان في جُملة مَن قتله، فأصبح مَطلوباً بدمه، لا حاجة لي في مُبارزته، قال: فقلتُ: إنك قد تكلَّمتَ فاسمع جوابَك، فقال: لا حاجةَ لي في سَماع كلامِك اذهب، قال: فانصرفتُ إلى الأشتر، فأخبرتُه فقال: لنفسه نظر.

وخرج هاشم بنُ عُتبة الزُّهري فاقتتلوا، وحمل عليهم الأشتر، فقُتل عبد الله بن المنذر التَّنوخي، قَتله ظَبيان بن عُمارة التميمي من أصحاب الأشتر وهو حَدَث، وكان عبد الله بن المنذر التَّنوخي فارسَ أهل الشام، وجعل الأشتر يقول: وَيحكم، أروني أبا الأعور، ووقفوا إلى الليل.

ثم انصرف أبو الأعور وأصحابُه تحت الليل، وصبَحهم علي من الغد، وساروا إلى صفّين، فوجدوا معاوية قد اشتَرف مكاناً على شاطىء الفرات سهلاً أَفيَح، قد اختاره قبل وُصول أمير المؤمنين، ليس في ذلك الموضع كلّه شَريعةٌ غيرها، وجعلها في

حَيِّزه، وبعث عليها أبا الأعور يحميها.

قال هشام عن أبي مخنف: فحدثني تميم بن الحارث الأزدي، عن جُندب بن عبد الله قال: كنتُ مع أمير المؤمنين، فلما رآهم قد فعلوا ذلك أتيناه فأخبرناه ـ وكان قد نزل ناحيةً عن الفرات ـ وقلنا: قد عَطِش الناس، ولا نَجد شَريعةً غير شريعةِ القوم، فقال الأشعث بن قيس الكندي: أنا أسير إليهم، فقال علي: سِرْ، قال: فسار وسرنا معه، فلما دَنونا من الماء ثاروا في وُجوهنا، فحَصَبونا وَرَشقونا بالنَّبْل، ورَشَقناهم ساعة، ثم اطَّعَنّا بالرماح وتضارَبْنا بالسيوف.

ثم جاء يزيد بن أَسَد البَجَلي مَدداً للقوم، وجاء عمرو بن العاص من عسكر معاوية في جُندٍ كثير يُمِدُّ أبا الأعور، وخرج شَبَثُ بنُ رِبْعيّ والأشتر من عسكر علي في جَمعٍ عظيم، واشتدّ القتال، فارتجز عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي يقول:

خَلُّوا لنا ماءَ الفراتِ الجاري أوِ اثبُتُوا لجَحْفَلٍ جَرَّارِ
لكلِّ قِرْنٍ مُستميتٍ شاري مُطاعِنٍ بُرمْحِه كَرَّار
ضَرَّابِ هاماتِ العِدا مِغْوارِ

قال أبو مِخنف: وجعل ظَبيان بن عُمارة يقاتل ويقول: [من الرجز]

هل لك يا ظَبيانُ من بَقاءِ
في ساكنِ الأرضِ بغيرِ ماءِ
لا وإلهِ الأرضِ والسماءِ
فاضرب وُجوهَ القوم بالأعداءِ
حتى يُجيبوك إلى السَّواءِ(١)

ثم إن القوم خَلّوا عن الماء، فما أمْسَوا إلّا وسُقاةُ العسكَرَين يَزدحمون على

(١) في وقعة صفين ١٧٢، والطبري ٤/ ٥٧٠:

فاضرب وجوه الغُدر الأعداء
بالسيف عند حَمَس الوغاء
حتى يجيبوك إلى السواء

الشّريعة، لا يُؤذي إنساناً إنساناً.

وروى الطبري عن أبي مخنف قال: لما مَنعوا أصحابَ أمير المؤمنين الماء، بعث أميرُ المؤمنين صَعصعة بنَ صُوحان إلى معاوية، وقال: قُلْ له: إنا سِرْنا إليكم، ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، وإنك قَدَّمتَ إلينا خيلَك ورَجِلك، فقاتلتَنا قبل أن نُقاتِلَك، وبدأتَنا بالقتال، وكففنا عنك قبل أن نَدعوَك ونَحتجّ عليك، وهذه أُخرى قد فعلتَها؛ حُلتَ بين الناس وبين الماء، والناس غيرُ منتَهِين حتى يَشربوا، فابعث إلى أصحابك فليُخَلُّوا بينهم وبين الماء، ويكفُّوا حتى نَنظُرَ فيما قَدِمنا وقدمتُم له، وإن كان أعجبَ إليك أن تَترُكَ ما جئنا له، ونَترك الناس يَقتتلون على الماء حتى يكون الغالبُ هو الشارب فعلنا.

قال: فقال معاوية لأصحابه: ما تَرون؟ فقال الوليد بن عُقبة: امنعْهم الماء كما منعوه عثمان، حصروه أربعين صباحاً يَمنعونه بَرْدَ الماء، اقتلْهم عطشاً.

وقال له عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح: امنعهم الماء إلى الليل؛ فإنهم إن لم يَقدروا عليه رجعوا، فيكون رجوعهم ذُلاً لهم.

قلت: وقول الطبري إن الوليد بن عُقبة وعبد الله بن سعد شهدا صفّين وَهم، فإن الواقدي قال: لم يشهداها.

قال: فقال له عمرو بن العاص: يا معاوية، خَلِّ بين القوم وبين الماء، فإن القوم لن يَعطشوا وأنت رَيّان.

فقال صَعصَعة بن صُوحان للوليد وابن أبي سرح: إنما يمنع الله الماءَ يوم القيامة مِثلكما؛ الكفَرةَ الفَسقةَ، فشتماه وشتمهما، فقال معاوية: كُفَّا عن الرجل فإنه رسول.

وقال هشام: قال عمرو لمعاوية: خلِّ بينهم وبين الماء، أترى ابن أبي طالب ومعه المهاجرون والأنصار وأفاعي العراق يَموتون عطشاً، والله لتطيرنَّ قحاف دون ذلك، فارض بالموادعة أيها الرجل، ولا تعجل بالشرّ فإن مَرتَعه وَخيم.

فقال معاوية: لا سقى الله أبا سفيان من حوض محمد قَطرة إن شربوا منه، وإن هذا لأوَّلُ الظَّفَر.

فقام فياض بن الحارث الأزدي فقال: يا معاوية، والله ما أنصفتَ القوم، لو كانوا من الروم لما جاز مَنعُهم من الماء، فكيف وهم أصحابُ رسول الله ﷺ، وفيهم ابنُ عمه والمهاجرون والبدريُّون والأنصار؟! وكان هذا الرجل صديقاً لعمرو بن العاص، فقال معاوية لعمرو: اكفِني صديقَك، فقام فياض وهو يقول: [من الوافر]

أتَحمون الفراتَ على أُناسٍ ... وفي أيديهم الأَسلُ الظِّماءُ
وفي الأعناق أسيافٌ حِدادٌ ... كأن القوم عندكم نِساءُ
ألا لله دَرُّك يا ابنَ هندٍ ... لقد ذهب الحياءُ فلا حَياءُ
ولستُ بتابعٍ دينَ ابنِ هندٍ ... طِوالَ الدَّهرِ ما أوفى حِراءُ

ثم عطف دابتَه ودخل في عسكر علي عليه السلام.

قال هشام: وقال الأشتر: يا أمير المؤمنين، أنموتُ عطشاً وسيوفنا على عواتقنا، ورماحُنا في أيدينا، ثم قال: [من المتقارب]

أيَمنعُنا القومُ ماءَ الفراتِ ... وفينا الرِّماحُ وفينا الحَجَفْ
وفينا عليٌّ له صَولَةٌ ... إذا خَوَّفوه الرَّدى لم يَخَفْ
ونحن الذين غداةَ الزبيرِ ... وطلحةَ خُضنا غِمارَ التَّلَفْ

قال: وسمع أمير المؤمنين ليلةَ منعوهم الماء امرأةً تقول: [من المتقارب]

أيَمنعُنا القومُ ماءَ الفراتِ ... وفينا عليٌّ إمامُ الهُدى
وفينا الصلاةُ وفينا الصيامُ ... وفينا المصَلُّون تحت الدُّجى[1]

فبكى علي وقال: لا ها الله إذن، ثم قال للأشتر وللأشعث بن قيس: عليكما بالقوم، فركبا في اثني عشر ألفاً في وقت السَّحَر، وحملوا على القوم، فأزالوهم عن الشرائع فانهزموا، ولحق الأشتر أبا الأعور فضربه على رأسه بالسيف، فجرحه جُرحاً موثقاً، وملك الأشتر الشّرائع ووَهن أهلُ الشام، وكان هذا القتال في آخر يوم من ذي القعدة، وهو أول يوم جرى فيه قتال، ويُسمّى يوم الحَميَّة؛ لأن الحميَّةَ أدركت أميرَ المؤمنين لما سمع كلامَ المرأة.

(١) وقعة صفين ١٦٣ـ١٦٥ ، ومروج الذهب ٤/ ٣٤٦ ، وأنساب الأشراف ٢/ ٢٠٩ .

وقال هشام بن محمد، عن أبيه: فلما كان أول يوم من ذي الحجّة دعا أمير المؤمنين بشير بن عمرو بن مِحْصن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهَمداني، وشَبَث بن رِبعي التّميمي، وقال لهم: اذهبوا إلى هذا الرجل، فخوِّفوه وحَذِّروه وأنذِروه، وأشيروا عليه بالطّاعة، والدخولِ مع الجماعة، وانظروا ماذا رأيُه.

فجاؤوه فدخلوا عليه، فافتتح الكلام بشير وقال بعد حمد الله: يا معاوية، إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجعٌ إلى الآخرة، وإن الله مُحاسبُك ومُجازيك على عملك، ونحن نَنشدك الله؛ أن تُفرِّق جماعةَ هذه الأمة، وأن تَسفك دماءها.

فقال له معاوية: هلّا أوصيتَ صاحبَك بمثل هذا؟! فقال: إن صاحبي لا يحتاج إلى وصيّة لأنه ليس مثلَك، إن صاحبي أحقُّ البريَّةِ كلّها بهذا الأمر في فضله ودينه، وسابقته في الإسلام، وقرابته من رسول الله ﷺ، وإني آمُرك بتقوى الله، وإجابةِ ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق؛ فإنه أسلَمُ لك في دُنياك، وخيرٌ لك في عاقبة أمرك، فقال معاوية: ويَبطل دمُ عثمان[1]؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً.

فذهب سعيد بن قيس يتكلَّم فبادره شبث بن رِبعي وقال: والله يا معاوية ما يَخفى علينا مَغزاك ومَطلَبُك، إنك لم تجد شيئاً تَستغوِي به الناس، وتَستميلُ به أهواءهم، وتستخلص لك به طاعتَهم إلا دمَ عثمان، فاستجاب لك السّفهاء، وقد علمنا أنك تَربَّصتَ به وأبطأتَ عنه، وأحببتَ له القتلَ لهذه المنزلة التي أصبحتَ تطلب، ورُبَّ مُتَمَنٍّ أمراً يحول الله بينه وبينه.

فقال له معاوية: إن أول ما عُرف من سَفَهك وخِفَّةِ حِلمك أنك قطعتَ على هذا الشريف الحَسِيب سَيِّدِ قومه مَنطقَه، ثم عَتِبتَ بعد فيما لا علمَ لك به، فقد كَذبتَ في كلّ ما ذكرتَ ووصَفْتَ، انصرفوا فليس بيني وبينكم إلا السيف، فقال له شَبث: أعلينا تُهوّل بالسيف؟ أقسم بالله لنَعجلَنّ به إليك.

ثم عادوا فأخبروا أمير المؤمنين بالذي كان، ونَشِب بينهم القتال، فكان أمير المؤمنين يُخرج إليهم أعيانَ أصحابه، ومعاوية يُخرج إليهم أعيانَ أصحابه، فلما كان

(١) في الطبري ٤/ ٥٧٣ ، والمنتظم ٥/ ١٠٤ : ونُطلّ دمَ عثمان، وفي وقعة صفين ١٧٨ : ويُطَلّ دمُ عثمان.

في هذا اليوم وهو أول يوم من ذي الحجة بدأ معاوية بالقتال، فأخرج إليهم عبد الرحمن بنَ خالد بن الوليد، وذا الكَلاع، وعُبيد الله بن عمر بن الخطاب، وبرز إليهم الأشتر، وحُجر بنُ عديّ، وقيس بن سعد، فتجاولوا ثم انصرفوا.

وكان أمير المؤمنين يُخرج إليهم مَرَّةً الأشتر، ومرة حُجر بن عَديّ، ومرة شَبَث بن رِبعي، ومرة زياد بن النَّضرِ الحارثي، ومرة قيس بن سعد، ومرّة مَعقِلَ بن قيس الرّياحي، وكان أكثر القوم إليهم خروجاً الأشتر. وكان معاوية يخرج إليهم مرة أبا الأعور السُّلَمي ومرة حَبيبَ بن مَسلمة الفِهري، ومرة ذا الكَلاع الحِميريّ، ومرة عُبيد الله بن عمر بن الخطاب، ومرة شُرَحْبيل بن السِّمط الكنديّ، فاقتتلوا ذي الحجة كلّه، وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين، وربما أقاموا أياماً لا يقتتلون.

ثالث يوم من ذي الحجّة[1]

قال الواقدي: برز حُرَيث[2] مولى معاوية، وكان إذا لبس سلاحَه لا يشكُّ أحد أنه معاوية، وكان دائماً يَطلب مبارزةَ أمير المؤمنين، وكان معاوية يَنهاه، فخلا عمرو بن العاص بحَوْشَب وقال له: لو كنتَ قُرشياً ما نهاك معاوية عن مُبارزته، ولكنه يَكره أن يَقتُل مولاه ابنَ عمِّه فابرُز إليه، فبرز وطلب المبارزة، فخرج إليه أمير المؤمنين، فقيل له: يا أمير المؤمنين، خَفِ الله وعز على حسبك، أتَبرزُ إلى هذا الكلب؟ فقال: هذا أعظم غناءً عندي من معاوية، ثم حمل عليه علي، وضربه على رأسه بالسيف فقتله، ولما رآه معاوية قتيلاً التفت إلى عمرو وقال: ما أنصفتَه حيثُ أمرتَه بمبارزته، قال: ولمَ؟ قال: لأنك أمرتَه بأمرٍ كرهتَه لنفسك، ثم اقتتلوا يوماً بعد يوم.

اليوم الثامن عشر

قال علماء السير: جمع معاوية في هذا اليوم أصحابَه وقال: ما فينا إلا من قَتل عليّ أخاه أو أباه أو ابنَه أو قريبَه، فتعالوا حتى نَجتمعَ اليوم عليه، فقال بعضهم: [من

(١) كذا، ولعل المصنف ذكر أيام صفين، فاختصرت إلى ما ترى.

(٢) في (خ): حوشب، والمثبت من وقعة صفين ٢٧٢ ، والفتوح لابن أعثم ٣/ ٣٩ ، وتاريخ دمشق ٤/ ٣٣٠ (مخطوط).

الوافر]

أتـأمُـرنـا بـحـيَّـةِ بـطـنِ وادٍ إذا نَـهـشَـتْ فـلـيس لـهـا طَـبـيـبُ
فـسَـلْ عَـمـراً وسَـلْ عـن خُـصـيَـتَـيْـه نـجـا ولـقـلـبـه مـنـهـا وَجِـيـبُ

ثم التفت القائل وقال لمعاوية: وإن لم تُصدِّقني فسَلْ عَمراً، وقيل: البيتان للوليد بن عُقبة، وقيل لحَبيب بن مَسلمة[1].

وقال ابن الكلبي: رأى أمير المؤمنين في بعض أيام صفّين عمرو بن العاص في جانب العسكر ولم يَعرفه، فحمل عليه، فطعنه فسقط، فبدتْ عورتُه فاستقبل بها أميرَ المؤمنين، فأعرض عنه، وعَرفه وقال له: ويلك يا ابنَ النّابغة، أنت طَليق دُبُرِك أيَّامَ عُمرك، وكان قد تكرَّر منه ذلك.

وقال السّدي عن أشياخه: لما كان في آخر ذي الحجّة، وكَثُر القتلُ في الفريقين، قال علي للكُمَيل بن زياد: نادِ معاوية: دَعوناك إلى الطاعة ولُزوم الجماعة فأبيتَ، وقد كثر القتلُ في هذه الأمة، فابرز إليّ حتى نُخَلِّص الناسَ مما هم فيه، فناداهم الكُميل بذلك، فقال معاوية لأصحابه: ماذا تَرون؟ قالوا: لا تفعل فلست له بكُفُؤٍ في القتال، فقال له عمرو: قد أنصفَك، إنما هو بشرٌ مثلك، فابرز إليه، فقال له معاوية: ما هذه العَداوة التي بيني وبينك؟ أتراني لو قُتلتُ أكنتَ تَنال الخلافة؟! فقال له عمرو: دعاك رجلٌ عظيمُ القدر، كبيرُ الشَّرف، فكنت في مبارزته في إحدى الحسنَيَيْن: إن قتلتَه قتلتَ سيداً، وإن قتلك جُزيتَ خيراً، فقال معاوية: إن هذه لَشديدةٌ عليّ، فقال له عمرو: فإن كنتَ في شك من جهاده فتُبْ وراجِع.

وقال الهيثم بن عدي: رأى أمير المؤمنين يوماً معاوية واقفاً على تلٍّ، فقصده، فقال لبُسر بن أرطاة: اشغَلْه عني، وهرب معاوية، فطعن أمير المؤمنين بُسراً فألقاه، فاتَّقاه بعَورته، فأعرض عنه، فقال الأشتر: [من الرجز]

فـي كـل يـومٍ رِجْـلُ شـيـخٍ شـاغِـرَهْ
وعَـورةٌ تـحـت الـعَـجـاجِ ظـاهـره

(١) انظر وقعة صفين ٤١٧ ، وأنساب الأشراف ٤/ ١٣٥ .

ولما عاد معاوية إلى فُسطاطه جلس وأصحابُه حولَه، فنظر إلى عمرو بن العاص وضحك، فقال له عمرو: ما أضحكك؟ قال: يومُك مع ابن أبي طالب، فقال له عمرو: فاضحك على نفسك، ألستُ الذي أشرتُ عليك بمُبارزته فاحوَلَّتْ عيناك، وأزبَدَ شِدقاك، وبدا منك ما أكرهه أنا وغيري، ووالله لو بدا له منك مثل ما بدا من صَفحتي لأَيْتمَ عيالَك، وأوجع قَذالك، ولكنك احترزتَ منه بالرجال في أيديها السُّمر العَوالي.

وقال هشام: نظر معاوية يوماً من أيام صفين إلى إحدى مَجنَبَتَيْ العسكر وقد مالت، فلَحظها بطَرْفه فاستَوتْ، فقال له عمرو بن العاص أهذا شيءٌ دَبَّرتَه يوم قُتل عثمان؟ قال: بل يوم قُتلَ عمر بن الخطاب.

وحجّ في هذه السنة بالناس عُبيد الله بن العباس بأمر أمير المؤمنين.

وفيها توفي

أسلم مولى رسول الله ﷺ

وكُنيته أبو رافع، وقد ذكرناه في السنة الحادية عشرة من الهجرة في موالي رسول الله ﷺ، وأنه كان مملوكاً للعباس بن عبد المطلب، فوهبه لرسول الله ﷺ فلما بَشَّر رسول الله ﷺ بإسلام العباس أعتقه رسول الله ﷺ، وهاجر بعد بدر إلى المدينة، وشهد أحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وزوَّجه رسول الله ﷺ مولاته سَلمى، وتُوفّي في هذه السنة بعد قتل عثمان، وولدت له سَلمى عبيدَ الله على ما قيل، وقد ذكرنا مَن اسمُه أسلم في السنة الحادية عشرة، وليس في موالي رسول الله ﷺ مَن اسمُه أبو رافع غيره.

وقد أسند عن رسول الله ﷺ أحاديث، واختلفوا فيها، فقال ابن البَرْقي: هي بضعة عشر حديثاً، وقال غيره: ثمانية وستون.

وأخرج له في «الصحيحين» أربعة أحاديث، انفرد البخاري بحديث، ومسلم بثلاثة، وأخرج أحمد سبعة عشر حديثاً، منها حديث عائشة رضي الله عنها الذي قال له رسول الله ﷺ: «اردُدْها إلى مَأمَنها»[1].

---

(١) مسند أحمد (٢٧١٩٨) ولفظه: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر =

ومنها حديث الصدقة، قال أحمد: حدثنا يحيى بإسناده عن ابن أبي رافع، عن أبي رافع قال: بعث النبي ﷺ رجلاً من بني مَخزوم على الصدقة، فقال: ألا تَصحَبُني تُصِب قليلاً؟ [قال: قلت:] حتى أذكرَ ذلك لرسول الله ﷺ، فذكرتُ له فقال: «إنا آل محمد لا تَحِلُّ لنا الصدقة، وإن موَلى القوم من أنفُسهم». قال الترمذي: هذا حديث صحيح(١).

وقد أخرجه ابن سعد بمعناه فقال: حدثنا الفضل بنُ دُكَين، حدثنا حمزة الزيّات، عن الحكم قال: بعث رسول الله ﷺ الأرقم بن أبي الأرقم ساعياً على الصدقة، فقال لأبي رافع: هل لك أن تُعينني وأعطيك ـ أو أجعل لك ـ سَهمَ العاملين؟ فقال: حتى أذكُرَ ذلك لرسول الله ﷺ، فذكره له، فقال له: «يا أبا رافع، إنا أهلُ بيتٍ لا تحلُّ لنا الصدقة، وإن مولى القوم منهم ـ أو من أنفسهم»(٢) «وإن حليفَنا منّا، وابن أُختِنا منّا»(٣).

وفيها تُوفّي

حُذيفة بن اليَمان

أبو حذيفة حُسَيْل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جِروة بن الحارث بن قَطيعة بن عبس ابن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيلان بن مُضر، وجِروة هو اليَمان الذي في أجداد حُذيفة، وإنما قيل له اليَمان لأن جِروة أصاب دماً في قومه، فهرب إلى

= قال: أنا يا رسول الله؟ قال: نعم قال: أنا؟ قال: نعم قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله، قال: لا، ولكن إذا كان ذلك فاردُدْها إلى مأمنها، وإسناده ضعيف، وسلف ص١٨٠.

(١) مسند أحمد (٢٧١٨٢)، وسنن الترمذي (٦٥٧) وفيه: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٦٨.

(٣) هذا حديث آخر، أخرجه ابن سعد ٤/ ٦٨ عن محمد بن عبد الله الأسدي وقبيصة بن عقبة قالا: حدثنا سفيان، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن إسماعيل بن عبيد الله بن رفاعة الزّرقي، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: حَليفنا منا، ومولانا منا، وابن أختنا منا. وأخرجه أحمد (١٨٩٩٢) عن وكيع، عن سفيان، به.

وانظر ترجمة أبي رافع في المعارف ١٤٥، والاستيعاب (٢٩٢٥)، والمنتظم ٥/ ١٠٤، والسير ٢/ ١٦، وتهذيب الكمال وفروعه، والإصابة ٤/ ٦٧.

المدينة، فحالف بني عبد الأشهل. فسمّاه قومُه اليَمان؛ لأنه حالف اليَمانية؛ ولهذا ذكر ابن سعد حُذَيفة في الطبقة الثانية من الأنصار الذين شهدوا أحداً وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ[١].

وقال الحسن البصري: كان حُذيفة رجلاً من عَبْس، فخيَّره رسول الله ﷺ بين أن يكون من المهاجرين أو من الأنصار، فاختار أن يكون من الأنصار، فأُثبت فيهم لما ذكرنا.

وأبوه حُسَيْل قُتل يوم أحد غلطاً، وتصدَّق حُذيفة بدمه على المسلمين.

قال ابن سعد: وشهد حُسَيْل وابناه حُذَيفة وصفوان أحداً[٢].

وكان حذيفة يُكنى أبا عبد الله، وأمّه الرَّباب بنت كعب بن عدي بن [كعب بن] عبد الأشهل.

قالوا: وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عمار بن ياسر.

وحُذيفة هو الذي بعثه رسول الله ﷺ في غزاة الأحزاب إلى عسكر الكفّار، ووجد أبا سفيان يَصطلي بالنار، وقد ذكرنا القصة هناك.

ذكر نبذة من أخباره وفضائله:

قال ابن إسحاق: كان حذيفة صاحبَ سرِّ رسول الله ﷺ [لقربه منه] وثقتِه، وأخبره بأسماء المنافقين الذين نَخسوا بعيرَه ليلةَ العَقَبة عند رجوعه من تبوك، وكانوا اثنَي عشر، كلّهم من الأنصار، وحُلفائهم، ولم يكن فيهم قرشي.

وكان عمر بن الخطاب إذا رأى حذيفة يقول له: هل أنا منهم؟ لثقته به، وعلوِّ منزلته.

وقال ابن سعد بإسناده عن صِلَةَ بنِ زُفَر، عن حذيفة قال: قمتُ مع رسول الله ﷺ ليلةً في شهر رمضان، فقام يَغتسل وستَرتُه، ففَضلَتْ منه فَضْلَةٌ في الإناء، فقال: «إن شئتَ فأرِقْه، وإن شئتَ فصُبَّ عليه»، قلتُ: يا رسول الله، هذه الفَضْلَةُ أحبُّ إليّ مما أصُبّ عليه، فاغتسلتُ ورسول الله ﷺ يَستُرني، فقلت: لا تَستُرني، فقال: «بلى، لأستُرنَّك كما ستَرتَني».

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٤٩.

وقال ابن سعد بإسناده عن إبراهيم، عن علقمة قال: قَدِمتُ الشام، فدخلتُ المسجد، فجلستُ إلى أبي الدَّرداء، فقال: مَن الرجل؟ قلتُ: من أهل الكوفة، قال: أليس فيكم صاحبُ السِّرِّ الذي كان لا يَعلَمه غيرُه، يعني حُذيفة.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي البَختَري، عن حذيفة قال: إن أصحابي تَعلّموا الخير وإني تَعلّمتُ الشرّ، قال: وما حَملك على ذلك؟ قال: إنه مَن تعلم مكانَ الشرّ يَتَّقِه.

وفي رواية ابن سعد أيضاً، عن حذيفة قال: كان الناس يَسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسألُه عن الشرّ، فقلتُ له: يا رسول الله، إنا كنا في شرٍّ فجاءنا الله بالخير، فهل بعد الخير شرّ؟ قال: «نعم»، قلتُ: هل وراء الشر خيرٌ؟ قال: «نعم»، قلت: فكيف يكون؟ قال: «سيكون بعدي أئمّةٌ لا يَهدون بَهدْيي، ولا يَستنُّون بسُنَّتي، وسيقوم رجالٌ قلوبُهم قلوبُ شياطين في جُثمان إنسان». قال فقلت: فكيف أصنع إن أدركَني ذلك؟ قال: «اسمع للأمير الأعظم وأطع، وإن ضرب ظهرَك وأخذ مالك»[(١)] وقد أخرجاه في «الصحيحين» بمعناه[(٢)].

وروى ابن سعد عن الواقدي قال: لم يُخبر رسول الله ﷺ بأسماء المنافقين الذين نَخسوه ليلةَ العَقبة إلا حذيفة[(٣)]. وقد ذكرناه.

ذكر ولاية حذيفة المدائن:

وقال ابن سعد بإسناده عن محمد بن سيرين، قال: كان عمر بن الخطاب إذا بعث عاملاً كتب في عهده أن: اسمعوا وأطيعوا ما عَدل عليكم، فلما استعمل حُذيفة على المدائن كتب في عهده أن: اسمعوا له وأطيعوا وأعطوه ما سألكم.

قال: فخرج حُذيفة من عند عمر على حمار مُوكفٍ، وعلى الحمار زادُه، فلما قدم المدائن استقبَلَه أهلُ الأرض والدَّهاقين، وبيده رغيفٌ وعَرْق لحم، على حمارٍ على إكاف، فقرأ عهدَه عليهم، فقالوا: اسألْنا ما شئتَ، قال: أسألكم طعاماً آكله، وعَلفَ حماري هذا مرّتين ما دمتُ فيكم.

---

(١) الأخبار الثلاثة في طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥١ـ٢٥٢ .

(٢) صحيح البخاري (٣٦٠٦)، وصحيح مسلم (١٨٤٧).

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٣ .

قال: فأقام فيهم ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر أن اقْدُم، فلما بلغ عمر قدومُه كمَن له على الطريق في مكان لا يراه، فلما رآه على الحال التي خرج عليها من عنده أتاه فالتزمه وقال: أنت أخي وأنا أخوك.

وفي رواية ابن سعد عن عكرمة: أنه كان سادِلاً رجلَيه من جانب، قال: وهو ركوب الأنبياء[١].

وقد روى أبو بكر الخطيب القصة، وقال فيها: إن أهل المدائن لَقَوه على بَغلٍ عليه إكاف، وهو مُعترض عليه رجلاه من جانبٍ واحد، فلم يَعرفوه فأجازوه، فلَقيهم الناس فقالوا: أين الأمير؟ قالوا: هو الذي لَقيتُم، قالوا: فركضوا في أثره، وفي يده رغيف وفي الأخرى عرق وهو يأكل، وذكره[٢].

وقال ابن سعد بإسناده عن حماد، عن مجاهد: أن حذيفة بن اليمان مَرَّ بدِهقانٍ وهو مُتوجِّهٌ إلى المدائن، فأضافه، وجاءه بماء في إناء من فضّة، فأخذ حُذيفة الإناء فضرب به في وَجه الدِّهقان، وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا تشربوا في آنية الذَّهب والفضَّة، ولا تأكلوا فيها، ولا تَلبَسوا الحريرَ والدِّيباج، فإنه للمشركين في الدنيا، وهو لكم في الآخرة»[٣].

ذكر نبذة من كلامه:

قال أبو نعيم بإسناده عن عمارة بن عبد، عن حُذيفة قال: إياكم ومواقف الفِتن، قيل: وما مواقف الفِتن؟ قال: أبوابُ الأُمراء، يَدخل أحدكم إلى الأمير فيُصدّقه بالكذب، ويَقول ما ليس فيه.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن أم سلمة قالت: قال حُذيفة: وَدِدتُ أني أُغلق عليَّ باباً، فلا يَدخل عليَّ أحدٌ حتى ألحق بالله عز وجل[٤].

وهذه أمُّ سلمة ليست زَوجةَ رسول الله ﷺ، وإنما هي أمُّ موسى بن عبد الله.

---

(١) الخبران في طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٣ـ٢٥٤ .

(٢) تاريخ بغداد ١/ ١٦٢ ، والمنتظم ٥/ ١٠٥ .

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٤ .

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

وروى ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين بإسناده إلى الأعمش قال: بكى حذيفة في صلاته، فلما فرغ التفتَ فإذا رجلٌ خلفه، فقال: لا تُعلِمَنَّ بهذا أحداً[١].

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي عاصم الغَطَفاني قال: كان حُذيفةُ لا يزال يُحدِّثُ الحديث يَستَفظِعونه، فقيل له: يوشك أن تُحدّثَنا أنه يكون فينا مَسْخٌ، قال: نعم، ليكوننّ فيكم مَسْخٌ قِرَدة وخنازير[٢].

وقال ابن أبي الدنيا عن أبي الطُّفَيل قال: قال حُذيفة: [من الخفيف]:

ليس مَن مات فاستراح بميتٍ إنما الميْتُ مَيّتُ الأحياءِ

قيل له: يا أبا عبد الله، وما مَيِّتُ الأحياء؟ قال: الذي لا يَعرف المعروف بقلبه، ولا يُنكر المنكَر بقلبه.

وذكر أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه» أن هذا البيت لحُذيفة[٣].

قلت: و قد كان مَعروف الكَرْخي يَتمثُّل به دائماً.

ذكر خاتَمه:

قال ابن سعد بإسناده عن موسى بن عبد الله بن يزيد، عن أُمِّه قالت: كان في خاتم حذيفة كُركِيّان بينهما الحمد لله.

وفي رواية ابن سعد أيضاً عن موسى بن عبد الله بن يزيد عن أمه، وكانت ابنةَ حذيفة، قالت: رأيتُ على حذيفة خاتماً من ذهب، نَقشُه كُركِيّان بينهما الحمد لله.

وفي رواية ابن سعد أيضاً عن موسى بن عبد الله، عن أمه قالت: كان خاتم حُذيفة من ذهب، فيه فصٌّ ياقوت، وذكرتْه[٤].

ذكر وفاته: قال ابن سعد بإسناده عن يزيد بن إبراهيم التستري، عن الحسن قال: لما حَضر حذيفةَ الموتُ قال في مرضه: حَبيبٌ جاء على فاقَةٍ، لا أفلح مَن نَدِم.

---

(١) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ١/ ١٧١، والمنتظم ٥/ ١٠٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٣.

(٣) تاريخ دمشق ٤/ ٣٠٦ـ٣٠٧ (مخطوط). والبيت لعدي بن الرِّعلاء الغساني، انظر الأصمعيات ١٥٢، والعقد ٥/ ٤٩١، وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٣٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٥.

وفي رواية ابن سعد عن خالد بن ربيعة العَبْسي قال: لما بلَغنا ثقل حذيفة خرج إليه نفرٌ من بني عَبْس، ونفر من الأنصار، معنا أبو مسعود عُقبة بن عمرو، فأتيناه في الليل، فقال: أيّةُ ساعة هذه؟ قلنا ساعة كذا وكذا، قال: أعوذ بالله من صباح إلى النار، هل جئتُم معكم بأكفان؟ قلنا: نعم، قال: فلا تُغالوا بكَفني، فإن يكن لصاحبكم عند الله خيراً يُبدل خيراً منها، وإلا سُلب سَلبْاً سريعاً[١].

وفي رواية أبي نعيم عن حذيفة أنه قال في مرضه الذي مات فيه: لولا أني أرى هذا اليوم آخرَ يوم من أيام الدنيا، وأولَ يوم من الآخرة لم أتكلَّم به، اللهمَّ إنك تعلم أني كنتُ أحبُّ الفقرَ على الغنى، وأحب الذلَّ على العز، وأحبُّ الموتَ على الحياة، حبيبٌ جاء على فاقة، لا أفلح مَن نَدم، ثم مات[٢].

وفي رواية ابن سعد: أنه أُتي بكَفَنٍ بثلاث مئة درهم، فقال: ليس هذا لي بكَفَن، إنما يكفيني رَيْطتان بَيضاوان؛ فإني لا أُترك إلا قليلاً حتى أُبَدَّلَ خيراً أو شراً منها.

وقال ابن سعد: جاء حذيفةَ نعيُ عثمان بن عفان وهو بالمدائن، ومات بعد ذلك بأَشْهُر بالمدائن، سنة ستٍّ وثلاثين، وله بها عقب[٣].

وذكر الخطيب بإسناده إلى بلال بن يحيى قال: مات حذيفةُ بعد قتل عثمان بأربعين ليلة، وكان يقول: اللهمَّ اشهد أني لم أشهد ولم أرضَ بقتل عثمان[٤].

وقيل: إنه مات بالكوفة والأولُ أصحّ، وقبرُه بالمدائن ظاهر يُزار.

وقال ابن سعد: وأخوه صفوان بن اليمان لأبيه وأمه، وشهد أحداً أيضاً[٥].

وقال الواقدي: وَرد أمير المؤمنين المدائنَ بعد وفاة حُذيفة، ووَلّى بها سعد بن مسعود، وقد مات حذيفة، ولم يشهد حُذيفة الجملَ ولا غيره.

وذكر المسعودي وقال: كان لحذيفة ابنان سعيد وصفوان، استشهدا مع أمير

---

(١) الخبران في طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٦ـ٢٥٧ .

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٨٢ .

(٣) الخبران في الطبقات ٤/ ٢٥٨ .

(٤) تاريخ بغداد ١/ ١٦٣ ، والمنتظم ٥/ ١٠٧ .

(٥) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٥٨ .

المؤمنين يوم صفين في اليوم الثاني الذي قُتل فيه عمار، وكان حُذيفة قد قال لهما: اخرجا مع أمير المؤمنين أينما كان وحيثما كان، فإنه على الحق وغيره، أو ومَن خالفه، على الباطل.

وكان لحذيفة أُختان لأبيه وأمه فاطمة وليلى، أخرج أحمد في «المسند» لفاطمة حديثاً واحداً، وسنذكره.

أسند حذيفة عن النبي ﷺ أحاديث، واختلفوا فيها؛ قال ابن البَرْقي: أسند سبعةً وثلاثين حديثاً، وأخرج له أحمد نيفاً وسبعين حديثاً. وأخرج البخاري ومسلم بعضَ أحاديثه، والمتَّفق عليه منها اثني عشر، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بسبعة عشر[1].

وروى عن حُذيفة: عمر وعثمان وعلي، وابنُه أبو عبيدة بن حذيفة، وطارق بن شهاب، ورِبْعيّ بن حِراش، وأبو إدريس الخولاني، وأبو وائل، وابنُ حُبَيش وغيرُهم.

وفي الصحابة مَن اسمه حُذيفة أربعةُ نَفَر: أحدُهم صاحب هذه الترجمة، والثاني حُذيفة بن أَسيد بن الأَغْوز، بغين وزاي معجمتين، ويقال: الأغوس بالسّين والغين معجمة في الموضعين، وكُنيته أبو سَريحة الغِفاري، والثالث حُذيفة بن عُبيد المرادي، والرابع حُذيفة البارِقي، وفيه وفي البارقي نظر[2]، وليس فيهم من له رواية إلا حذيفة بن اليمان والغِفاري.

ومن مَسانيده ـ يعني مسانيد حذيفة ـ قال أحمد بإسناده، عن خالد اليشكري.

وقال البخاري بإسناده إلى بُسْر بن عُبيد الله الحَضْرمي، أنه سمع أبا إدريس الخولاني، أنه سمع حذيفة يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسألُه عن الشرِّ مَخافة أن يُدرِكَني، فقلتُ: يا رسول الله، إنا كنّا في جاهلية وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم، وفيه دَخَن»، قلت: وما دَخَنُه؟ قال: «قومٌ يَهدون بغير هَدْيي»، قلتُ: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاةٌ على أبواب جهنّم، مَن أجابهم قَذفوه فيها»، قلتُ: يا رسول الله، صِفهم لنا؟ قال: «هم

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٩٠.
(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر ١٨٠.

من جِلدتنا، ويتكلّمون بألسنتنا»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامَهم» قلت: فإن لم يكن جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزِلْ تلك الفِرقَ كلّها، ولو أن تَعَضَّ بجِذْلِ شجرة، حتى يُدركك الموتُ وأنت على ذلك».

أخرجاه في «الصحيحين»، وهو حديث طويل[١]، والدَّخَن: الدُّخان، ومعناه على غير صفاء، وجلدتنا؛ أي: منا، يُشير إلى العرب، والجِذْلُ: الأصْلُ.

وأما الحديث الذي أخرجه أحمد لأخته فاطمة؛ فقال أحمد بإسناده عن أبي عبيدة ابن حُذيفة، عن عمته فاطمة قالت: أتينا رسول الله ﷺ نَعُودُه في مرضه مع نساء، وإذا سِقاءٌ مُعلَّقٌ نحوه، يَقطر ماؤه عليه من شِدَّة ما يجد من حَرِّ الحمَّى، فقلنا: يا رسول الله، لو دعوتَ الله فشفاك، قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن من أشدِّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يَلونهم، ثم الذين يَلونهم، ثم الذين يَلونهم»[٢].

وفيها تُوفي

الزُّبَير بن العَوّام

ابن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب، ويلتقي مع رسول الله ﷺ في النسب عند قُصيّ.

وقال الشيخ الموفَّق رحمه الله في «الأنساب»: قال الزُّبير بن بَكّار: كان لأسد بن عبد العُزَّى خمسةَ عشر ذكراً، منهم: خُوَيلد بن أسد، وكان رئيسَ بني أسد في أحد حروب الفِجار، وقيل: في حرب الفجار.

وخُوَيلد هو أبو خديجة زوجة رسول الله ﷺ، وذكر المطَّلبَ ونوفلاً والحارث وحَبيباً، والكلّ بنو أسد[٣].

وأم العَوَّام من بني مازن بن منصور، ووَلد خُويلد نَوفلاً، ويقال له: أسد قريش،

(١) مسند أحمد (٢٣٢٨٢)، وصحيح البخاري (٣٦٠٦)، وصحيح مسلم (١٨٤٧).

(٢) مسند أحمد (٢٧٠٧٩). وانظر في ترجمة حذيفة: المعارف ٢٦٣، والاستيعاب (٣٩٠)، وصفة الصفوة ١/ ٦١٠، والاستبصار ٢٣٣، وتهذيب الكمال وفروعه، والسير ٢/ ٣٦١، والإصابة ١/ ٣١٧.

(٣) التبيين ٢٥٥.

قتله علي عليه السلام يوم بدر كافراً.

وقال الزبير بن بَكَّار: ولا يُعرف عَشرةٌ من أهل بيت واحد قُتلوا على نَسَقٍ واحد أو قريباً منه سوى بيت الزبير: قُتل خُويلد وابنه العَوَّام في الجاهلية، وقُتل الزبير يوم الجمل، وقُتل ولده عبد الله بمكة، وقُتل ولد الزبير مُصعب بالعراق في حرب عبد الملك بن مروان ومعه ولدُه عيسى[1] بن مصعب، وقُتِل حمزة والمنذر ابنا الزبير مع أخيهما عبد الله بمكة، وقَتَل عبد الله بن الزبير أخاه عمراً بمكة؛ لأنه كان قد مالأ عليه، وقُتِل خالد بن الزبير مع [محمد بن] عبد الله بن حسن بن حسن.

قلت: وقد ذكر جدي رحمه الله في «التلقيح»[2] وقال: مسألة، هل تعرفون مَن قُتل هو وأبوه وجدُّه كذلك إلى ستة آباء؟ والجواب: أنه عُمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العَوّام بن خويلد، قُتل عُمارة وأبوه حمزة يوم قُدَيد، وقُتل مصعب في حرب عبد الملك بن مروان، وقُتل الزبير بوادي السِّباع، والعوَّام يوم الفِجار، وخويلد في الجاهلية.

وأم الزبير بن العوام صَفيَّة بنت عبد المطلب بن هاشم، عمةُ النبي ﷺ، وكُنية الزبير أبو عبد الله.

وقال ابن سعد بإسناده عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قاتل الزبير رجلاً بمكة، فضربه الزبير ضَرباً شديداً وكسر يده، فمُرَّ بالرجل على صفية وهو يُحمَل فقالت: ما شَأنُه؟ فقالوا: كسر الزبير يدَه، فقالت: [من الرجز]

كـــيـــف رأيـــتَ زَبْـــرا
أأقـــطـــاً أم تَـــمْـــرا[3]
أم مُـــشـــمَـــعِـــلاً صَـــقْـــرا

(١) في (خ) عمار، وليس في أولاد مصعب من اسمه عمار، والذي قتل معه في حرب عبد الملك ولَدُه عيسى، انظر طبقات ابن سعد ٧/ ١٨١، وأنساب الأشراف ٨/ ٧٢، ونسب قريش ٢٤٩، والمعارف ٢٤٤.

(٢) ص ٧٠١، وذكره ابن قتيبة في المعارف ٥٨٩، وابن حبيب في المحبر ١٨٩.

(٣) في (خ) وأصول ابن سعد: أأقطاً حسبته أم تمرا، والمثبت من المطبوع ٣/ ٩٤.

ذكر إسلامه: واختلفوا فيه، قال ابن سعد بإسناده عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل قال: كان إسلامُ الزبير بعد أبي بكر، كان رابعاً أو خامساً.

قال: وأخبرت عن حماد بن أسامة، عن هشام بن عروة قال: أسلم الزبير وهو ابن ست عشرة سنة[١].

وذكر الموفق رحمه الله أنه أسلم هو وعلي وهما ابنا ثمان سنين.

قال: وقال موسى بن طلحة: ولد الزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص في عام واحد.

وقال هشام: أسلم وله اثنتا عشرة سنة[٢].

وقال ابن إسحاق: لما أسلم عَذّبه عمه نوفل وجعله في حَصير، وكان يُعذّبه بالدُّخان ليَرجع عن دينه فقال: والله لا أرجع عن ديني أبداً، فتركه.

ذكر صفته:

حكى ابن سعد، عن الواقدي قال: كان الزبير بن العوام رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل، إلى الخِفّة ما هو في اللحم، ولحيتُه خفيفة، أسمر اللون أشعَر.

وحكى الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: ربما أخذتُ بالشعر على مَنْكبي الزبير وأنا غُلام، فأتَعلَّق به على ظهره[٣].

وقال هشام: كان أبيض طويلاً، وقيل: أسمر خفيفَ العارِضَين.

وحكى أبو اليقظان، عن هشام بن عروة قال: كان جَدّي الزبير إذا ركب تَخُطّ الأرضَ رجلاه، وكان لا يُغَيِّر شيبَه، قال: وكنتُ وأنا غلام أجذب بشعر كَتفيَه حتى أقوم[٤].

ذكر جملة من مناقبه: قال ابن سعد: هاجر الزبير إلى الحبشة الهجرتَين، ولم يتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزاةٍ غزاها، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٥.
(٢) التبيين ٢٥٥.
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٠.
(٤) المعارف ٢٢٠.

الأولين، وأحد العشرة المبَشَّرين، وابن عمة رسول الله ﷺ وحواريّه، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وجمع له رسول الله ﷺ أبوَيه، ولم يجمعهما إلا له ولسعد بن أبي وقاص[١].

وذكر الموفق رحمه الله، عن أبي إسحاق السبيعي قال: وقفتُ على مجلسٍ فيه أكثر من عشرين رجلاً من الصحابة، فقلت لهم: مَن كان أكرمَ على رسول الله ﷺ؟ قالوا: علي والزبير.

وقد ذكرنا أنه كان على الزبير يومَ بدرٍ مُلاءةٌ صفراء، فنزلت الملائكة على سيماه، وثبت مع النبي ﷺ يوم أحد وبايعه على الموت.

وقال الموفق رحمه الله عن هشام بن عروة، قال: نَفخت نفخةٌ من الشيطان أُخذ فيها رسول الله ﷺ، فأقبل الزبير يَشقُّ الناس بسيفه والنبي ﷺ بأعلا مكة، فقال له رسول الله ﷺ: «مالك يا زبير؟» فقال: أُخبرت أنك أُخذت، قال: فصلّى عليه ودعا له ولسيفه[٢].

وقد رواه ابن المسيب فقال: أول مَن سلَّ سيفاً في ذات الله الزبير بن العوام، بينما هو بمكة إذ سمع نغمة: أن النبي ﷺ قد قُتل، فخرج عُرياناً ما عليه شيء، في يده السيف صَلْتاً، فتلقّاه رسول الله ﷺ كَفةً بكفة، فقال: «مالك يا زبير؟» قال: سمعتُ أنك قد قُتلت، قال: «فما كنتَ صانعاً» قال: أردت والله أن أستعرِضَ أهلَ مكة، فدعا له رسول الله ﷺ.

وقال مصعب بن الزبير: قاتل أبي مع رسول الله ﷺ وعمره اثنتا عشرة سنة[٣].

وقال أبو نعيم الأصفهاني بإسناده عن أبي الأسود قال: أسلم الزبير وهو ابن ثمان سنين، وهاجر وهو ابن ثماني عشرة سنة، وكان عمُّهُ يُعذّبه[٤]، وقد ذكرناه.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩ .

(٢) التبيين ٢٥٦ .

(٣) صفة الصفوة ١/ ٣٤٦ ، وانظر الاستيعاب (٨٥٤).

(٤) حلية الأولياء ١/ ٨٩ .

وقال ابن سعد بإسناده عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن النبي ﷺ قال: «لكلِّ نبيٍّ حواري، وحواريّي الزبير»[١]، أخرجاه في «الصحيحين»[٢]، والحواريُّ: الناصر.

وحكى ابن سعد عن الواقدي بإسناده، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: لما هاجر الزبير من مكة إلى المدينة نزل على المنذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحة بن الجُلاح.

واختلفوا في الذين آخى رسول الله ﷺ بين الزبير وبينهم على أقوال؛ أحدها: بينه وبين ابن مسعود، والثاني: بين الزبير وطلحة، والثالث: بينه وبين كعب بن مالك، حكى هذه الأقوال ابن سعد عن الواقدي وغيره[٣]. وقيل: آخى بينه وبين [سلمة بن] سلامة بن وَقْش[٤].

وقد روينا أن رسول الله ﷺ رخص له في لُبْسِ الحرير بعُذْرِ القمل، وأقطعه نخلاً من أموال بني النَّضِير.

وقال هشام بن عروة، عن أبيه: أن أبا بكر رضي الله عنه أقطعه الجُرُف، وأقطعه عمر العَقيقَ أجمع.

وقال الزبير بن بكار بإسناده عن الأوزاعي، قال: كان للزبير ألفُ مَملوك يُؤدُّون الضّريبة، لا يَدخل بيتَ ماله منها دِرهم، يَتصدَّق بها.

وقال الزبير بن بكار أيضاً بإسناده عن جُويرية، قالت: باع الزبير داراً بست مئة ألف، فقيل له: غُبِنتَ، فقال: كلا والله، لتَعلَمُنَّ أنني لم أُغبَن، هي في سبيل الله تعالى.

وقال عبد الله بن أحمد بإسناده، عن علي بن زيد، قال: أخبرني مَن رأى الزبير، وإن في صدره لأمثال العيون من الطَّعنِ والرَّمْي.

وأخرج البخاري عن مروان بن الحكم، قال: أصاب عثمانَ رُعافٌ شديدٌ عام الرُّعاف، حتى حبسه عن الحجّ، وأوصى، فدخل عليه رجلٌ من قريش، فقال له: استخلِفْ، فقال:

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٩٨ .

(٢) من حديث جابر رضي الله عنه، البخاري (٣٧١٩)، ومسلم (٢٤١٥).

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٥ .

(٤) الاستيعاب (٨٥٤)، والتبيين ٢٥٥ .

نعم، ودخل عليه رجلٌ آخر فقال له كذلك، فقال: نعم، قال: ومن هو؟ فلما كان في الثالثة قال: الزبير؟ والذي نفسي بيده إنه لخيرُهم وأحبُّهم إلى رسول الله ﷺ[١].

وقال ابن عباس: وفي الزبير نزل قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[النساء: ٦٥][٢].

وروى الزبير بن بكار، عن هشام بن عروة قال: أوصى إلى الزبير جماعة من الصحابة، منهم: عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، والمقداد، فكان يَحفظ عليهم أموالَهم، ويُنفق على أبنائهم من ماله.

قال: وأوصى إليه مُطيع بن الأسود، فامتنع من قَبول الوصيّة، فقال له مُطيع: فإني أَنشُدك اللهَ والرَّحم، فإني والله ما أتبع في ذلك إلا رأي عمر بن الخطاب، سمعتُه يقول: لو تركتُ تَرِكةً، أو عهدتُ إلى أحدٍ، لعهدتُ إلى الزبير، إنه ركنٌ من أركان الدّين.

قال: وأوصى إليه أبو العاص بنُ الربيع بابنته أُمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، فزوَّجها الزُّبير من علي عليه السلام.

وقال عروة: شهد الزبير فتحَ مصر لما بعثه عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص، وهو أول من صعد السُّلَّم في فتح حِصنها، ولما قَرب من مصر وكان بها الطّاعون، قيل له: احذرِ الطّاعون، فقال: إنما خرجتُ للطَّعنِ والطاعون[٣].

ذكر مقتل الزبير بن العوام:

قد ذكرنا أنه خرج من العسكر يوم الجمل يَقصد المدينة، فقتله عمرو بن جُرْموز بوادي السِّباع، باتّفاق من الأحنف بن قيس[٤].

وقال الهيثم بن عدي: سأل الزبير يوم الجمل فقال: أفيكم عمار بن ياسر؟ قالوا: نعم، فأغمد سيفَه وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعمار: «تَقتلُك الفئةُ الباغية»، ورجع يطلب المدينة، فقتله ابن جرموز بوادي السباع.

---

(١) صحيح البخاري (٣٧١٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٤١٩)، والبخاري (٢٣٦١)، ومسلم (٢٣٥٧) من حديث الزبير رضي الله عنه ضمن قصة.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٠ ، وتاريخ دمشق ٦/ ٣٧٨ (مخطوط)، والسير ١/ ٥٥ .

(٤) لم يجر ذكر مقتل الزبير رضي الله عنه في أحداث الجمل، وهذا من دلائل الاختصار.

وقال الموفق رحمه الله في «الأنساب»: شهد الزبير الجمل، فذكَّره علي أن رسول الله ﷺ قال له: «يا زبير، أما إنك ستقاتلُه وأنت ظالم له» فذكر ذلك، فانصرف عن القتال، فاتّبعه ابنُ جُرموز فاغتَرَّه، وقتله بوادي السِّباع، وجاء بسيفه إلى علي، فقال: بَشِّر قاتلَ ابنِ صَفيَّةَ بالنار[١].

وقيل: إن ابن عباس وَبَّخه يومَ الجمل.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي خالد ـ يعني الوالِبيّ ـ قال: دعا الأحنفُ بن قيس بني تميم فلم يُجيبوه، ثم دعا بني سعد فلم يُجيبوه، فاعتزل في رهطٍ، فمر به الزّبير على فَرس يُقال له: ذو النّعال، فقال الأحنف بن قيس: هذا الذي كان يُفسد بين الناس، قال: فأتْبَعَه رجلين ممن كان معه، فحمل عليه أحدهما فطعنه، وحمل عليه الآخر فقتله، وجاء برأسه إلى باب علي، فقال: ائذَنوا لقاتل الزبير، فسمعه علي فقال: بَشِّر قاتلَ الزبير بالنار، فألقاه وذهب.

وفي رواية: فحمل القوم عليه جميعاً فقتلوه، وأخذ ابنُ جُرموز رأسَه وسيفَه، وحملهما حتى أتى بهما إلى علي، فأخذ علي السيف وقال: سيفٌ طال والله ما جَلى به الكَرْبَ عن وَجه رسول الله ﷺ، ولكن الحَيْنُ ومَصارعُ السُّوء، وجلس علي يبكي عليه هو وأصحابه وأولاده، ودُفن الزبير بوادي السِّباع[٢].

وقال أحمد: حدثنا معاوية بإسناده، عن زِرّ بن حُبَيش قال: استأذن ابنُ جُرموز على علي وأنا عنده، فقال عليّ: بَشِّر قاتلَ ابنِ صَفيَّةَ بالنار، ثم قال علي: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لكلِّ نبيٍّ حَواريّ، وحواريَّ الزبير»[٣].

وقال أبو أحمد الحاكم: دُفن الزبير بسَفَوان.

وقال ابن سعد: كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل تحت الزبير، وكان أهلُ المدينة يقولون: مَن أراد الشهادة فليتزوَّج عاتكة بنت زيد، وكانت عند عبد الله بن أبي بكر فقُتل عنها[٤].

---

(١) التبيين ٢٥٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٣ـ١٠٤.

(٣) مسند أحمد (٦٨١).

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٤.

وقد ذكرناها[١] في ترجمة عبد الله بن أبي بكر، وما قال فيها من الشعر لما أمره أبوه بطلاقها، وكانت من المهاجرات، وسنذكرها بعد هذا.

وقال ابن سعد: وقال جرير بن الخَطَفَى: [من الكامل]

إن الـرَّزِيَّـةَ مَـن تَـضـمَّـنَ قَـبـرَه ... وادي الـسّـبـاع لـكـلِّ جَـنْـبٍ مَـصـرَعُ
لـمـا أتـى خَـبَـرُ الـزبـيـرِ تـواضـعـتْ ... سُـوُرُ الـمـديـنـةِ والـجـبـالُ الـخُـشَّـعُ
وبـكـى الـزبـيـرَ بـنـاتُـه فـي مَـأتَـمٍ ... مـاذا يَـرُدُّ بـكـاءَ مَـن لا يَـسـمـعُ[٢]

ذكر سن الزبير:

واختلفوا فيه، حكى ابن سعد، عن الواقدي، عن عبيد الله بن عروة بن الزبير، عن أخيه عبد الله بن عروة، عن عروة بن الزبير قال: قُتل أبي يوم الجمل وقد زاد على الستّين بأربع سنين.

وحكى ابن سعد، عن الواقدي قال: سمعتُ مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يقول: شهد الزبير بدراً وهو ابن تسعٍ وعشرين سنة، وقُتل وهو ابن أربعٍ وستّين[٣].

وحكى جدي في «الصفوة» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه قتل وهو ابن بضع وخمسين سنة.

والثاني: ابن ستين سنة.

والثالث: ابن خمسٍ وسبعين سنة[٤].

وقال في «التّلقيح»: ابنَ أربع وستين[٥].

وقال أبو اليقظان: ابن ثلاث وستين.

ذكر أولاده:

قال ابن سعد: كان للزبير من الولد أحد عشر ذكراً وتسع نسوة، عبد الله وعروة

---

(١) سنة (١١) من الهجرة.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٥، والأبيات في النقائض ٩٦٩، وديوانه ٩١٣ نقلاً عنها.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٥.

(٤) صفة الصفوة ١/ ٣٤٧.

(٥) تلقيح فهوم أهل الأثر ١١٥ وذكر الأقوال الثلاثة السابقة.

والمنذر، وعاصم والمهاجر دَرَجا، وخديجة الكبرى وأم الحسن وعائشة، وأمُّ الجميع أسماء بنت أبي بكر الصديق.

وخالد وعمرو وحبيبة وسَودة وهند، وأُمّهم أم خالد، وهي أمَة بنت خالد بن سعيد ابن العاص بن أمية.

ومصعب وحمزة ورَمْلة، وأمُّهم الرّباب بنت أُنَيف بن عُبيد، كلبيّة.

وقال ابن سعد: وحمزة أخو مصعب بن الزبير لأبيه وأمه، فولد حمزةُ عمارة، مات ولم يُعقِب، فورثه عروة وجعفر ابنا الزبير.

وعُبيدة وجعفر، وأمُّهما زينب، وتُكنى أم جعفر بنت مَرْثد بن عمرو، من بني ثعلبة، وزينب وأمُّها أم كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيط، وخديجة الصُّغرى وأمُّها الحلال[1] بنت قيس بن نَوفل، من بني أسد.

قال ابن سعد: وأُخبرت عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قال الزبير بن العوّام: إن طلحة بن عُبيد الله يُسمّي بَنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبيَّ بعد محمد ﷺ، وإني أُسمّي بَنيَّ بأسماء الشُّهداء لعلهم أن يُستشهدوا، فسمّى عبد الله بعبد الله بن جَحش، والمنذر بالمنذر بن عَمرو، وعروة بعروة بن مسعود، وحمزة بحمزة بن عبد المطلب، وجعفر بجعفر بن أبي طالب، ومصعب بمُصعب بن عُمير، وعُبيدة بعبيدة بن الحارث، وخالد بخالد بن سعيد، وعَمراً بعمرو بن سعيد بن العاص قتل يوم اليرموك. هذا كلامُ ابن سعد[2].

قلت: فأما عبد الله بن الزبير فسنذكره في سنة ثلاث وسبعين.

وأما عروة ففي سنة ثلاث أو أربع وتسعين.

وأما المنذر فقُتل مع أخيه عبد الله.

وأما عاصم فمات وهو غلام، ولا عقب له.

وأما المهاجر فلا ذكر له.

وأما مُصعب فقتله عبد الملك بن مروان لما نذكر.

---

(١) في (خ): أم كلثوم الحلال، ولم أجد من ذكر لها هذه الكنية.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٣ـ٩٤ و٧/ ١٨٣ .

وأما عمرو بن الزبير فقتله أخوه عبد الله، وسنذكره في سنة ستين.

وأما جعفر بن الزبير فمات في خلافة سليمان بن عبد الملك.

وأما خديجة الكبرى، فقال الزبير بن بكار: تزوجها عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة، ثم خلَف عليها جُبير بن مُطعم بن عَدي بن نوفل بن عبد مناف، ثم خلف عليها [عبد الله بن] السائب بن أبي حُبَيش بن المطلب الأسدي.

وأما أم حسن فتزوّجها [عبد الرحمن بن] الحارث بن هشام بن المغيرة، فوَلدت له: عبد الله وأبا سلمة والحارث وعيّاشاً، وعائشة وأم الزبير وأم سعيد وعاتكة وأم كلثوم وأسماء، وكلهم بنو عبد الرحمن من أم حسن.

قال: وعائشة بنت الزبير تزوّجها الوليد بن عثمان بن عفان، فولدت له عبد الله بن الوليد، وأم عائشة بنت الزبير أسماء بنت أبي بكر الصديق.

وأما رَمْلة بنت الزبير فأخت مصعب لأبيه وأمه، خطبها عبد الملك بعد قتل أخيها مصعب، فقالت: أنا أتزوّج أبا الذبّان بعد قتله مصعباً؟! وقيل: إن عبد الملك شاور أخاها عروة بن الزبير فقال: بالأمس قتلت أخاها واليوم تتزوجها لا آمنها عليك، فامتنع من تزويجها، فتزوجها خالد بن يزيد بن معاوية.

وأما حَبيبة بنت الزبير فتزوجها يعلى بن أمية التميمي، ثم خلف عليها عبد الله بن عباس بن علقمة العامري، فولدت له عباس بن عبد الله.

وأما سَوْدة بنت الزبير فتزوجها عمرو بن سعيد بن العاص.

وأما هند بنت الزبير فتزوجها عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كُريز، وأمها أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس. ذكر هذا الزبير بن بكار وأهل النسب[1].

ذكر إخوة الزبير:

قال علماء السير: وهم خمسة: السائب وعبد الرحمن وأسود وأَصْرم ويَعْلى بنو العوام، ولم يعقب منهم أحد سوى الزبير، ولم يشتهر منهم سوى السائب بن العوام

(١) انظر نسب قريش ٣٠٦ـ٣٠٧، والمحبر ٦٧، وطبقات ابن سعد ٧/ ٦ـ٧، وأنساب الأشراف ٨/ ٦٣، والرياض النضرة ٢/ ٢٩٨ـ٢٩٩ (الكتب العلمية).

شهد أحداً والخندق وما بعدها، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وقُتل يوم اليمامة شهيداً، وقد ذكرناه[١].

وقد قال الموفق رحمه الله: وعبد الرحمن بن العوام أخو الزبير، أسلم وحَسُنَ إسلامه، وقُتل يوم اليرموك شهيداً، وابنُه عبد الله بن عبد الرحمن قُتل يوم الدار مع عثمان، وابنه الآخر عبيد الله قتل بصفّين.

قال الموفق: وكان للزبير أختٌ يقال لها زينب بنت العوام، تزوجها حكيم بن حزام فولدت له، ولها شعر ترثي فيه عثمان بن عفان وأخاها الزبير.

قال: وكان للزبير أخت أخرى يقال لها أم حبيب بنت العوام ولدت لخالد بن حزام[٢].

وقال هشام: وكان للزبير أختٌ يُقال لها: أم السائب بنت العَوّام[٣].

ذكر موالي الزبير: قد حكينا أنه كان له ألفُ مملوك، ومن أعيانهم: البَهيّ، واسمه عبد الله بن يَسار، وكُنيتُه أبو محمد، روى الحديث عن عائشة، ونزل الكوفة فروى عنه أهلها.

ومنهم حُميد القارىء، ويُعرف بالأعرج، قارىء أهل مكة، وكان مُحدِّثاً حاسباً فارضاً، قرأ القرآن على مجاهد[٤].

ذكر وصايا الزبير وتركته وقضاء ديونه: قال البخاري بإسناده عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير قال: دعاني أبي يوم الجمل وهو واقف في الصف، فقال لي: يا بُني، إنه لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مَظلوم، ولا أُراني إلا سأُقتل اليوم مَظلوماً، وإن من أكبر همِّي لَدَيني، أفترى دَيني يُبقي من مالي شيئاً، وأوصى بالثُّلث، وثُلُثه لبنيه، يعني لبني عبد الله، قال: فإن عَجزت عن شيءٍ منه فاستعن عليه بمولاي.

قال عبد الله: فوالله ما دَريتُ ما أراد حتى قلتُ له: يا أبتِ، مَن مَولاك؟ قال: الله

---

(١) لم يجر ذكره قبلاً، ولعل المختصر أسقطه.

(٢) التبيين ٢٧٠.

(٣) المعارف ٢٢٠، وانظر نسب قريش ٢٣٥ـ٢٣٦، وأنساب الأشراف ٨/ ٥٧.

(٤) المعارف ٢٢٦ـ٢٢٧.

تعالى، قال: فوالله ما وَقعتُ في كُربَةٍ من دَيْنه إلا قلت: يا مَولى الزبير اقضِ عنه دَينه فيَقضيه.

قال: فقُتل يوم الجمل ولم يَدَعْ ديناراً ولا دِرهماً إلا أرَضِين؛ منها: الغابة، وأحد عشر داراً بالمدينة، ودارَين بالبصرة، وداراً بمصر، وداراً بالكوفة.

قال: وإنما كان دَينه الذي عليه؛ كان الرجل يَأتيه بمالٍ فيَستودِعُه إياه، فيقول الزبير: لا ولكن هو سَلَف، إني أخشى عليه الضَّيْعَة، وما وَلي إمارةً قط، ولا جباية ولا خراجاً ولا شيئاً؛ إلا أن يكون في غَزو مع رسول الله ﷺ أو مع أبي بكر وعمر وعثمان.

قال عبد الله: فحسبتُ ما عليه من الدَّين فوجدتُه ألفي ألف درهم ومئتي ألف درهم، فلَقيني حكيم بن حزام فقال: يا ابنَ أخي، كم على أخي من الدَّين؟ فكتمتُه وقلت: مئة ألف، فقال حكيم: والله ما أرى أموالكم تَتّسع لهذه، فقال له عبد الله: أرأيتَ إن كانت ألفي ألف ومئتي ألف؟ فقال: ما أُراكم تُطيقون هذا، فإن عَجزتُم عن شيءٍ فاستعينوا بي.

قال: وكان الزبير قد اشترى الغابة بسبعين ومئة ألف، فباعها عبد الله بألف ألف وست مئة ألف، ثم قام فقال: مَن كان له على الزبير شيءٌ فلْيُوافِنا بالغابة، فأتاه عبد الله ابن جعفر، وكان له على الزبير أربع مئة ألف، فقال لعبد الله: إن شئتم تركتُها لكم، وإن شئتم جعلتُها فيما تُؤخّرون إن أخّرتُم، فقال عبد الله: لا، قال: فاقطعوا لي قِطعةً، [فقال عبد الله: لك] من ها هنا إلى ها هنا، فباع عبد الله فقضى دَينه منها وأوفاه، وبقي منها أربعةُ أسهم ونصف.

فقدم عبد الله على معاوية وعنده عمرو بن عثمان، والمنذر بن الزبير، وابن زَمعة، فقال له معاوية: بكم قُوِّمت الغابة؟ فقال: كلُّ سهمٍ بمئة ألف، قال: فكم بقي منها؟ قال: أربعة أسهم ونصف[1]، فقال المنذر: قد أخذتُ منها سهماً بمئة ألف، وقال عمرو بن عثمان: وأنا كذلك، وقال ابن زَمْعة: وأنا كذلك، وقال معاوية: وأنا قد أخذتُ سهماً ونصفاً بمئة ألف وخمسين ألفاً.

---

(١) في (خ): وربع، في الموضعين، والمثبت من البخاري (٣١٢٩).

وباع عبد الله بن جعفر نَصيبه من معاوية بست مئة ألف، فلما فرغ ابنُ الزبير من قضاء ديونه قال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثَنا، فقال: لا والله، لا أقسِمُه بينكم حتى أُنادي بالموسم أربعَ سنين: ألا مَن كان له على الزبير دَينٌ فلْيأتِنا فلنقضِه، فجعل كلّ سنة ينادي بالموسم، فلما مضت أربع سنين قسم بينهم ورفع الثّلث.

وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كلّ امرأةٍ ألفَ ألف ومئتي ألف، فجميع مال الزبير خمسون ألف ألف ومئتا ألف. انفرد بإخراجه البخاري. وكذا ذكر ابن سعد في «الطبقات»[١].

قال الزهري: وهذا مال عظيم، والغابة أرضٌ بالمدينة، فيها رياض وشجرات.

وقال هشام: لما قتل الزبير أرسل ابنُه عبد الله إلى عاتكة بنت زيد: إنك امرأة من بني عَديّ، ونحن من بني أسد، فإن دخلتِ علينا أفسدتِ أموالَنا وأضررتِ بنا، فصالحها على ثمانين ألفاً.

وقال ابن سعد بإسناده عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن الزبير بن العوّام جعل داراً له حَبيساً على كلِّ مَردودةٍ من بناته.

وفي رواية ابن سعد عن عروة بن الزبير قال: كان قيمةُ ما ترك الزبير أحداً وخمسين أو اثنين وخمسين ألف ألف.

وفي رواية ابن سعد عن عروة قال: كان للزبير بمصر خطط، وبالإسكندرية خطط، وبالكوفة خطط، وبالبصرة دور، وكانت له غَلاتٌ تَقدم عليه من أعراض المدينة[٢].

وروى هشام بن محمد، عن أبيه قال: ترك الزبير من العين خمسين ألف ألف درهم، ومن العروض مثلها، قال: وقيل لعبد الله بن الزبير: قد كان أبوك على ما كان عليه من الفضل، ويُخلّف ديناً عليه ألفي ألف؟ فقال: لم يكن دَيناً عليه، ولكنها مَواعيد كان يكتب بها للناس[٣].

---

(١) ٣/ ١٠١-١٠٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٠، ١٠٢.

(٣) تاريخ دمشق ٦/ ٣٩٣ (مخطوط).

ذكر مسانيد الزبير: ليس في الصحابة مَن اسمه الزبير بن العوام غيرُه، فأما غير ابنِ العَوَّام فاثنان؛ أحدهما: الزبير بن أبي هالة، وله صحبة ورواية، والثاني: الزبير بن عبيدة، ليس له رواية[١].

واختلفوا في مَسانيد الزبير بن العوام؛ فقال أبو نعيم الأصبهاني: أسند نيّفاً وثلاثين حديثاً بمراسيلها، وقال ابن البَرْقي: الذي حُفظ لنا عنه نحوٌ من عشرين بمراسيلها.

وأخرج له أحمد عشرين حديثاً، منها في «الصحيحين» تسعة أحاديث، المتَّفق عليه منها اثنان، وباقيها للبخاري[٢].

وروى عن الزبير أبناؤه: عبد الله وعُروة وجعفر، ومالك بن أوس بن الحَدَثان، والأحنف بنُ قيس، وعبد الله بن عامر بن كُرَيز، ومسلم بن جُندب الهُذَلي في آخرين، وكان الزبير قليلَ الحديث عن رسول الله ﷺ، لا يُحدّث إلا في الأحيان.

قال أحمد بن حنبل بإسناده عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عبد الله قال: قلتُ لأبي: مالك لا تُحدّث عن رسول الله ﷺ كما يُحدّث ابن مسعود وفلان؟ فقال: أما إني لم أُفارقه منذ أسلمتُ، ولكنني سمعتُه يقول: «من كذب عليَّ، أو قال عليَّ ما لم أقل فليتبَوّأ مقعدَه من النار»[٣].

ولم يذكر في هذا الحديث: «من كذب مُتَعمّداً»، وكان الزبير يُنكر أن رسول الله ﷺ قال: متعمداً.

وقال وَهْب بن جرير في حديثه عن الزبير: والله ما قال رسول الله متعمّداً، وأنتم تقولون متعمداً[٤].

قلت: ولفظة: متعمداً؛ رواها عن رسول الله ﷺ مئة وعشرون من الصحابة، وقيل: نيّفٌ وستون[٥]، منهم العشرة المبَشَّرون، وأحاديثهم في «الصحيحين»، فيحتمل أن

---

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر ١٩٣ .

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٦٦ ، ٣٩٢ .

(٣) مسند أحمد (١٤٢٨).

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٩ .

(٥) انظر الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص ٤ ، ولقط اللآلىء المتناثرة في الأحاديث المتواترة ٢٦١ .

الزبير لم يَسمعها من رسول الله ﷺ، فخاف أن يُحدِّث ما لم يسمعه شِفاهاً، وإن كان قد سمعه من الصحابة، وهذا دليلٌ على كمال وَرَعه.

وقال أبو سليمان الخطّابي: في الحديث من الفقه أنه لا يجوز للرجل أن يُحدّث عن النبي ﷺ بالشك وغالب الظن.

ومن مسانيد الزبير: قال أحمد بإسناده عن غَيلان بن جَرير، عن مُطرِّف قال: قلنا للزبير: يا أبا عبد الله، ما جاء بكم، ضيَّعتُم الخليفةَ حتى قُتل، ثم جئتم تَطلبون بدمه؟! فقال الزبير: إنا قرأنا على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾[الأنفال: ٢٥] لم نكن نَحسِبُ أنّا أهلُها حتى وقعتْ منّا حيث وقعتْ[1].

انتهت ترجمة الزبير بن العوام.

وفيها توفي

زيد بن صُوحان

ابن صَبِرة بن حِدرجان العَبدي[2]، من عبد القيس، وكُنيته أبو سَلمان، وقيل: أبو عائشة، وقيل: أبو مسلم وقيل: أبو عبد الله.

له وِفادةٌ على رسول الله ﷺ، وكان من جُملة الذين سيَّرهم عثمان من الكوفة إلى الشام، ورَدَّه معاوية إلى الكوفة من دمشق. وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، ممن روى عن عمر وعلي[3]، وكان من خواص علي، وهو أخو صَعصَعة بن صُوحان لأبيه وأمه.

وكان زيد من الصُّوَّام القُوَّام، وقد ذكره رسول الله ﷺ، فقال ابن سعد بإسناده عن عُبيد بن لاحِق قال: كان رسول الله ﷺ في سَفر، فنزل رجلٌ من القوم فساق بهم ورَجَز، ثم نزل آخر، ثم بدا لرسول الله ﷺ أن يُواسي أصحابَه، فنزل وجعل يقول:

---

(١) مسند أحمد (١٤١٤).

(٢) نسبه في مصادر ترجمته: زيد بن صوحان بن حُجر بن الحارث بن الهِجْرِس بن صبرة...

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٣ .

جُـــنْـــدَب ومـــا جـــنـــدب والأقـــطـــعُ الـــخـــيـــر زيـــد

فقيل له في ذلك فقال: «رجلان يكونان في هذه الأمة، يَضرب أحدُهما ضَربةً يُفَرّق بها بين الحق والباطل، والآخر تُقطع يدُه في سبيل الله، ثم يُتْبِعُ الله آخرَ جسده أوَّلَه».

قال الأَجْلح: فأما جُندب فهو الذي قَتل الساحرَ عند الوليد بن عُقبة، وأما زيد فقُطعت يدُه يوم جَلولاء، وقيل: يوم نَهاوَند، وقُتِل يوم الجمل[1].

وكان عمر بن الخطاب يُعَظِّم زيد بنَ صُوحان، فقال ابن سعد بإسناده عن حماد بن سلمة، عن أبي التَّيَّاح، [عن عبد الله بن أبي الهُذيل]: أن وَفْدَ الكوفة قدموا على عمر ابن الخطاب، فأثنى عليهم، وقام فجعل يُرَجِّل لزيد بن صُوحان ويقول: يا أهلَ الكوفة، هكذا فاصنعوا بزيد وإلا عَذَّبتُكم.

وفي رواية عن حماد بن سلمة قال: لما ركب زيد أخذ عمر بن الخطاب برِكابه وقال: هكذا فاصنعوا بزيد وبإخوته.

وروى ابن سعد بإسناده عن سلمان الفارسي أنه كان يقول لزيد بن صُوحان يوم الجمعة: قم فذكِّر قومَك[2].

وقال ابن عبد البر[3]: كان زيد فاضلاً، سيّداً في قومه، وكان مؤاخياً لسلمان الفارسي، ومن حُبّه له كَنّى نفسه أبا سلمان.

وقال الواقدي: وقد رُوي في حديث علي عليه السلام، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن سَرَّه أن يَنظر إلى رجلٍ يَسبقه بعضُ أعضائه إلى الجنة بعشرين سنة فلينظر إلى زيد بن صُوحان»[4].

قال: وقُطعت يدُ زيد بنهاوند في سبيل الله، وعاش بعد ذلك عشرين سنة، ثم قُتل يوم الجمل.

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٣ـ٢٤٤ ، والأجلح هو الراوي عن عُبيد بن لاحق.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٤ـ٢٤٥ .

(٣) في الاستيعاب (٨١٧).

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٨/ ٤٤٠ .

قال: والأحاديث الواردة في هذا الباب من معجزات نبينا ﷺ؛ فإنه أخبر بما يكون قبل وجوده.

وقال ابن سعد بإسناده عن حميد بن هلال قال: قام زيد بن صُوحان إلى عثمان بن عفان وقال له: مِلتَ فمالت أُمَّتُك، فاعتدِلْ تعتدل الأمة ـ قالها ثلاثاً ـ فقال له عثمان: أسامعٌ مُطيعٌ أنت؟ قال: نعم، قال: فالحق بالشام، قال: فخرج من فَوره ذلك، فطلَّق امرأتَه، ثم لحق بحيث أمَره، وكانوا يَرون الطاعةَ عليهم حقاً[١].

وروى أبو بكر الخطيب بإسناده، عن حميد بن هلال قال: كان زيد يصوم النهار ويَقوم الليل، وإذا كانت ليلة الجمعة أحياها، وبلغ سلمان فأتى منزلَه، فسأل عنه، فقالت امرأتُه: ليس ها هنا، فقال لها: اصنَعي طعاماً، فصنعت وأمرها فلَبستْ أفخرَ ثيابها، وبعث إلى زيد فجاء، فقال: قَدِّمي الطعام، فقال زيد: أنا صائم، فقال: كُلْ، فقال: إن لنَفْسك عليك حقاً... وذكر الحديث، وقال: فإن شرَّ السَّيرِ الحَقْحَقَة، فأكل زيد، ونال من امرأته، وترك ما كان يصنع[٢].

الحقحقة: أرفع السَّير وأتعبُه، وقد ذكره الجوهري، وقيل: هو السيرُ أول الليل، وقد نُهي عنه[٣].

ذكر مقتله:

قال أبو نعيم بإسناده عن يزيد بن هارون قال: قال زيد بن صُوحان لأصحابه ليلة الجمل: رأيتُ في منامي يداً أُخرجت من السماء؛ تُشير إليّ أن تَعال، وأنا غداً مَقتول لا مَحالة، فادفنوني في ثيابي، فقُتل صَبيحة ذلك اليوم.

وروى ابن سعد عن أبي معشر قال: قيل لزيد بن صُوحان يوم الجمل وهو جَريح: أبشر يا أبا عائشة، فقال: أتيناهم في ديارهم، وقتلْنا أميرَهم، وعثمان على الطريق، ثم قالوا: لا تَغسلوا عني دماً، ولا تَنزِعوا عني ثوباً إلا الخُفّين فإني رجلٌ مُخاصَم أُحاجُّ غداً.

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٥.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٤٣٧، والمنتظم ٥/ ١١٠ـ١١١.

(٣) الصحاح: (حقق).

وفي رواية ابن سعد: وادفِنوا معي مُصحفي، وابنَ أبي سَيحان بن صُوحان، يعني أخاه، وكان قُتل في ذلك اليوم، فدُفِنا في قبرٍ واحد[١].

وقال الواقدي: قُتل زيد يوم الجمل، قتله عمرو بنُ يَثرِبي، وقُتل معه أخوه سَيحان ابن صُوحان، وبلغ عائشة فتأسّفت عليه وقالت: رحمه الله.

قال: وكانوا ثلاثة إخوة: زيد وصعصعة وسَيحان بنو صُوحان.

وقال ابن قتيبة: وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «زيد الخير الأجذم، وجندب ما جندب»[٢]، وذكر بمعنى ما تقدّم.

واختلفوا في مسانيد زيد، فقال ابن عبد البر: لا أعلم له رواية عن رسول الله ﷺ، وإنما أدركه، وكان سيداً في قومه[٣].

وذكره جدي رحمه الله في «التلقيح»[٤] في الصحابة وقال: زيد بن صُوحان أبو عائشة، وقيل: أبو سلمان العبدي، ولم يذكره فيمن له رواية.

وقال ابن سعد: كان زيد ثقةً قليل الحديث[٥].

وقد روى زيد عن عمر وعلي وسلمان، وروى عنه أبو وائل وسالم بن أبي الجعد والعَيْزار بن حُريث في آخرين، وله مع عبد الله بن عامر بن كُريز والي البصرة حكاية.

قال أبو نُعيم بإسناده عن الحسن ـ وقد رواها ابنُ المبارك ـ قال: عَمد زيد بن صوحان إلى رجالٍ من أهل البصرة، قد تفرَّغوا للعبادة، وليست لهم تجارات ولا غَلّات، فبنى لهم داراً وأسكنهم فيها، وجعل عليهم ما يَقوم بمصالحهم من مَطعَم ومَشرَب ومَلبَس وغيره، فجاء في بعض الأيام يزورُهم فلم يَجدهم، فسأل عنهم، فقيل له: دعاهم عبد الله بن عامر ـ عاملُ البصرة في أيام عثمان.

فخرج مُسرعاً حتى دخل على ابن عامر وهم عنده، فقال: يا ابن عامر، ما تُريد من

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٥ـ٢٤٦ .

(٢) المعارف ٤٠٢ .

(٣) الاستيعاب (٨١٧).

(٤) ص ١٩٤ .

(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٦ .

هؤلاء القوم؟ فقال: أريد أن أُقرِّبَهم، فيَشفعوا فأُشَفِّعَهم، ويَسألوا فأُعطيَهم، ويُشيروا عليَّ فأقبلَ منهم، فقال: لا ولا كَرامة، تأتي إلى قومٍ قد انقطعوا إلى الله تُدَنِّسهم بدُنياك، وتُشركهم في أمرك، حتى إذا ذهبت أديانُهم أعرضتَ عنهم؛ فطاحوا لا إلى الدنيا ولا إلى الآخرة، قوموا فارجعوا إلى مواضعكم، فقاموا وأُسكتَ ابنُ عامر فما نطق بلفظة.

وفي رواية ابن المبارك: فلما دخل زيد على ابن عامر، وقال له ما قال؛ قال زيد: كلا والله، لا أَدعك تُهيل عليهم من دُنياك وتُشركهم في أمرك، وتُذيقُهم حلاوةَ ما أنت فيه، حتى [إذا] انقطعت شِرَّتُك منهم تركتَهم، فطاحوا بينك وبين ربهم[١].

وفيها تُوفّي

شُرَحبيل بن السِّمط

ابن شُرَحْبيل بن الأسود الكِندي، وكُنيته أبو السّمط، وقيل: أبو يزيد.

وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من الصحابة فيمن وَفد إلى رسول الله ﷺ، ونَسبه فقال: شُرحبيل بن السِّمط بن شرحبيل بن الأسود[٢] بن جَبَلة بن عَديّ بن ربيعة بن معاوية الأكرمين، جاهلي إسلامي، وَفد إلى رسول الله ﷺ، وشهد القادسية، وافتتح حمص، وقسمها منازل في أيام عثمان بن عفان.

وقال البخاري: بعثه عمر بن الخطاب على جيش، وقدم مصر لغزو المغرب، وله صُحبة[٣].

وقال هشام: قاتلَ أهلَ الرِّدَّة، وكان على ميمنة سعد بن أبي وقاص يوم القادسية، وقال غيره: على مَيسرته.

وقال أبو القاسم بن عساكر: قال عبد الله بن المبارك: استعمل عمر بن الخطاب

(١) أخرج ابن عساكر ٦/ ٦٣٦ (مخطوط) رواية ابن المبارك. وانظر في ترجمة زيد إضافة للمصادر السابقة: السير ٣/ ٥٢٥، والإصابة ١/ ٥٨٢.

(٢) في طبقات ابن سعد ٦/ ٢٣٨: شرحبيل بن السمط بن الأسود.

(٣) التاريخ الكبير ٤/ ٢٤٨-٢٤٩ دون قوله: وقدم مصر لغزو المغرب.

شُرَحبيل على المدائن، وكان أبوه السِّمط بالشام، فكتب أبوه إلى عمر: إنك تأمُرنا أن لا نُفَرِّق بين السبايا وأولادِهن، وقد فرَّقتَ بيني وبين وَلدي، فكتب عمر إلى شرحبيل أن الحق بأبيك، فألحقه به.

قال: وقال خليفة: أقام شُرَحبيل والياً على حمص عشرين سنة.

قال: وقال وكيع: نزل شُرحبيل الشام، فغزا أرضَ الرّوم، فقال للجيش: قد نزلتم بأرضٍ فيها نساء وشَراب، فمَن أصاب منكم حدّاً فليأتِنا نُطَهِّرْه، فبلغ عمر، فكتب إليه: لا أُمَّ لك، تأمُرُ قوماً ستر الله عليهم أن يَهتكوا سِترَه عليهم، لا تتأمَّر بعدها على اثنين[١].

وقال البلاذري: أكرم سعد بن أبي وقاص شُرحبيل، وفَضَّله على الأشعث بن قيس الكِندي، فغضبت لذلك كندة[٢].

وقال هشام: كان شُرَحبيل سيداً شريفاً، استقدمه معاوية إلى دمشق ليستشيره في قتال أمير المؤمنين.

ذكر وفاته:

قال أبو نُعيم: مات في سنة ثلاث وثلاثين.

وقال البخاري: مات بسَلَمية في سنة ست وثلاثين، وصلى عليه حبيب بن مَسلَمة[٣].

وقال ابن عبد البر: مات بحمص[٤].

وقد أنكر قومٌ أن يكون له صحبة، وليس بصحيح، ذكره جدي في «التلقيح» في الصحابة وقال: قال البخاري: له صحبة[٥].

وقد ذكرنا مَن اسمُه شُرحبيل في ترجمة شُرَحبيل بن حَسَنة في سنة [ثمان عشرة][٦].

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٢٥ (مخطوط).

(٢) أنساب الأشراف ٨/ ١٠٩ـ١١٠ .

(٣) التاريخ الكبير ٤/ ٢٤٨ وفيه: مات بحمص...

(٤) الاستيعاب (١١٥٥).

(٥) تلقيح فهوم أهل الأثر ٢٠٧ .

(٦) أسقط المختصر مَن اسمه شرحبيل في ترجمة شرحبيل بن حسنة سنة (١٨هـ).

روى شُرحبيل عن عمر، وعلي، وسلمان، وعُبادة بن الصامت، وعمرو بن عَبَسة وغيرهم.

وروى عنه خالد بن مَعدان، وجُبير بن نُفَير، وسالم بن أبي الجَعْد وغيرهم، وليس له رواية عن رسول الله ﷺ[١].

وفيها تُوفي

صَعصَعة بن صُوحان

وهو أخو زيد بن صُوحان، وكُنيتُه أبو عمرو، وقيل: أبو طلحة، وقيل: أبو عكرمة.

وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، وكان من أصحاب أمير المؤمنين، وكان خطيباً، شهد الجمل وصفّين مع أمير المؤمنين، وكان أميراً على عبد القيس، واختطَّ بالكوفة[٢]، ونفاه عثمان من الكوفة إلى الشام مع المسيَّرين لما أنكروا عليه.

وذكره ابن عبد البر، وأثنى عليه وقال: كان مسلماً على عهد النبي ﷺ ولم يَره، وكان من سادات عبد القيس، فصيحاً عاقلاً لَسِناً خطيباً ديّناً فاضلاً بليغاً، لم يكن في زمانه أخطبُ منه.

قال له عمر بن الخطاب: أنت منّي وأنا منك، وسببه أن عمر أُتي بمال مَبلغُه ألف ألف درهم، فقسمه، فبقيت منه بقيّة، فقال عمر: ما تقولون فيها؟ فقال صعصعة: يا أمير المؤمنين إنما تُشاور فيما لم يَنزل فيه قرآن، أما إذا نزل فضَعْه في مَواضعه التي وَضعه الله فيها، فأُعجب به عمر وقال: صدقتَ أنت منّي وأنا منك[٣].

وقال أبو القاسم بن عساكر: أنكر على عثمان وهو على المنبر، وذكر بمعنى ما ذكرناه عن أخيه زيد، وأنه خرج إلى الشام، فلما قدم دمشق أنزله معاوية داراً[٤].

---

(١) انظر تهذيب الكمال (٢٧١٦) والمصادر فيه، والإصابة ٢/ ١٤٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٤٠ـ٣٤١.

(٣) الاستيعاب (١٢٢٣).

(٤) تاريخ دمشق ٨/ ٣٠٦ (مخطوط).

وقال هشام: مرض فعاده عمر، وقال له: والله إنك فيما علمتُ لخفيف المؤونة، حسن المعونة.

وحكى ابن عساكر عن زُرارة بن أبي أوْفى: أن معاوية خطب فقال: نحن أحقُّ بهذا الأمر، نحن شجرة رسول الله ﷺ وبيضته التي انفلقت عنه، فناداه صَعصعة: وأين بنو هاشم؟ فقال: نحن أَسوَسُ للمُلْك منهم، وهم خيرٌ منا.

ثم قال معاوية: أنا لكم جُنَّة، فقال صعصعة: فإن احترقت فكيف تَصنع؟ فقال معاوية: هذا ترابي، من التُّراب خُلقتُ وإلى التراب أصير.

ثم قال معاوية: لو وَلد أبو سفيان الناسَ كلّهم لكانوا أكياساً، فقال صَعصعة: فقد وَلد الناسَ كلَّهم من هو خير من أبي سفيان وهو آدم، ومنهم الكَيّس والأحمق[1].

وحكى ابن عساكر أيضاً عن زُرارة قال: قدم صَعصعة في وَفد العراق على معاوية، فقال لهم: قدمتُم أرضاً بها قبورُ الأنبياء، فقال صَعصعة: مَن مات بها من الفراعنة أكثر مَن مات من الأنبياء، فقال له معاوية: اسكُتْ لا أرضَ لك، فقال: ولا لك يا معاوية، إن الأرض لله يُورثها مَن يشاء من عباده، فقال معاوية: لقد كنتُ أُبغِضُ أن أراك خطيباً، فقال صعصعة: وأنا والله لقد كنت أبغض أن أراك خليفة.

وبهذه الروايات يَحتجُّ ابنُ سعد أن صعصعة مات أيام معاوية،فإنه قال: شهد صعصعة الجمل هو وأخوه زيد وسَيحان، فلما قُتل أخواه أخذ الراية بيده، قال: وتوفي بالكوفة في أيام معاوية، وروى عن علي وعبد الله بن عباس[2].

وروى عنه أبو إسحاق السَّبيعي، والمِنهال بن عمرو، وعبد الله بن بُريدة وغيرهم.

وقال البخاري: مات صعصعة في أيام يزيد بن معاوية[3].

وقال الواقدي: مات سنة ست وثلاثين.

ومن فَصاحته ما حكاه أبو القاسم بن عساكر، عن محمد بن سلام قال: مَرَّ صَعصعة

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٣١٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٤٠ـ٣٤١.

(٣) التاريخ الكبير ٤/ ٣١٩.

بقوم وهو يُريد مكة، فقالوا: من أين أقبلت؟ فقال: من الفَجِّ العَميق، قالوا: فأين تُريد؟ قال: البيتَ العَتيق، قالوا: فهل كان من مَطَر؟ قال: نعم، عَفّى الأَثَر، وأنضر الشَّجَر، ودَهْدَه الحَجَر، قالوا: فأي آية في كتاب الله أحكم؟ فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ الآية [الزلزلة: ٧][١].

وفيها توفي

صفوان بن أمية

ابن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح. قال ابن منده: واسم جمح تيم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لُؤيّ بن غالب.

وأُمُّه صَفيّة بنت معمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافه بن جُمَح، كذا ذكر ابن سعد[٢]، وقد اختلفوا فيها:

فقال أبو اليقظان: أمُّه صَفيَّة بنت عُمير من بني جُمَح.

وقال ابن البَرْقي: هي أُنيسة بنت معمر بن حَبيب، جُمحيّة.

قال ابن سعد: أسلم صفوان بحُنين، وأعطاه رسول الله ﷺ مع المؤلَّفة قلوبُهم.

وحكى ابن سعد، عن ابن المسيّب، عن صفوان قال: لقد أعطاني رسول الله ﷺ يوم حُنين وإنه لمن أبغض الناس إليّ، فمازال يُعطيني حتى إنه لمن أحبِّ الناس إليّ[٣].

وقال هشام: قُتل أبوه أمية يوم بدر كافراً، وقتل رسول الله ﷺ عمَّه أبيَّ بن خَلَف يوم أحد كافراً، وقد ذكرنا أنه هرب يوم فتح مكة ولم يُسلم، وبعث إليه رسول الله ﷺ بردائه مع ابن عمِّه وَهب بن عُمير، فعاد إلى مكة وقال: أجِّلني يا محمد شهراً، فأجَّله شهرين وأكثر، وخرج مع رسول الله ﷺ إلى حُنين وهو كافر، ثم أسلم بعد ذلك.

وذكره ابن سعد فيمن نزل مكة من الصحابة[٤].

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٣١٤ (مخطوط).

(٢) في طبقاته ٦/ ١٠٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ١١٢ و٨/ ١١.

(٤) طبقات ابن سعد ٨/ ١٠.

وقال ابن منده: شهد صفوان حُنيناً والطائف وهو على دينه، واستعار منه رسول الله ﷺ دروعاً يوم الفتح عند خروجه إلى حنين، وقال: أغَصباً يا محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل عاريّة مُؤدّاة».

وأخرجه أحمد في «المسند»[١] وفيه: فضاع بعضها، فعرض عليه رسول الله ﷺ أن يَضمنها، فقال: يا رسول الله، أنا اليوم في الإسلام أرغب، وقد ذكرناه.

وكانت امرأتُه البَغُوم بنت الوليد بن المغيرة، وقيل: بنت المعَذّل كنانية، قد أسلمت قبله يوم الفتح، ثم أسلم بعدها بشهر[٢]، وهل ردّها رسول الله ﷺ بنكاح جديد أم بالنكاح الأول؟ فيه قولان.

وأقام بمكة، فقيل له: لا إسلامَ لمن لم يُهاجر، فقدم المدينة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «عَزمتُ عليك يا أبا وهب لما رجعتَ إلى أباطح مكة»، فرجع إلى مكة، فأقام بها حتى مات[٣].

وقد أخرج أحمد في «المسند» بمعناه فقال: حدثنا رَوْح بإسناده، عن الزهري، عن صفوان بن عبد الله بن صفوان، عن أبيه:

أن صفوان بن أُميّة قيل له: هَلك مَن لم يهاجر، فقال: لا أصِلُ إلى أهلي حتى أسألَ النبي ﷺ، قال: فركبتُ راحلتي، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله، زعموا أنه هَلك مَن لم يُهاجر، قال: «كلا أبا وَهْب، فارجع إلى أباطحِ مكة». قال: فبينما أنا راقدٌ إذ جاء سارق، فأخذ ثوبي من تحت رأسي، فأدركتُه، فأتيتُ به رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا سرق ثوبي، فأمر به رسول الله ﷺ أن يُقطَع، قال: فقلتُ: ما أردتُ هذا يا رسول الله، هو عليه صَدقة، فقال: «هلّا قبل أن تأتيَني به»[٤].

وفي رواية: فأُخرج ليُقطع، فتغيَّر وجهُ النبي ﷺ، فقال صفوان: كأنه قد شَقَّ عليك، قد وهَبتُه منه، فأمر بقَطعه.

---

(١) (١٥٣٠٢).

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٨١ .

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ١١ .

(٤) مسند أحمد (١٥٣٠٣).

وفي رواية: أنه كان نائماً في المسجد.

وبهذا الحديث يَحتجُّ زفر والشافعي وأحمد؛ بأن السارق إذا مَلك المسروق بالهِبة ونحوِها بعد القضاء قبلَ الإمضاء أنه لا يَسقط الحدُّ، وعن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد يَسقط قياساً على ما إذا مَلكه قبل الخصومة والدعوى، فأورث ذلك شُبهةً في دَرْءِ الحدِّ[١].

وقال هشام بن محمد، عن أبيه: لما قدم صفوان المدينة قال له رسول الله ﷺ: «أين نزلتَ، أو على مَن نزلت؟» فقال: على العباس، قال: «أبَرُّ قُريش بقُريش»، قال: يا رسول الله، بلغني كذا وكذا، فقال له رسول الله ﷺ: «لا هجرةَ بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونيَّة، أقسمتُ عليك أبا وَهْب لما رجعتَ إلى أباطحِ مكة».

وقال الواقدي: لم يَغزُ صفوان.

وقال الترمذي: لعن رسول الله ﷺ صفوان بن أمية، وأبا سفيان بن حَرْب، والحارث بنَ هشام، وسُهيل بنَ عمرو في القنوت، فنزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية[٢] [آل عمران: ١٢٧].

وقال محمد بن إسحاق: كان [في] صفوان ثلاثٌ من السنَّة، استعار منه رسول الله ﷺ دُروعاً فقال: أغصباً يا محمد؟ فقال: «لا، بل عارِيّة مَضمونة»، قال: فضُمنت العارية حتى تُؤدى إلى أهلها.

وقدم المدينة بعد الفتح، فقال له رسول الله ﷺ: «ارجع إلى مكة»، فعرف الناس أن الهجرة قد انقطعت.

قال: ولما قدم المدينة توسَّد رداءه في مسجد رسول الله ﷺ، فجاء سارق فسرقه، فأمر بقطعه، فقال: يا رسول الله، هي له هِبةٌ، فقال: «هلا قبل أن تأتيني به»، قال: فعرف الناس أنه لابأس بالعفو عن الحدِّ ما لم ينته إلى الإمام[٣].

وقال الواقدي: قَنطر صفوانُ وأبوه في الجاهلية، أي: صار لكلّ واحدٍ منهما قِنطار

(١) انظر الاستذكار ٢٤/ ١٨٢ـ١٨٤ ، والمغني ١٢/ ٤٥١ـ٤٥٢ .

(٢) سنن الترمذي (٣٠٠٤) و(٣٠٠٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) تاريخ دمشق ٨/ ٣٢٣ (مخطوط).

من الذهب والفضة.

وذكره الموفق رحمه الله تعالى في «الأنساب» فقال: صفوان بن أمية، قُتل أبوه أمية وأخوه ببدر كافرين، وكان صفوان أحدَ أشراف قريش، وإليه كانت الأيْسار وهي الأزلام، وكان أحد المطعِمِين، وكان يُقال له: سيّد البَطحاء، وكان من أفصح قريش لساناً، قال: وصفوان أحد العشرة من عشرة بطون؛ الذين انتهى إليهم الشَّرفُ في الجاهلية، ووَصَله لهم الإسلام[١].

ذكر وفاته:

واختلفوا فيها؛ أما ابن سعد فحكى عن الواقدي: أن صفوان لما رجع من المدينة إلى مكة وقد سأل رسول الله ﷺ عن الهجرة، أقام بها فلم يزل بها حتى مات أيام خرج الناس إلى الجمل، وذلك في شوال سنة ستٍّ وثلاثين، وكان يُحرّض الناسَ على الخروج إلى الجمل[٢].

وقال الشيخ الموفق رحمه الله: مات في سنة اثنتين وأربعين، هو وحبيب بن مَسلمة وعثمان بن طلحة[٣].

وقال الهيثم: سنة أربعين.

وقال جدي في «المنتظم»[٤] عن الواقدي: أنه مات في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان.

والأوّل أثبت، وقد حكاه الزبير بن بكّار فقال: جاء نَعْيُ عثمان بن عفان حين سُوِّي على صفوان بن أمية، وجاء نَعي أبي بكر رضي الله عنه حين سُوِّي على عَتَّاب بن أسيد بمكة.

وذكره ابن عساكر فقال: شهد اليرموك أميراً على كُردوس، ووَفد على معاوية، فأقطعه الزِّقاق المعروف بزِقاق صفوان.

قال: وقال خليفة: مات سنة اثنتين وأربعين[٥].

---

(١) التبيين ٤٥٢ـ٤٥٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ١١.

(٣) التبيين ٤٥٤ دون قوله: هو وحبيب...

(٤) ٥/ ١٨٩.

(٥) تاريخ دمشق ٨/ ٣١٦، ٣٢٧ (مخطوط).

أسند صفوان الحديث عن رسول الله ﷺ، فأخرج له أحمد خمسة أحاديث، منها حديث أخرجه مسلم، وهو قوله: فمازال يُعطيني حتى إنه لأحبُّ الناس إليّ[١].

وروى عنه ابنه عبد الله بن صفوان، وابن أخيه حُميد، وابن المسيّب، وطاوس، وعطاء في آخرين[٢].

ذكر أولاد صفوان:

ذكرهم الموفق رحمه الله، وذكرهم الزبير بن بكار فقال: عبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وعبد الرحمن الأكبر والأصغر، وحكيم، وخالد، وعمرو، وأبو عمرو.

قال الزبير: فأما عبد الله الأكبر فإن المهَلَّب بن أبي صُفْرة وَفد على عبد الله بن الزبير، فأطال الخَلوةَ معه، فجاء عبد الله بن صفوان فقال: مَن هذا الذي شَغلَك منذ اليوم؟ فقال ابن الزبير: هذا سيِّد العرب بالعراق، فقال: يَنبغي أن يكون المهلَّب، قال: نعم، وقال المهلب لابن الزبير: مَن هذا الذي يَسألُك عني؟ فقال: هذا سيد قريش بمكة، فقال: ينبغي أن يكون عبد الله بن صفوان، قال: نعم.

وكان عبد الله يُقوِّي أمرَ ابن الزبير بمكة، وبها تَفرَّق الناسُ عن ابن الزبير قال ابن الزبير لابن صفوان: اطلب منهم الأمان، فقد أقلتُك بَيعتي، فقال له ابن صفوان: والله ما قاتلتُ معك للدنيا، وإنما قاتلتُ عن دِيني، فقُتل ابنُ صفوان وهو مُتعلِّقٌ بأستار الكعبة.

وابنه عمرو بن عبد الله بن صفوان أحد المطعِمين بمكة، وكان من وُجوه قُريش، وفيه يقول الشاعر: [من البسيط]

تمشي تَبختَرُ حول البيت مُنْتحياً لو كنتَ عمرو بن عبد الله لم تَزِدِ

قال الزبير: وسأل معاوية يوماً فقال: مَن يُطعم الناسَ بمكة من قريش؟ فقيل له: عمرو بن عبد الله بن صفوان، فقال: بَخٍ بخ، تلك نارٌ لا تَطْفَأ.

قال: ومن ولد عبد الله بن صفوان: صفوان بن عبد الله، روى عنه الزهري.

---

(١) صحيح مسلم (٢٣١٣).

(٢) انظر في ترجمة صفوان إضافة لما ذكر من المصادر: نسب قريش ٣٨٨، والاستيعاب (١٢٠١)، وأنساب الأشراف ٩/ ٦، والسير ٢/ ٥٦٢، والإصابة ٢/ ١٨٧.

وأما عبد الله الأصغر بن صفوان فكان من المطعِمين أيضاً، وكان سيداً، قال الزبير: وَفد على معاوية، وكانت أمُّ حَبيب بنت أبي سفيان أختُ معاوية أمَّ عبد الرحمن ابن صفوان بن أمية، وكان معاوية يُقدّم عبد الله بن صفوان على أخيه عبد الرحمن بن صفوان، فلامتْه أمُّ حبيب في تقديم عبد الله على ابنها فقال: سوف تَرَيْن، واستدعى ابنَها عبد الرحمن وهي حاضرة، فقال له: ما حاجتُك؟ فذكر ديناً وحوائجَ لنفسه، فقضاها، ثم أذِن لأخيه عبد الله بن صفوان فدخل، فقال: ارفع إليَّ حوائجَك، فقال: تُخرِج العطاء، وتنظُر في أحوال المنقَطِعين فتفرض لهم، وتنظر في أبناء المهاجرين والأنصار، وتفعل وتفعل، فقال: فهلُمَّ حوائجَك، فغضب وقال: وأيّ حاجةٍ لي إليك غير هذا وأشباهِه، وقد علمتَ أني أغنى قريش، ثم قام وخرج، فقال معاوية لأُخته: كيف رأيتِ؟ فقالت: أنت أعرف بقومك.

وعبد الرحمن الأكبر هو الذي روى عن رسول الله ﷺ أنه استعار من أبيه أدراعاً.

وأما حكيم بن صفوان بن أُمية فابنُه يحيى بن حكيم، ولي مكة ليزيد بن معاوية، وكان ابن الزبير بها، فلم يَعرض له يحيى، فعزله يزيد وولّى الحارث، فمنعه ابن الزبير الصلاة[1].

قلت: وقد روى ابن أبي الدنيا عن صفوان بن أمية حكاية فقال حُدّثتُ عن سعيد بن محمد الجَرمي بإسناده، عن الشعبي قال: كان صفوان بن أمية ببعض المقابر، فإذا شُعَل نيرانٍ قد أقبلت ومعها جنازة، فلما دَنَوا من المقبرة قال: انظروا قبرَ كذا وكذا، قال: وسمع رجلٌ صوتاً من القبر حزيناً مُوجَعاً يقول: [من الخفيف]:

أنعَمَ اللهُ بالظَّعينةِ عَينا ... وبمَسْراكِ يا أُمَينَ إلينا
جَزعاً ما جَزِعْتُ من ظُلمةِ القبْـ ... ـرِ ومن مَسِّك التُّراب أمينا

قال: فأخبر القومَ بما سمع، فبكوا حتى أخضَلوا لِحاهم، ثم قالوا: هل تَدري من أُمَينة؟ قلت: لا، قالوا: صاحبةُ هذا السَّرير، هذه أختها ماتت عامَ أوَّل، فقال صفوان: قد علمتُ أن الميت لا يَتكلَّم، فمن أين هذا الصَّوت[2].

(١) نسب قريش ٣٨٩ـ٣٩١، والتبيين ٤٥٤ـ٤٥٦.

(٢) هواتف الجنّان (٥٨)، وتاريخ دمشق ٨/ ٣٢٦ (مخطوط).

وفيها توفي

طلحة بن عُبيد الله

ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لؤي، ويلتقي مع رسول الله ﷺ في النّسب عند مرة بن كعب.

وأمُّه الصَّعبَةُ بنت عبد الله بن عِماد بن ربيعة الحَضرميّ، أخت العلاء [بن] الحَضْرَميّ، أسلمتْ وبايعت، والحضرميُّ جدُّ طلحة لأُمِّه، وأُمُّ الصَّعبَةِ عاتكة بنت وَهب بن [عبد] قُصيّ بن كِلاب، والعلاء بن الحَضْرمي عاملُ رسول الله ﷺ على البحرين، وقد ذكرناه وذكرنا أخاه مَيمون بن الحَضرميّ، وهو الذي حفر بئر مَيْمون بأعلا مكة، فنُسب إليه فقيل: بئر ميمون.

ذكر صفته: قال علماء السِّير: كان آدمَ، كثيرَ الشَّعر، ليس بالجَعْدِ القَطَط، ولا بالسّبط، حَسَنَ الوجه، دقيق العِرنين، إذا مشى أسرع، وكان لا يُغيِّر شيبَه.

وقال موسى بن طلحة: كان أبيض يضرب إلى الحمرة، مَربوعاً، عَريضَ الصَّدرِ والمنكِبَين، لا أخمصَ لقدميه، ويُسمَّى الأرْوَح.

وقال الفضل بن دُكين: كان في يده خاتمُ ذهبٍ فيه ياقوتةٌ حمراء، وقُتل وهو في يده.

وروى ابن سعد عنه أنه كان يَلبَس المعَصفَرات.

قال: ورأى عليه يوماً عمر بن الخطاب ثوبَين مَصبوغَين بمِشْقٍ وهو مُحرِم، فقال: ما هذا يا طلحة؟ فقال: إنما صَبغناه بمَدَر، فقال عمر: إنكم أيها الرَّهْط أئمّةٌ يَقتدي بكم الناس، ولو أن جاهلاً رأى عليك هذين الثوبين لقال: هذا طلحة يَلبس الثيابَ المصبَّغةَ وهو مُحرم، وإن أحسن ما يَلبس المحرِم البياض، فلا تُلبسوا على الناس.

ذكر إسلامه:

قال ابن سعد بإسناده عن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: قال طلحة بن عبيد الله: حضرتُ سوقَ بُصرى، فإذا راهبٌ في صومعته يقول: اسألوا أهلَ هذا الموسم، أفيهم من أهل الحرم أحدٌ؟ قال طلحة: فقلتُ: نعم أنا، قال: هل ظهر أحمد بعدُ؟ قلت: ومَن أحمد؟ قال: ابنُ عبد الله بن عبد المطّلب، هذا شهرُه الذي يَخرج فيه، وهو آخر

الأنبياء، ومَخرجُه من الحرم، ومُهاجَرُه إلى نَخْلٍ وحَرَّةٍ وسِباخ، فإياك أن تُسبَق إليه.

قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجتُ سريعاً حتى قدمتُ مكة، فقلتُ: هل كان من حَدَثٍ؟ قالوا: نعم، محمد بن عبد الله الأمين تنبَّأ، وقد تَبعه ابنُ أبي قُحافة.

قال: فخرجتُ حتى دخلتُ على أبي بكر، فقلت: أتبعتَ هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلِقْ إليه، فادخُل عليه فاتَّبِعْه، فإنه يدعو إلى الحق، فأخبره طلحة بما قال الرّاهب، فخرج أبو بكر وطلحة، فدخل به على رسول الله ﷺ، فأسلم طلحةُ، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب، فسُرَّ النبي ﷺ بذلك.

فلما أسلم طلحة وأبو بكر أخذهما نَوفل بن خُوَيْلد بن العَدَويَّة، فشَدَّهما في حَبلٍ واحدٍ، ولم يَمنعهما بنو تَيم، وكان نوفل بن خُويلد يُدْعى أسدَ قريش، فلذلك سُمِّي أبو بكر وطلحة القَرينَين[1].

قلت: [وغير] ابن سعد يقول: الذي[2] أوثقهما عثمان بن عُبيد الله أخو طلحة. قال: وكان لطلحة أخوان: عثمان ومالك، وكان لعثمان قَدْرٌ في الجاهلية، وأدرك الإسلام، وقد أشرنا إلى هذا فيما تقدَّم.

ذكر جملة من مناقبه وأخباره:

قال علماء السّير: طلحة من الطبقة الأولى من المهاجرين، والعشرة المبشَّرين، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام من المؤمنين، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الذين كانوا مع رسول الله ﷺ لما تحرَّك بهم الجبل، وأحد الذين عُذِّبوا في الإسلام. وشهد أحداً والمشاهدَ كلّها مع رسول الله ﷺ، ووَقاه بنفسه يوم أحد، ولم يَمنعه من شهود بدر إلا أن رسول الله ﷺ بعثه هو وسعيد بن زيد إلى بدر يَتحسّسان الخبر خبرَ العير، فمرَّت بهما، وبلغ رسول الله ﷺ الخبر، فرجعا إلى المدينة، ولم يَعلما بخروجه، ثم لَقياه عند رجوعه من بدر، فضرب لهما بسهمَيهما وأجرَيهما، فكانا

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٦ـ١٩٧ ، ٢٠٠ـ٢٠١ .

(٢) في (خ): قلت وابن سعد هو الذي أوثقهما؟! وانظر المعارف ٢٢٩ ، وأنساب الأشراف ٨/ ٢١٤ ، ٢٢٧، وتاريخ دمشق ٨/ ٥٤٤ .

كمن شَهدها، وقد ذكرناه في غزاة بدر.

وقال الواقدي: ولما هاجر طلحة إلى المدينة نزل على أسعد بن زُرارة.

واختلفوا فيمن آخى رسول الله ﷺ بينه وبين طلحة على قولين؛ أحدهما: بينه وبين سعيد بن زيد بن عَمرو بن نُفيل، والثاني: بينه وبين أُبيّ بن كعب. حكاهما ابن سعد، عن الواقدي.

قال: وشهد طلحة مع رسول الله ﷺ أحداً، وثَبت معه يومئذ حين ولَّى الناس، وبايعه على الموت، ورمى مالك بن زهير يوم أحدٍ رسولَ الله ﷺ، فاتّقى طلحة بيده عن وجه رسول الله ﷺ، فأصاب خِنصره فشَلَّت، فقال حين أصابته الرَّميةُ: حَسٍّ، فقال رسول الله ﷺ: «لو قال بسم الله لدخل الجنةَ والناسُ يَنظرون».

وفي رواية ابن سعد، عن الشعبي قال: أُصيب أنفُ النبي ﷺ ورَباعيتُه يوم أحد، فوقاه طلحة بيده، فشَلّت إصْبَعُه، وقيل: إصبعاه.

وقال ابن سعد بإسناده عن معاوية بن إسحاق، عن عائشة وأم إسحاق ابنتَي طلحة، قالتا: جُرح أبونا يوم أحد أربعاً وعشرين جراحة، وقع منها في رأسه شَجَّةٌ مُربَّعة، وقُطع نَساه، يعني عِرق النَّسَا، وشَلَّت إصبَعُه، وغلبه الغَشيُ ورسول الله ﷺ مَشجوج في وَجهه، قد علاه الغَشيُ، وطلحة مُحتَمِلُه يَرجع القَهقرى، كلما أدركه أحدٌ من المشركين قاتل دونه، حتى أسنده إلى الشِّعب.

وقال ابن سعد بإسناده عن عيسى بن طلحة، قال: رجع طلحةُ يومئذٍ بخمسٍ وسبعين، أو سبع وثلاثين جِراحة، رُبِّع فيها جَبينُه، وقُطع فيها نَساه، وشَلَّت إصبَعُه التي تلي الإبهام(١).

وقال أبو نعيم بإسناده، عن عيسى بن طلحة، عن عائشة أمِّ المؤمنين قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أُحدٍ قال: ذلك يومٌ كلُّه لطلحة.

قال أبو بكر: كنتُ أولَ من جاء يوم أحد، فقال لي رسول الله ﷺ ولأبي عبيدة بن الجراح: عليكما، يريد طلحة، وقد نزف، فأصلحنا من شأن النبي ﷺ، ثم أتَينا طلحة

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٨ـ١٩٩.

في بعض تلك الحِفار، فإذا به بضعٌ وسبعون ما بين طعنةٍ بُرمح، وضربةٍ بسيف، ورميةٍ بسهم، فأصلحنا شأنَه، وقد قُطعت إصبَعُه.

وقال أبو نعيم بإسناده، عن سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله، عن أبيه، عن جده [عن موسى بن طلحة، عن أبيه] طلحة قال: لما رجع رسول الله ﷺ من أحد، صَعِد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وسَلّم، ثم قرأ هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ الآية [الأحزاب: ٢٣]، فقام رجل فقال: يا رسول الله، مَن هؤلاء؟ قال: وأقبلتُ وعليَّ ثوبان أخضران، فقال رسول الله ﷺ: «أيُّها السائل، هذا منهم»[١].

وقال ابن سعد بإسناده عن عائشة أم المؤمنين قالت: إني لفي بيتي، ورسول الله ﷺ وأصحابُه بالفِناء، وبيني وبينهم السّترُ، إذ أقبل طلحة بن عُبيد الله، فقال رسول الله ﷺ: «مَن سَرّه أن يَنظر إلى رجلٍ يمشي على وجه الأرض وقد قضى نَحبَه فليَنْظُر إلى طلحة»[٢].

وروى الموفق رحمه في «الأنساب» بمعناه، فقال: قال النبي ﷺ: «مَن أراد أن يَنظر إلى شهيدٍ يمشي على وَجه الأرض فلينظر إلى طلحة»[٣].

وروى أبو نعيم عن سُعدى بنت عَوف امرأةِ طلحة، قالت: دخل عليَّ طلحة يوماً مَغموماً، فقلت: ما شَأنُك؟ قال: المال عندي قد كَثُر، أو قد كَرَبَني، فقلتُ: وما عليك، اقسِمْه، فقسمه حتى ما بقي منه درهم.

قال طلحة بن يحيى: فسألتُ خازنَ طلحة: كم كان المال؟ قال أربع مئة ألف.

وروى أبو نعيم عن الحسن قال: باع طلحة أرضاً له بسبع مئة ألف، فبات أرقاً من مخافةِ ذلك المال، حتى أصبح ففرَّقه[٤].

وقال ابن سعد بإسناده عن الحسن: أن طلحة بن عبيد الله باع أرضاً من عثمان بن

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٨٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٠.

(٣) التبيين ٣٢١.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٨٨، ٨٩.

عفان بسبع مئة ألف، فحملها إليه، فلما جاء بها قال: إن رجلاً تَبيتُ هذه عنده في بيته، لا يَدري ما يَطرُقه من الله لغَرير بالله، فبات ورُسُله تختلف بها في سِكَك المدينة، حتى أسحَر وما عنده منها درهم[١].

وروى أبو نُعيم، عن سُعدى بنت عوف امرأة طلحة بن عبيد الله قالت: لقد تصدق طلحة يوماً بمئة ألف، ثم حَبسه عن الرَّواحِ إلى المسجد أن جمعتُ له بين طَرَفَي ثوبِه[٢].

وقال الموفق رحمه الله: قال أمير المؤمنين [علي في خطبته: وإني مُنيتُ بأربعة: أدهى الناس عمرو بن العاص،] وأسخى الناس طلحة، [وأشجع الناس الزبير، وأطوع الناس في الناس عائشة][٣].

ذكر مقتله:

واختلفوا فيه على قولين؛ أحدهما: أنه جاءه سَهْمٌ غَرْبٌ، فوقع في نَحْره فقال: وكان أمرُ الله قَدَراً مَقدوراً.

والثاني: أن مروان بنَ الحكَم رماه بسهمٍ فقتله، فقال ابن سعد بإسناده عن عَوف قال: بلغني أن مروان بن الحكم رمى طلحةَ يوم الجمل؛ وهو واقف إلى جنب عائشة بسَهْم، فأصاب ساقَه، ثم قال مروان: والله لا أطلُبُ قاتلَ عثمان بعدك أبداً، فقال طلحة لمولى له: أبغِني مكاناً أموتُ فيه، قال: لا أقدِرُ عليه، قال: هذا والله سهمٌ أرسله الله، اللهمَّ خُذْ لعثمان مني حتى تَرضى، ثم وُسِّد حجراً فمات.

وفي رواية ابن سعد أيضاً: أن طلحة قال يوم الجمل: إنّا داهَنّا في أمر عثمان، فلا نَجدُ اليوم شيئاً أمْثلَ من أن نَبذُلَ دماءنا فيه، اللهمَّ خُذ لعثمان مني اليوم حتى تَرضى.

وقال ابن سعد بإسناده عن نافع قال: كان مروان مع طلحة في الخيل، فرأى فُرجةً في دِرع طلحة، فرماه بسهمٍ فقتله.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠١ـ٢٠٢.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٨٨.

(٣) التبيين ٣٢٢، وتقدم في الصفحة ١٤٠ دون ذكر عمرو بن العاص.

وفي رواية ابن سعد أيضاً: فاعتَنَق فرسَه فركض، فمات في بني تَميم، فقال: تالله ما رأيتُ مَصرَعَ شيخٍ أضيع دماءً مني.

وقال ابن سعد: أخبرني مَن سمع أبا حُباب الكلبيّ يقول: حدثني شيخ من كلبٍ قال: سمعتُ عبد الملك بنَ مروان يقول: لولا أنَّ أمير المؤمنين مروان أخبرني أنه هو الذي قتل طلحة، ما تركتُ من ولد طلحة أحداً إلا قتلتُه بعثمان.

وقال ابن سعد بإسناده عن قيس بن أبي حازم قال: رمى مروان بن الحكم طلحة يوم الجمل في رُكبَته، فجعل الدم يَغْذو يَسيلُ، فإذا أمسَكُوه استمسك، وإذا تركوه سال، فقال طلحة: والله ما بلغَتْ إلينا سهامُهم بعد، ثم قال: دَعوه فإنما هو سَهمٌ أرسله الله، فمات[1].

قلت: والأصحُّ أن مروانَ قتله، وعليه اجتماع العلماء.

قال هشام: رماه مروان بسهم فشَكَّ رُكبَته مع الفَرَس.

وقال الهيثم: لما أصاب السهمُ رُكبتَه خَلَّها مع السَّرج، فامتلأ مَوزَجُه دماً، أو خُفَّه، أو جَورَبُه، فقال لمولاه: وَيْحك اردفني خلفي، وابغِني مكاناً لا أُعرف فيه، فلم أرَ اليوم شيخاً أضيعَ دماً مني، فرَدَفه مولاه، وأمسكه من خلفه، حتى انتهى به إلى دارٍ خَرِبة بالبصرة، فأنزله فيها فمات.

وكذا قال البلاذري: لما وجد مروان غُرَّةً منه رماه بسَهم، وكان أبان بن عثمان واقفاً معه، فقال له مروان: قد كفيتُك أحدَ قَتَلةِ أبيك[2].

وكذا ذكر الشيخ الموفق في «الأنساب»، وجدي رحمة الله عليهما في «التلقيح» و«الصفوة»: أن مروان قَتلَه[3].

وقد رُوي أن غير مروان قتله، فقال ابن سعد بإسناده عن محمد الأنصاري، عن أبيه قال: جاء رجلٌ يوم الجمل فقال: ائذنوا لقاتل طلحة، قال: فسمعتُ علياً عليه السلام

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٤.

(٢) أنساب الأشراف ٢/ ١٧٦.

(٣) التبيين ٣٢٢، والتلقيح ١١٤، وصفة الصفوة ١/ ٣٤١.

يقول: بَشِّره ـ أو بَشِّروه ـ بالنار.

وقال ابن سعد بإسناده عن إسماعيل بن أبي خالد قال: أخبرني قيس بن أبي حازم قال: لما مات طلحة دفنوه على شَطّ الكلأ فرآه بعضُ أهله في المنام فقال: ألا تُريحوني من هذا الماء، فإنني قد غَرِقتُ؟ ثلاث مرات، فنبشوه من قبره أخضرَ كأنه السِّلْق، فنَزَفوا عنه الماء، ثم استخرجوه، فإذا ما يَلي الأرض من لحيته ووجهِه قد أكلته الأرض، فاشترَوْا داراً من دور آل أبي بَكرة، فدفنوه فيها[١].

وقال هشام: دُفن في بني سعد، في مكان يُقال له قَنْطرةُ بني قُرَّة، ثم رأته ابنتُه عائشة بنت طلحة في منامها بعد ثلاثين سنة، وهو يشكو إليها كَثرة الماء، فأرسلت فأخرجتْه أخضرَ طريّاً مثلَ السِّلق، بعد أن نَزَفوا عنه الماء، ولم يَذهب منه شيءٌ سوى إصبَع واحدة، فدُفِن في دارٍ بالبصرة هي قَبرُه اليوم، وهو ظاهر يُزار، وتولّى إخراجَه عبد الرحمن بنُ سَلامة التميمي.

وقال ابن سعد عن الواقدي، عن أشياخه قالوا: قُتل طلحة يوم الجمل، وكان يوم الخميس؛ لعشر خَلَون من جُمادى الآخرة، سنة ست وثلاثين[٢].

ذكر سِنِّه:

واختلفوا فيه؛ حكى ابن سعد عن الواقدي قال: كان يومَ قُتل ابنَ أربعٍ وستين سنة. وحكى أيضاً عن الواقدي: ابن اثنتين وستين سنة[٣]، وقال هشام: ابنَ ستين سنة.

ذكر أمواله:

حكى ابن سعد، عن الواقدي، عن أشياخه: أن طلحة كان يُغَلُّ له كل يوم ألفَ درهم ودانِقَين.

وفي رواية الواقدي أيضاً: أنه كان يُغَلُّ له بالعراق ما بين أربع مئة ألف إلى خمس مئة ألف، ويُغَلُّ بالسَّراة عشرة آلاف دينار، وكان لا يَدع أحداً من بني تَيْم عائلاً إلا كَفاه مُؤنتَه ومُؤنةَ عياله، وزوَّج أياماهم، وأخدَم عائلَهم، وقضى دَينَ غارِمِهم، وكان يُرسل

(١) الخبران في طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٦ ، ٢٠٤ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٥ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٥ .

إلى عائشة رضي الله عنها كلَّ سنةٍ إذا جاءت غلَّتُه بعَشرة آلاف، ولقد قَضى عن صبيحة التيمي ثلاثين ألف درهم.

وروى الواقدي أيضاً بإسناده، عن موسى بن طلحة وسأله معاوية: كم ترك أبو محمد من العَين؟ فقال: ألفي ألف درهم، ومئتي ألف درهم، ومئتي ألف دينار، وكان يغلُّ كلَّ سنة من العراق مئةَ ألف، سوى غَلّاته من السَّراة وغيرها، وكان يَزرع بقَناة على عشرين ناضحاً، وأوّلُ مَن زرع القمح بقناة هو، فقال معاوية: يَرحمه الله، لقد عاش حَميداً سَخيّاً شريفاً، وقُتل فَقيداً.

وروى الواقدي، عن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: كان قيمة ما ترك طلحة بن عُبيد الله من العقار والأموال، وما ترك من النّاضّ: ثلاثين ألف ألف درهم، وترك من العَين ألفَيْ ألف ومئتي ألف درهم ومئتي ألف دينار، والنّاضّ: النَّقد.

وروى الواقدي أيضاً، عن علي بن رَبَاح، عن عمرو بن العاص قال: حُدِّثتُ أن طلحة ترك مئةَ بُهار، في كلّ بُهار ثلاثة قناطير ذهب، وسمعتُ أن البُهار جِلدُ ثَور[1].

وفي رواية هشام، عن عمرو بن العاص أنه قال: إن ابنَ الصَّعْبةِ ترك مئةَ بُهار، ويعني بابن الصَّعْبة: طلحة.

واختلفوا في البُهار، فقال الجوهري: البُهار بالضم: شيءٌ يُوزَن به، وهو ثلاث مئة رطل، قال: وقال عمرو بن العاص: إن ابن الصَّعْبة ترك مئة بُهار، وقال أبو عُبيد: البُهار في كلامهم ثلاث مئة رِطل، وأحسبها غير عربية، أُراها قِبطيّة، بالقاف[2].

ذكر أولاده:

قال ابن سعد: كان له من الولد محمد السَّجَّاد، وبه كان يُكنى، قُتل يوم الجمل في المعركة، وعِمران، وأمُّهما حَمنة بنت جَحش بن رئاب بن يَعمر، وأمها أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم.

---

(١) الأخبار السالفة في الطبقات ٣/ ٢٠٢ـ٢٠٣ .

(٢) الصحاح: (بهر). وانظر في ترجمة طلحة إضافة إلى ما ذكر: الاستيعاب (١٢٥٥)، والمنتظم ٥/ ١١١، وتاريخ دمشق ٨/ ٥٣٨ (مخطوط)، والسير ١/ ٢٣ ، والإصابة ٢/ ٢٢٩ .

وموسى بن طلحة، وأُمُّه خولة بنت القعقاع بن مَعبد بن زُرارة بن عُدَس، تميميّة، وكان يُقال للقعقاع بن معبد: تَيّار الفرات لسخائه.

ويعقوب بن طلحة، وكان جَواداً، قُتل يوم الحَرَّة، وإسماعيل وإسحاق، وأمهم أم أبان بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

وزكريا ويوسف وعائشة، وأمهم أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق.

وعيسى ويحيى، وأمهما سُعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة المرِّي.

وأم إسحاق بنت طلحة، تزوجها الحسن بن علي عليه السلام، فوَلدت له طلحة، ثم توفّي عنها، فخلف عليها الحسين بن علي، فوَلدت له فاطمة، وأمُّها الجَرْباء، وهي أم الحارث بنت قَسامة بن حَنظلة، من طيىء.

والصَّعبة بنت طلحة لأُمّ وَلد، ومريم بنت طلحة، لأم ولد أيضاً.

وصالح بن طلحة دَرَج، وأُمُّه الفَرْعَة بنت علي، تَغلبيّة[١].

قلت: هذا صورة ما ذكر ابن سعد، وذكرهم الزبير بن بكار وهشام وغيرهما، فالحاصل أن الجملة أربعة عشر، منها عشرة ذكور وأربع بنات، فأما محمد فنذكره في حرف الميم من هذه السنة إن شاء الله تعالى.

وأما عِمران بن طلحة فهو أخو محمد لأمه وأبيه، وأمهما حَمنَة بنت جَحش، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وقال: فولد عمران بن طلحة: عبدَ الله، وإسحاق، ومحمداً، وحُميداً، وأُمُّهم بنتُ أوفى بن الحارث، وكان لولده وَلدٌ فانقرضوا، ولم يبق لعمران أحد[٢].

هذا صورة ما ذكر ابن سعد في طبقات التابعين من أهل المدينة، وذكر أيضاً عمران ابنَ طلحة في ترجمة أبيه طلحة، وأنه قَدم على أمير المؤمنين بعد الجمل، فقال ابن سعد بإسناده، عن أبي حَبيبة مَولى طلحة قال: دخل عِمران بن طلحة على علي عليه

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٦ .

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٥ .

السلام بعدما فرغ من أصحاب الجمل، فرحَّب به وقال: إني لأرجو أن يَجعلَني الله وأباك من الذين قال الله: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، قال: ورجلان جالسان على ناحية البساط، فقالا: الله أعدلُ من ذلك، تقتلُهم بالأمس، وتكونون إخواناً على سُررٍ متقابِلين في الجنة؟! فقال علي: أبعد الله أرضَك وأسحقَها، فمَن إذا لم أكن أنا وطلحة؟ ثم قال لعمران: كيف أهلُك، مَن بقي من أمهات أولاد أبيك؟ أما إنا لم نَقبض أرضَكم هذه السنين ونحن نُريد أن نأخذَها، إنما أخَذناها مخافةَ أن ينتهبها الناس، يا فلان، اذهب معه إلى ابن قَرَظة، فليَدفَعْ إليه أرضَه، وغَلَّة هذه السنين، يا ابن أخي، وأتِنا في الحاجة إذا كانت لك.

وفي رواية ابن سعد أيضاً، عن عمران لما دخل [على] عليٍّ قال له: تعال ها هنا يا ابن أخي، فأجلسه على طِنْفِسة، وقال: والله إني لأرجو أن أكون أنا وأبو هذا ممن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ قال: ابن الكَوَّاء: الله أعْدلُ من ذلك، فقام إليه أمير المؤمنين بدِرَّتِه فضربه بها، وقال: أنت وأصحابُك تُنكرون هذا.

وفي رواية ابن سعد: إن أمير المؤمنين لما رَحّب بابن طلحة، قال له: يا أمير المؤمنين، تُرَحِّب بي وقد قتلتَ والدي، وأخذتَ مالي؟! قال: أما مالُك فهو مَعزول في بيت المال، فاغْدُ إليه فخُذْه، وأما أبوك فوالله ما قتلتُه، ولا أمرتُ بقتله، وإني أرجو أن أكون أنا وإياه من الذين قال الله في حقهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ الآية، فقال رجل أعور من همدان: الله أعدل من ذلك، فصاح عليّ صيحةً تداعى لها القصر وقال: وَيلَك، فمَن ذاك إذا لم نكن نحن أولئك؟

وفي رواية ابن سعد: وكان علي بالكوفة لما قدم عليه عمران، وأن القائل: الله أعدل من ذاك؛ الحارث الأعور الهَمْداني، وذكره[1].

هذا آخر كلام ابن سعد.

وقد ذكر الهيثم: أن عِمران لما دخل على أمير المؤمنين تَرحَّم على طلحة، وردَّ

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٥ـ٢٠٦.

عليهم أموالَهم، وفرض لأُمَّهات أولاد طلحة، وأكرم عِمران، وأن علياً عليه السلام خذف الحارث الأعور لما قال: الله أعدل من ذاك، خَذفه بالدَّواة وقال: وَيْحك يا أعور، إذا لم أكن وطلحة، فأنا وأبوك لا أُمَّ لك؟!

وقال الواقدي: كان عِمران من رجالات ولد طلحة، سمع أباه، وعلياً، وأمَّه حَمْنَة بنت جَحش، وهي التي كانت تُستحاض على عهد رسول الله ﷺ فلا تَطْهُر، وأختُهما لأُمِّهما زينب بنت مُصعب بن عُمير[١].

وأما موسى بن طلحة بن عُبيد الله فذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وقال: وأُمُّه خَولة بنت القعقاع [ابن مَعْبد] بن زُرارة، [وكان يُقال للقعقاع:] تيّار الفرات لسخائه[٢].

ويقال: إنه وُلد على عهد رسول الله ﷺ، وهو الذي سمّاه موسى، وقيل: كُنيته أبو محمد.

وكان موسى من خيار ولد طلحة، وكُنيته أبو عيسى، وكان يَخضب بالسَّواد، ويَشُدُّ أسنانَه بالذَّهب[٣].

وذكره الشيخ الموفَّق رحمه الله، وقال: كان من وُجوه بني طلحة، وكانوا يُرونه المهدي في زمانه، سكن الكوفة ثم خرج منها فارّاً من المختار[٤].

وقد أشار ابن سعد إلى هذا فقال: حدثنا رَوْحُ بن عُبادة وسُليمان بن حرب قالا: حدثنا الأسود بن شيبان، حدثنا خالد بن سُمَير قال: قدم الكذّاب المختار بنُ أبي عُبَيد الكوفة، فهرب منه وُجوه أهل الكوفة، فقدموا علينا ها هنا البصرة، وفيهم موسى بن طلحة بن عُبيد الله، وكان الناس يُرونه في زمانه المهدي، قال: فغَشِيه الناسُ وكنتُ فيهم، فإذا شيخٌ طويلُ السُّكوتِ، قليلُ الكلام، طويل الحُزنِ والكآبة، إلى أن قال

(١) في (خ): وأختها لأمها زينب...، وهو خطأ، فإن زينب هي أخت محمد السجاد وعمران بن طلحة، انظر نسب قريش ٢٨١ ، وطبقات ابن سعد ١٠/ ٢٢٩ .

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٠ .

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦١ .

(٤) التبيين ٣٢٨.

يوماً: والله لأن أكون أعلمُ أنها فتنةٌ لها انقضاء؛ أحبُّ إليَّ من أن يكونَ لي كذا وكذا، فأعظم الخَطَر.

فقال رجلٌ من القوم: يا أبا محمد، ما الذي تَرهب؟ قال: أرهَبُ الهَرْجَ، قال: وما الهَرْجُ؟ قال: الذي كان أصحابُ رسول الله ﷺ يُحدِّثون أنه القَتلُ بين يدي الساعة، لا يَستقرُّ الناسُ على إمام حتى تقوم الساعة عليهم وهم كذلك، وَايْم الله، لئن كان هذا لوَدِدتُ أني على رأس جبلٍ؛ لا أسمعُ لكم صوتاً، ولا أرى لكم داعياً، حتى يأتيني داعي الله تعالى.

ثم قال: يَرحم الله أبا عبد الرحمن، يعني عبد الله بن عمر، والله إني لأحسِبه على عهد رسول الله ﷺ الذي عهده إليه، لم يُفتَن بعده ولم يَتغيَّر.

قال: فقلت في نفسي: إن هذا ليُزري على أبيه في مقتله.

قال ابن سعد: مات موسى بن طلحة بالكوفة، سنة ثلاث أو أربع ومئة، وصلّى عليه الصَّقْر بن عبد الله المزني، وكان عاملاً لعمر بن هُبيرة على الكوفة، قال: وكان ثقةً من أهل الدين، كثيرَ الحديث[١].

أسند موسى بن طلحة عن أبيه، وعثمان، والزبير، وأبي أيوب، وزيد بن خارجة، وأبي ذر، وحكيم بن [حِزام، وروى عنه أبو إسحاق] السَّبيعي، وسِماك بن حَرْب وغيرُهم.

قال هشام: ووَفَد على الوليد بن عبد الملك بن مروان، فقال له: ما دخلتَ عليَّ إلا هَممتُ بقتلك، لولا أن أبي أخبرني أن مَروان قتل طلحة[٢].

ذكر ولدِه: قال ابن سعد: كان لموسى بن طلحة من الولد: عيسى، ومحمد، وإبراهيم، وعائشة، وقَريبة، وأُمُّهم أم حكيم بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وعِمران بن موسى، وأمه أم وَلد، يقال لها: جَيْداء[٣].

وقال الشيخ الموفق رحمه الله: كان عبد الملك بن مروان قد وَلّى محمد بن موسى

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦١، ١٦٢ و٨/ ٣٣١.

(٢) تاريخ دمشق ١٧/ ٢٧٣ (مخطوط).

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٠.

ابن طلحة على شيءٍ من فارس، فنَفَسه الحجاج بن يوسف، فقال له: إنك تَمرُّ وشَبيب الخارجي قريبٌ منك، فلو عدلتَ فقاتلتَه، فعسى أن يكون الفتح لك، فُزتَ بذلك.

فلما سار إلى فارس عدل إلى شبيب، فدعاه إلى البِراز، فقال له شَبيب: قد كنتَ لي جاراً بالكوفة، وأنا أكره قتلَك، فلك نفسك، ولستُ في عملك، فقال: لا بدّ، فقال له شبيب: إن الحجَّاج حسدك، فخَدعك وأراد قتلَك، فامضِ إلى عَملك، فأبى ودعاه إلى المبارزة، فقال له شبيب: أما إذا أبيت، فإني سأَنظر لك، معك جمعٌ كثير، ومعي عددٌ يَسير، فألقى القليلَ بكثيرك، ولا تَلْقَ رجلاً واحداً وحدك، فإنك لا تدري لمن الدَّبَرة، فأبى إلا مُبارزةَ شَبيب، فبارزه فقتله شبيب، وغَنم عسكرَه، وهَزم جمعَه[١].

قلت: لله درُّ شَبيب، فما كان أحزمَه وأعقلَه، وأنصفَه وأشجعَه، وما كان أسفَه رأي محمد بن موسى، وأقلَّ نظرَه لنفسه، وصح فيه المثل: أتَتْك بحائِنٍ رِجْلاه[٢].

وقال ابن سعد: كان محمد بن موسى بن طلحة على [أهل] الكوفة أيام ساروا إلى قتال أبي فُديك الخارجي.

وقال ابن سعد: وأما عائشة بنت موسى بن طلحة فتزوّجها عبد الملك بن مروان، فوَلدت له بَكّاراً، ثم خلف عليها عليّ بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب[٣].

وأما عيسى بن طلحة بن عُبيد الله فكُنيتُه أبو محمد، وكان من حُلَماء قُريش، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، قال: وأمُّه سُعْدى بنت عَوف ابن خارجة بن سِنان بن أبي حارثة المرِّي، قال: وتُوفّي عيسى في خلافة عمر بن عبد العزيز، وكان ثقةً كثيرَ الحديث[٤].

وقال هشام بن محمد: كان عيسى بن طلحة من ظُرَفاء قريش، سمع جاريةَ ابنِ حُمران بالمدينة تُغَنّي لعبد الله بن مسلم: [من الطويل]

تَعالوا أعينوني على الليلِ إنه على كلِّ عينٍ لا تنامُ طَويلُ

فطرق عيسى باب عبد الله بن مُسلم في الليل، فأشرف عليه عبد الله وقال: ما الذي

---

(١) التبيين ٣٢٨ـ٣٢٩.

(٢) أمثال أبي عبيد (١٠٨٢)، وجمهرة الأمثال ١/ ١١٩، ومجمع الأمثال ١/ ٢١.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٠.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٢.

جاء بك في هذا الوقت؟ فقال: سمعت جاريةَ ابن حُمران تُنشدك: تعالوا أعينوني على الليل إنه... وذكره، فجئتُ لأُعينَك على الليل، فقال له: أدَّى الله عنك الحق، أبطأتَ عليّ حتى أتى الله بالفَرَج[١].

وقد ذكرنا أن أم عيسى سُعْدى بنت عوف، وكذا هي أم يحيى بن طلحة.

وقال ابن قتيبة: وَفَد عيسى على عبد الملك بن مروان، فسأله عَزْل الحَجَّاج عن الحِجاز[٢].

قلت: وقد وَهم ابن قتيبة، الذي وَفَد على عبد الملك في القصّة إبراهيم بن محمد ابن طلحة، وسنذكره.

وقال الموفَّق رحمه الله: وعيسى هو الذي دخل على عروة بن الزبير لما قُطعت رِجلُه، فذكر له ما أسلاه[٣].

ذكر أولاد عيسى:

قال ابن سعد: فولد عيسى بن طلحة يحيى، وأُمُّه عائشة بنت جرير بن عبد الله البَجَلي، ومحمد بن عيسى، وأمه أم حَبيب بنت أسماء بن خارجة بن حِصن بن حُذيفة ابن بدر الفَزاري، قال: وعيسى بن عيسى، وأُمُّه أم عيسى بنت عِياض بن نَوفل، من بني أسد[٤].

قلت: وقد ذكر الموَفَّق رحمه الله من أولاد عيسى بن طلحة: محمد بن عيسى، وأُمُّه أم حَبيب، وقد ذكرناها، فقال: ومحمد هو القائل: [من الوافر]

فلا تَعجَلْ على أحدٍ بظُلمٍ ... فإن الظُّلمَ مَرتَعُه وَخيمُ
ولا تَفحَش وإن مُلِّئتَ غَيظاً ... على أحدٍ فإن الفُحشَ لُومُ
ولا تَقطَعْ أخاً لك عند ذَنبٍ ... فإن الذَّنبَ يَغفِرُه الكريمُ
ولكن دارِ عَورتَه برِفقٍ ... كما قد يُرقَعُ الخَلِقُ القديمُ

(١) تاريخ دمشق ٥٧/ ٣٨ـ٣٩.
(٢) المعارف ٢٣٢.
(٣) لم أقف عليه في التبيين، وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٧/ ٣٧.
(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٢.

ولا تَـجـزَعْ لـرَيْـبِ الـدَّهـرِ واصـبِـرْ فـإن الـصَّـبـرَ فـي الـعُـقْـبى سَـلـيـمُ
فـمـا جَـزَعٌ بـمُـغْـنٍ عـنـك شـيـئـاً ولا مـا مـات تُـرجِـعُـه الـهُـمـومُ

قال: ومن شعره: [من السريع]

لا تَـلُـمِ الـمـرءَ عـلـى فِـعـلِـه وأنـت مَـنْـسـوبٌ إلـى مِـثـلـه
مَـن ذَمَّ شـيـئـاً وأتـى مِـثـلَـه فـإنـمـا يَـزْري عـلـى عَـقـلِـه[1]

حَدَّث عيسى عن ابن عمر، وأبيه طلحة، وعبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، ومعاوية، وروى عنه الزُّهري وغيره.

وأما يحيى بن طلحة فكان من رُؤساء قريش، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، قال: وأُمُّه سُعدى بنت عوف بن خارجة بن سِنان بن أبي حارثة المرِّي.

قال: فولد يحيى بن طلحة: طلحة بنَ يحيى، وأُمُّه أُمُّ أبان.

وأُمّ أناس بنت أبي موسى الأشعري، ويُقال لها: أم إسحاق[2].

قال: وإسحاق بن يحيى، وأُمُّه الحَسناء بنت زَبَّار بن الأبرد، كلبيّة.

وقال غيرُ ابنِ سعد: إن أمَّ إسحاق أمُّ أبان بنت أبي موسى الأشعري.

قال ابن سعد: وسَلَمة بن يحيى، وعيسى، وسالم، وبلال الذي مَدحه الحَزين الكِناني فقال: [من الطويل]

بـلالُ بـنُ يـحـيـى غُـرَّةٌ لا خَـفـا بـهـا لـكـلِّ أُنـاسٍ غُـرَّةٌ وهِـلالُ

قال: ومِهجَع، ومسَلمة، وأمّ محمد بنو يحيى بن طلحة، وهم لأُمَّهات الأولاد.

قال: وأمّ حكيم، وسُعدى، تزوَّجها سليمان بن عبد الملك بن مروان، فهلكتْ ولم تَلِد شيئاً، وفاطمة، وأُمُّهن سَوْدة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي[3].

---

(١) التبيين ٣٢٩.

(٢) في طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٣: وأمه أم أبان، وأم أُناس بنت أبي موسى الأشعري، وأخوه لأمه عبد الله بن إسحاق بن طلحة.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٣.

وقال غير ابن سعد: وإسحاق بن يحيى يُذكر عنه الفقه[١].

وأما زكريا بن طلحة فذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين تابعي أهل المدينة، وأمُّه أُمُّ كلثوم بنت أبي بكر الصديق ﷺ، وأمها حَبيبة بنت خارجة بن زيد، من الخَزْرج، وقد ذكرناها[٢].

وزكريا شقيقُ يوسف وعائشة ابني طلحة، وكان زكريا جواداً مُمَدّحاً.

وقال ابن سعد: فولد زكريا بن طلحة: يحيى وعبيد الله، وأمهما العَيْطل بنت خالد ابن مالك، أسديَّة، وأمَّ إسماعيل وأمَّ يحيى، وأمُّهما أم إسحاق بنت جَبَلة بن الحارث، كِنديَّة، وأمَّ هارون لأم وَلَد[٣].

وأما إسحاق بن طلحة فذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة، قال: وأُمُّه أمُّ أبان بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس[٤].

وهي خالةُ معاوية بن أبي سفيان، أختُ هند بنت عُتبة، وهي أمُّ يعقوب بن طلحة، شهدت أمُّ أبان فُتوحَ الشام مع أخيها أبي هاشم بن عُتبة، وزوجها أبان بن سعيد بن العاص، قُتلَ يومَ أجنادِين عنها شهيداً.

وهي أختُ أبي هاشم بن عُتبة لأبيه وأمِّه، فلما قَدِمت الشامَ خطبها عمر، وعلي، وطلحة، والزبير، فتزوَّجتْ طلحة، فقيل لها في ذلك، فقالت: أما عُمر فإن دخل دخل ببَأْس وإن خرج خرج بِبَأس، قد شغله أمرُ آخرتِه عن أمر دُنياه، كأنه يَنظر إلى ربِّه بعَينَيْه، وأما علي فليس لزوجته منه إلا قضاءُ حاجته منها، ويقول: كَيْتَ وكَيْت، وذَيت وذيت، وكان وكان، وأما الزبير فليس لامرأته منه إلا شارَةٌ في قَرامِلها، وأما طلحة فإنْ دخل دخل مِضحاكاً، وإن خرج خرج بَسَّاماً، إن سألتُ أعطى، وإن سكتُّ ابتدأ، وإن عَمِلتُ شكر، وإن أسأتُ غَفَر، فذلك زَوجي حقّاً[٥].

---

(١) انظر المعارف ٢٣٢ ، وأنساب الأشراف ٨/ ٢٣٦ .

(٢) عند ذكر أولاد طلحة ﷺ.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٤ .

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٥ .

(٥) تاريخ دمشق (تراجم النساء) ٤٧١ـ٤٧٢ . والشارة: العلامة والهيئة، والقرامل: ضفائر الشعر، تعني: من كثرة ما كان يضرب زوجته أسماء ﷺ.

وقال الواقدي: استعمل معاوية إسحاق بن طلحة مع سعيد بن عثمان بن عفان على خُراسان، ومات بالريّ سنة ست وخمسين، وولدت أمُّه لطلحة بن عبيد الله: إسحاق ويعقوب وإسماعيل وعيسى بني طلحة، وأخوه لأمه وأبيه يَعقوب بن طلحة قُتل يوم الحَرَّة[١].

ذكر أولاد إسحاق:

قال ابن سعد: فولد إسحاق بن طلحة: عبد الله، وأبا بكر، دَرَج، وعبيد الله، وأُمُّهم أم أُناس بنت أبي موسى الأشعري، ومصعباً لأُمّ وَلَد، ومعاوية، ويعقوب، وحفصة، وأمَّ إسحاق لأُمَّهات أولاد شَتّى[٢].

وأما يعقوب بن طلحة فذكره أيضاً ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة، وقال: كان سخياً جَواداً، قُتل يوم الحَرَّة في ذي الحجة، سنة ثلاثٍ وستّين، [وجاء] بمَقْتَله ومُصابِ أهلِ الحَرَّة إلى الكوفة الكَرَوَّسُ بن زيد الطائي، فقال عبد الله ابن الزَّبير الأسَدي: [من الطويل]

لَعَمرِي لقد جاء الكَرَوَّسُ كاظِماً ... على خَبَرٍ للمسلمين وَجيعِ

وسنذكر الأبيات في سنة ثلاث وستين في وقعة الحَرَّة.

ذكر أولاد يعقوب بن طلحة: قال ابن سعد: فولد يعقوب بن طلحة: يوسف بنَ يعقوب، وأمه أم حُميد بنت عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وأمُّها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قال: وطلحةَ، وأمه [أم] الحُلاس بنت عبد الله بن عَيّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة.

وإسماعيل وإسحاق دَرَجا في حياة أبيهما، وأبا بكرٍ، وأمُّهم جَعدَةُ بنت الأشعث بن قيس الكندي[٣].

وأما إسماعيل بن طلحة فكان جَواداً، وكانت عنده لُبابَة بنت عبد الله بن عبّاس، وأم إسماعيل أمُّ أبان بنت عتبة بن ربيعة.

وأما صالح بن طلحة فأُمُّه الفَرْعة، تَغلبيّة، درج في حياة أبيه.

---

(١) انظر المعارف ٢٣٢، وأنساب الأشراف ٨/ ٢٣٦ـ٢٣٧، والتبيين ٣٣٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٣ـ١٦٤.

ذكر بنات طلحة:

منهن عائشة شقيقة زكريا ويوسف، وأُمُّهم أم كلثوم بنت أبي بكر رضي الله عنه، تزوَّجها مُصعب بن الزبير، فأصدقها ألفَ ألفِ درهم، ثم تزوَّجها عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وسنذكرها في سنة ثلاث وعشرين ومئة.

وأما أُمُّ إسحاق بنت طلحة فتزوجها الحسن بن علي عليه السلام، فولدت له طلحة ابن الحسن، دَرَج صغيراً، ثم تزوَّجها الحسين، فوَلدت له فاطمة بنت الحُسين، ثم تزوَّجها عبد الله بن محمد بن أبي عَتيق، فوَلدت له أُميّة[١].

ذكر إخوة طلحة:

قال علماء السِّيَر: كان له إخوة منهم: عثمان وعبد الرحمن ابنا عبيد الله.

قال الموفق رحمة الله عليه: أسلما وصَحِبا رسولَ الله ﷺ، وقُتل عبد الرحمن يوم الجمل مع أخيه طلحة، وهاجرا، ومات عثمان سنة أربعٍ وسبعين، وولدُه عبد الرحمن ابن عثمان بن عُبيد الله أسلم يوم الحُدَيبية، وقيل: يومَ الفتح، وقُتل مع عبد الله بن الزبير، وأخرج عنه مسلم حديثاً واحداً، وقال: عبد الرحمن بن عثمان القُرَشي[٢].

قلت: وقد أخرج له أحمد في المسند ثلاثة أحاديث، منها الحديث الذي انفرد به مسلم، فقال أحمد بإسناده عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي: أن رسول الله ﷺ نهى عن لُقَطَةِ الحاجِّ[٣]. انفرد بإخراجه مسلم، يعني لُقَطة الحرم.

قلت: وقد اختلف الفُقهاء في هذا، فعند أبي حنيفة: لقطة الحِلِّ والحَرم سواء، إن كانت عَشَرة دراهم فما فوقها عرَّفها حولاً، وإن كانت أقلَّ من عَشرة دراهم عَرَّفها أيّاماً، وعند الشافعي ـ وهي إحدى الروايتين عن أحمد: أن لُقطة الحَرَم يجب تَعريفُها أبداً، ولا تُملك لهذا الحديث، ولقوله عليه السلام: «لا تَحِلُّ لُقَطَتُها إلا لمُنْشِد»[٤]، ولأبي حنيفة أن الأخبار المبيحة لأخذ اللُّقطة لا تَفصل بين الحرم وغيره لما عرف[٥].

---

(١) المعارف ٢٣٣ ، وأنساب الأشراف ٨/ ٢٣٨ـ٢٢٨ .

(٢) التبيين ٣٣٠ـ٣٣١ ، وحديثه عند مسلم برقم (١٧٢٤)، وفيه: عبد الرحمن بن عثمان التيمي أن رسول الله ﷺ نهى عن لُقطة الحاج .

(٣) مسند أحمد (١٦٠٧٠)، وصحيح مسلم (١٧٢٤) .

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٣٣)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر الاستذكار ٢٢/ ٣٣٦ ، ومعرفة السنن والآثار ٩/ ٧٥ـ٧٩ ، والمغني ٨/ ٣٠٦ .

وقال الموفَّق: ومن ولده: محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الرحمن بن عثمان، كان عالماً بالمغازي والأنساب[١].

وقال مصعب: هو محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الرحمن بن عَتّاب بن عُبيد الله ابن عثمان بن عبيد الله، رُوي عنه الحديث، ولم يذكر الموفَّق في أجداده مَن اسمه عَتَّاب.

ذكر موالي طلحة:

قال هشام: كان له عدَّة موالي، منهم: مُسلم بن يَسار، كان أوحد زمانه في العلم والزُّهد والوَرَع، وسنذكره.

ومن موالي طلحة: أبو نُعيم الفَضْل بن دُكين، وسنذكره.

ذكر مسانيد طلحة:

واختلفوا فيها، قال أبو نعيم: أسند نَيِّفاً وثلاثين سوى الطُّرُق.

وقال ابن البَرْقي: تسعة عشرَ حديثاً، وقيل: ثمانيةً وثلاثين حديثاً.

أخرج له في «الصحيحين» سبعةً، اتَّفقا على حديثين، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة[٢]. وأخرج أحمد لطلحة أربعةَ عشر حديثاً، بعضُها في المتَّفق عليه، وبعضها في الأفراد.

وروى طلحةُ عن أبي بكر وعمر.

وروى عنه بنوه: يحيى، وموسى، وعيسى، ومالك بن أبي عامر الأصبَحيّ، وقيس ابن أبي حازم، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، والأحنف بن قيس، في آخرين.

وليس في الصحابة مَن اسمُه طلحة بن عبيد الله غيره، فأما غيرُ ابنِ عُبيد الله فعشرة، وكذا في التابعين، ليس فيهم مَن اسمُه طَلحة بن عُبيد الله غير رجلٍ واحد؛ وهو: طلحة ابن عبيد الله بن كَريز ـ بكاف مفتوحة ـ وكُنيته: أبو المطَرِّف الخُزاعي، ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل البصرة[٣]، وكان سيّداً شريفاً، واختلفوا فيه: فقال البخاري:

---

(١) التبيين ٣٣١.

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٦٦ وفيها: قال البرقي: الذي حُفظ لنا عنه بضعة عشر حديثاً، وانظر ٣٩٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٢٢٧.

هو مَدني، وقال غيره: بَصري، وقيل: كوفي.

وقال أحمد بن حنبل: ثِقة.

وكان يُكثر غِشيان أم الدَّرداء، ويَسمع منها.

وقال البخاري: كان قليلَ الحديث.

وروى عن ابن عمر، وأبي الدرداء، وأمِّ الدرداء، وعائشة.

وروى عنه محمد بن إسحاق وغيره.

وهو وإن كان سيِّداً فاضلاً؛ غير أنه لا يُعدُّ في الطَّلحات المعدودين في الجود، ولم يُذكَر لنا تاريخُ وفاتِه[1]. فهذا في التابعين اسمُه طلحة بن عبيد الله ليس فيهم غيره، فأما طلحة غير ابن عبيد الله فخلقٌ كَثير.

ومن مسانيد طلحة بن عبيد الله التّيمي؛ قال أحمد بإسناده، عن محمد بن عبد الرحمن بن مُجَبَّر، عن أبيه، عن جَدِّه: أن عثمان أشرفَ على الذين حَصروه، فسَلّم عليهم، فلم يَرُدُّوا عليه، فقال عثمان: أفي القوم طلحة؟ قال طلحة: نعم، فقال عثمان: إنّا لله وإنا إليه راجعون، أُسلِّم على قوم أنت فيهم ولا يَردّون، فقال طلحة: قد ردَدْتُ، فقال عثمان: يا طلحة ما هكذا الردُّ، أُسمِعُك ولا تُسمعني، أَنشدك الله، أسمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «لا يُحلُّ دمَ المسلم إلا واحدةٌ من ثلاث: أن يَكفُرَ بعد إيمانه، أو يَزني بعد إحصانه، أو يَقتل نَفساً فيُقتَلَ بها؟» قال طلحة: اللهمَّ نعم، فكبّر عثمان وقال: والله ما أنكرتُ الله منذ عَرفتُه، ولا زنيتُ في جاهلية ولا إسلام، قد تركتُه في الجاهلية تكرُّماً، وفي الإسلام تَعفُّفاً، وما قتلتُ نَفساً يَحلُّ بها قَتلي[2].

فصل في تسمية الطَّلْحات المعدودين في الجود:

وهم سبعة؛ أحدُهم صاحب هذه الترجمة، وسمّاه النبي ﷺ يوم أحد طلحةَ الخير، ويوم ذات العُشَيرة طلحة الفيّاض، ويوم حُنين طلحةَ الجُود، وقد ذكرناه.

والثاني: طلحة بن عُمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، ويُسمّى طلحةَ الجُود.

والثالث: طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدِّيق، ويُسمَّى طلحةَ الدَّراهِم.

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٥٧٧ ـ ٥٨٠ (مخطوط)، وتهذيب الكمال (٢٩٦٣).

(٢) مسند أحمد (١٤٠٢).

والرابع: طلحة بن الحسن بن علي عليه السلام، ويسمى طلحة الخير.

والخامس: طلحة بن عبد الله بن عَوف الزُّهري، ابن أخي عبد الرحمن بن عَوف، ويُسمَّى طلحةَ النَّدى.

والسادس: طلحة بن عبد الله بن خَلَف، ويُقال له: طلحةَ النَّدى أيضاً.

والسابع: طلحة بن عبد الله الخُزاعي، ويقال له: طلحةَ الطَّلحات[1].

قال الأصمعي: وكان أجودَ القوم، ولذلك سُمّي طلحةَ الطَّلحات. فنذكر طَرَفاً من أخباره.

قال الأصمعي: كُنيته أبو المطَرِّف، وفيه يقول القائل: [من الخفيف]

رحـــم الله أعـــظُـــمـــاً دَفـــنـــوهـــا بـسِـجِـسْـتـانَ طـلـحـةَ الـطَّـلْـحـاتِ[2]

وقد ذكره العلماء في تواريخهم، وأثنوا عليه، فقال يحيى بن مَعين: أبوه عبد الله بن خَلَف بن أسعد، كُنيتُه أبو المطَرِّف، وكُنيةُ ابنه طلحة: أبو محمد، وقُتل أبوه عبد الله يومَ الجمل مع عائشة، وأمّ طلحة الطلحات: صَفيّة بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة العَبْدَريّ، وهي بنت أخي عثمان بن طلحة الحُجَبي.

وقال ابن دريد: إنما سُمّي طَلحةَ الطلحات من أجل أن أُمَّه بنت الحارث بن طلحة ابن أبي طلحة، وهي بنت أخي عُثمان بن طلحة، ولهم قصرٌ بالبصرة يُعرف بقصر خَلَف جَدِّهم، وفيه نزلت عائشة لما قدمت البصرة.

قال: وكان طلحة الطلحات شريفاً، عظيمَ القدر، ولم يكن بالبصرة في زمانه مثلُه، قدم على يزيد بن معاوية شافعاً في يزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ.

وقال خليفة بن خيّاط: وفي سنة ثلاث وستين بعث سَلْم بن زياد بن أبيه طلحةَ الطلحات والياً على سِجِسْتان، وأمره أن يَفدي أخاه أبا عُبيدة بن زياد، ففَداه بخمس مئة ألف، فلحق بأخيه سلم، وأقام طلحةُ والياً بها حتى مات.

---

(١) انظر المحبر ٣٥٥ـ٣٥٦، وتلقيح فهوم أهل الأثر ٤٥٥، وتاريخ دمشق ٨/ ٥٢٦ (مخطوط).

(٢) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات، وهو في ديوانه ٢٠، والمعارف ٢٢٨، وتلقيح فهوم أهل الأثر ٤٥٥.

وقال هشام: قال سلمة بن إبراهيم لطلحة الطلحات[1]: ما رأينا ألأم من قومك، يأتونك إذا أيسرتَ، ويَقطعونك إذا أملَقْتَ. فقال: هم أكرم قوم، يأتوننا وبنا قُوَّةٌ على بِرِّهم، والقيام بحقوقهم، ويتأخَّرون عنا حين نَضعُف عن ذلك.

قال: وكان طلحة مُمَدَّحاً، مدحه فُحول الشُّعراء، دخل عليه كُثيِّر عَزّة وهو مريض، فأنشده [من الكامل]

يا ابن الذَّوائِب من خُزاعةَ والذي ... لَبِس المكارمَ وارتَدى بنِجادِ
حَلَّتْ بساحتك الوفودُ من الوَرى ... فكأنما كانوا على مِيعادِ
لتَعودَ سيِّدَها وسيِّدَ غيرها ... ليت التَّشكِّي كان بالعُوَّادِ

فأعطاه حتى حَيَّرَه.

وقال الواقدي: وَرَد عليه كتابٌ من الحجاز؛ من عَجوزٍ تَستَميحُه، وفيه: [من الرجز]

يا أيها المايح دَلْوي دُونكا
إني رأيتُ النّاسَ يَحْمَدونكا
يُثنون خَيراً ويُمَجِّدونكا

فقال طلحة: قاتل الله العجوز، تَطلبُ جُبْنَ خُراسان وهي بالحجاز، ثم عَمَد إلى جُبْنَتَين مَملوءتين قطناً، فأخرج القُطْنَ منها، وجعل مَوضعَه دَنانير، وكتب إليها:

إنّا مَلأناها تَفيضُ فَيضا
فلن تخافي ما حييتُ غَيضا

ففتقت الجُبْنَة فتناثرت الدَّنانير.

وقولها: يا أيها المايحُ دَلْوي دُونكا، قد فرَّقت العرب بين المايح والماتِح، فجعلت النُّقطتَين اللتين من تحت لمن هو في أسفل البئر، والنقطتين اللتين من فوق لمن هو في

(١) كذا، وفي تاريخ دمشق ٨/ ٥٢٧ (مخطوط): سلمة بن إبراهيم بن جحش قال: قال أبي: بلغني أن امرأة طلحة الطلحات قالت...

أعلا البئر.

ولم يذكر لنا تاريخ وفاته، وقال الحاكم أبو عبد الله في «تاريخ نيسابور» أن طلحة الطلحات سمع من عثمان بن عفان[١].

وأما طلحة النَّدى: فهو طلحة بن عبد الله بن عَوف، ابن أخي عبد الرحمن بن عوف الزهري.

وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة، وكُنيته أبومحمد، وقيل: أبو عبد الله، وأمه فاطمة بنت مُطيع بن الأسود، ووَلي المدينة[٢] وسنذكره.

انتهت ترجمة طلحة بن عبيد الله التَّيمي.

وفيها توفي

عبد الله بن سعد

ابن أبي سَرْح بن الحارث بن حُبيّب ـ بالتصغير مع التشديد ـ الفِهري.

قال ابن البَرْقي: واسم أبي سَرْح الحُسام، وكنيته أبو عبد الله العامري[٣].

وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة ممن أسلم يوم الفتح، قال: وأمه مهانة بنت جابر من الأشعريّين[٤].

وذكره الموفق رحمه الله في «الأنساب»، وقال كما ذكرنا في نسبه، ثم قال: وحُبَيّب ابن جَذيمة بن نصر بن مالك [بن حِسْل] بن عامر بن لؤي.

أسلم قبل الفتح قديماً، وهاجر، وكتب لرسول الله ﷺ الوحي، ثم ارتدّ عن الإسلام، وقدم مكة فقال لقريش: كنت أُصرِّف محمداً حيث أريد؛ فكان يُملي عليّ: حكيم عليم؛ فأقول: عزيز حكيم، فيقول: نعم، فلما كان يوم الفتح أباح النبي ﷺ دمَه فيمن أباح، وكان أخا عثمان من الرضاعة؛ فأخذ له أماناً. وقد ذكرناه يوم الفتح.

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٥٢٥ـ٥٣٠ (مخطوط).

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٩-١٦٠ .

(٣) تاريخ دمشق ٩/ ٣٤٠ (مخطوط).

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ١٢٩ ، وأعاد ترجمته في ٩/ ٥٠٢ فيمن نزل بمصر من الصحابة.

ثم قال الموفق: وأسلم وحسُن إسلامُه، وكان أحد النُّجباء النُّبلاء العقلاء الكرماء من قريش، وكان صاحب ميمنة عمرو بن العاص في فتوح مصر وحروبه كلِّها، ثم ولّاه عثمان مصر في سنة خمس وعشرين، فغزا إفريقية؛ ففتحها في سنة سبع وعشرين، ثم عاد، ثم غزا الأساود من النُّوبَة، وهادنهم الهُدنةَ الباقية إلى هلم جرّا، ثم غزا غزاة الصَّواري في سنة إحدى وثلاثين، ثم قدم على عثمان؛ فانتزى محمد بن أبي حذيفة على مصر، فرجع عبد الله فمنعه دخولها، فجاء إلى عَسقلان _ وقيل: إلى الرَّمْلة _ فأقام بها حتى مات في الصلاة سنة ست أو سبع وثلاثين. وهذا قول الموفق[١].

وقال عبد الله بن محمد البغوي: استخلف على مصر السائب بنَ هشام بن عمرو العامري، فوثب محمد بن أبي حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس فخلع السائب، وتأمَّر على مصر، فرجع عبد الله [فمنعه ابن أبي حذيفة من دخولها، فمضى] إلى عسقلان [فأقام بها]، ولم يبايع أمير المؤمنين ولا معاوية[٢].

واختلفوا في وفاته؛ فقال ابن سعد: بنى داراً بمصر ونزلها، حتى إذا كانت الفتنة تحول إلى فلسطين فمات بها[٣].

وقال أبو سعيد بن يونس: لما منعه ابنُ أبي حذيفة من دخول مصر رجع إلى عسقلان، فمات بها في سنة ست وثلاثين.

وقال ابن مَنده: توفّي بالرَّملة.

وقال أبو القاسم بن عساكر: قال أبو عبيد القاسم بن سلام: توفي عبد الله سنة ست وستين[٤]، قال: وهو وهم منه[٥]، والصحيح أنه مات في سنة ست أو سبع وثلاثين عند خروج معاوية إلى صِفّين بعَسقلان، ولم يشهد صفّين. ودُفن بمكان يقال له: مقابر قريش، وهو مكان معروف.

---

(١) في التبيين ٤٨٧ وما بين حاصرتين منه.

(٢) ما بين معكوفين من تاريخ الطبري ٤/ ٤٢٠ ، والاستيعاب (١٤٨٦)، وتاريخ دمشق ٩/ ٣٤١ (مخطوط).

(٣) تاريخ دمشق ٩/ ٣٣٩ ، وليس في طبقات ابن سعد.

(٤) تاريخ دمشق ٩/ ٣٥٢ .

(٥) توهيم ابن عساكر إنما هو لرواية ابن منده ٩/ ٣٤١ أنه توفي بالرملة سنة تسع وخمسين.

وقال البخاري: مات في الصلاة بالرملة خوفاً من الفتنة[١].

وقال يزيد بن أبي حبيب: حضرتْ صلاة الصبح وعبد الله بالرّملة فقال: اللهمَّ اجعل خاتمة عملي صلاة الصبح، فقرأ في الأولى بأمّ القرآن والعاديات، وفي الأخرى بأم القرآن وسورة، ثم سلم عن يمينه، وذهب يسلّم عن يساره فقبض الله روحَه[٢].

وكذا قال البخاري والموفّق[٣] أنه مات في الصلاة.

وقيل: إنه مات بإفريقية، وهو وهم منه.

وكان شاعراً، ومن شعره: [من الطويل]

أرى الأمرَ[٤] لا يزداد إلا تفاقُماً ... وأنصارُنا في البلدتين قليلُ
وأسلمنا أهلُ المدينةِ والهوى ... هوى أهل مصرٍ والدليلُ دليلُ

وقال الموفق رحمه الله: وابنه وَهْب بن عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، شهد أحداً والحديبية والخندق وخيبر مع رسول الله ﷺ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سويد بن عمرو، فقُتلا بمؤته شهيدين.

قال: وأخوه عياض بن عبد الله بن سعد تابعي، وروي عنه الحديث.

قال: وعمرو بن أُويس بن سعد بن أبي سرح، ابن أخي عبد الله بن سعد؛ استشهد يوم اليمامة.

قال: وأروى بنت أويس بن سعد بن أبي سرح، وهي التي خاصمت سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل في الأرض، فدعا عليها فعَميت[٥].

وليس في الصحابة مَن اسمه عبد الله بن سعد سوى ثلاثة؛ أحدهم صاحب هذه الترجمة، وله صحبة ورواية، والثاني عبد الله بن سعد الأنصاري له صحبة ورواية، والثالث عبد الله بن سعد بن خيثمة الأوسي، له صحبة وليس له رواية[٦].

---

(١) التاريخ الكبير ٥/ ٢٩ .

(٢) تاريخ دمشق ٩/ ٣٥١ .

(٣) في التبيين ٤٨٧ .

(٤) في (خ): المرء ؟! والبيتان في تاريخ دمشق ٩/ ٣٣٩ (مخطوط).

(٥) التبيين ٤٨٨ ، وانظر نسب قريش ٤٣٣ ، وأنساب الأشراف ٩/ ٢٧١-٢٧٢ .

(٦) تلقيح فهوم أهل الأثر ٢١٨ . وانظر في ترجمة عبد الله غير ما ذكر من مصادر المعارف: ٣٠٠ ، والسير =

وفيها توفي

عبد الرحمن بن عَتَّاب

ابن أَسيد بن أبي العِيص بن أميةبن عبد شمس. قد ذكرنا أباه عَتَّاباً، وأن رسول الله ﷺ ولّاه مكة وهو ابن عشرين سنة، وأنه مات بمكة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر الصديق بالمدينة، وأن عبد الرحمن كان إمام أهل الجمل، وأنه أخذ بزمام الجمل، ولم يزل يقاتل عنده حتى قُتل.

قال الواقدي: مرَّ به أمير المؤمنين وهو مقتول، فترحّم عليه وقال: لَهفي عليك يَعْسوب قريش، قُتلت اليوم الغَطارفة من بني عبد مناف، ثم قال: أشكو إلى الله عُجَري وبُجَري ... الأبيات[1]، فقال له رجل: تجزعُ عليهم وقد أرادوا بك ما أرادوا؟ فقال: إنه قامت عني وعنهم رَحِم.

وقد ذكرنا أن عتَّاباً أُخذت كفُّه، وفي أصبعه خاتم عليه منقوش اسمه، فألقته بمكة يوم الوقعة، فعرفوا أنه قد قُتل، فصلّوا عليه.

وفيها توفي

عبد الرحمن بن عُدَيس البَلَوي

رئيسُ المصريين الذين ساروا لقتال عثمان.

قال علماء السير: وعبد الرحمن من الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة، ولما تُوفّي رسول الله ﷺ نزل مصر فأقام بها، حتى سار إلى عثمان، وفعل به ما فعل، فلما قُتل عثمان خرج إلى الشام، فنزل فلسطين، وعلم به والي معاوية فقبض عليه وحبسه، وأرسل إلى معاوية يُخبره، فهرب من الحبس، فبثُّوا الخيل في طلب ابن عُديس، وكان معه في الحبس كِنانة بن بِشر ومحمد بن أبي حذيفة.

ولما بثّوا الخيل في طلب ابن عُديس أدركه فارس، فحمل عليه، فقال له ابن

= ٣/٣٣، والإصابة ٢/٣١٦.

(١) كذا، وصوابه كما في الطبري ٤/٥٢٧ : إليك أشكو عجري وبجري.

عُديس: أَنشُدك اللهَ في دمي؛ فإني من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوه تحت الشجرة، فطعنه فقتله.

وليس في الصحابة مَن اسمه عبد الرحمن بن عُدَيس غيره، وله صُحبة ورواية[١].

وفيها توفي

قُدامة بن مَظْعون

ابن حبيب بن وهب الجُمحي، أخو عثمان بن مَظْعون، وكنيته أبو عمرو، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، وأمه غَزيَّة بنت الحُوَيْرث، جمحيّة، وغزية بغين معجمة.

وقال البلاذري: هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة بالاتفاق. وفي الثانية[٢] خلاف، والأول أصحّ، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وكان لا يغيِّر شيبَه.

وقال ابن سعد: توفي في سنة ستٍّ وثلاثين وهو ابن ثمان وستين، وقيل: ابن ثمانين سنة.

وكان له من الولد عمر وفاطمة؛ وأمهما هند بنت الوليد بن عُتبة بن ربيعة، وعائشة وأمُّها فاطمة بنت [أبي] سفيان بن الحارث الخزاعي، ورَمْلة وأمُّها صفية بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب[٣].

وذكره الموفق رحمه الله فقال: ولّاه عمر بن الخطاب البحرين، ثم عزله بسبب شرب الخمر، وتأوَّل قولَه تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ الآية[المائدة: ٩٣] لم يحدَّ من أهل بدر أحداً في شرب الخمر إلا قُدامة، وغاضب قدامة عمر وهجاه[٤]، وحجّا معاً، فلما قَفَلا من حجِّهما نزل عمر

---

(١) انظر في ترجمته طبقات ابن سعد ٩/ ٥١٤ ، والاستيعاب (١٥٥٨)، وتاريخ دمشق ٤١/ ١٠٣، والإصابة ٢/ ٤١١ .

(٢) كذا، وهو خطأ، صوابه: الأولى، فقد اتفق مترجموه على هجرته الثانية كما ذكر السبط، انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧١ ، وأنساب الأشراف ٩/ ٢٥ ، والاستيعاب (٢١٥٣)، والمنتظم ٥/ ١١٥ ، والتبيين ٤٤٦ ، والسير ١/ ١٦١ ،والإصابة ٣/ ٢٢٨ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧١ـ٣٧٢ وما بين معكوفين منه.

(٤) في التبيين ٤٤٦ : وهجره، وهو الأشبه.

بالسقيا فنام، وانتبه فقال: عجِّلوا عليّ بقدامة؛ فو الله لقد أتاني آتٍ في منامي فقال: سالِمْ قُدامة فإنه أخوك، فأتوه به، فكلَّمه عمر واستغفر له واصطلحا.

قال: وقدامة زوج صفية أخت عمر، وأخو زينب بنت مظعون زوجة عمر.

قال: وكانت عائشة بنت قدامة من المبايعات.

وليس في الصحابة من اسمه قدامة بن مظعون غيره، وله صحبة ورواية.

وفيها توفي

كعب بن سُور

ابن بكر بن عبد الله الأزدي، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة.

ولاه عمر القضاء على البصرة، وأقرَّه عثمان، وسببه ما ذكره الزبير بن بكّار قال: حدثني إبراهيم الحِزاميّ، عن محمد بن مَعْن الغفاري قال: أتت امرأةٌ عمر بنَ الخطاب فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله، فقال لها: نعم الزوجُ زوجك، فجعلت تكرِّر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب، وعنده كعْب بن سُور الأَسْدي[1]، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن هذه المرأة تشكو زوجَها في مباعدته إياها عن فراشه، فقال له عمر: كما فهمتَ كلامها فاقضِ بينهما. وقد ذكرنا القصة في ترجمة عمر[2]، وفيها شعر أوَّله أن المرأة قالت:

يـا أيـهـا الـقـاضـي الـحـكـيـم رَشَـدُهْ

وقول زوجها:

زَهَّـدنـي فـي فَـرْشِـهـا وفـي الـحَـجَـل

الأبيات.

وحكى ابن سعد عن بعض أهل العلم أنه: لما قدمت عائشة البصرة دخل كعب بن سُور بيتاً، وطيَّن بابه، وجعل فيه كُوَّةً يتناول منها طعامه وشرابه اعتزالاً للفتنة، فأرسلوا

(١) لغة في الأزد، وهي الأفصح، انظر القاموس وشرحه ٧/ ٣٨٢.

(٢) سلفت في سيرته وترجمته.

إليه فلم يُجب، فقيل لعائشة: إن خرج معك كعب لم يتخلَّف عنك أحد من المسلمين الأزد، فجاءت بنفسها إلى باب بيته ونادته: يا كعب، فلم يُجبها، فألحَّت عليه وهو ساكت، فقالت: ألستُ أمّك ولي عليك حق؟! فبحقّي عليك إلا خرجتَ؛ فإنما جئت لأُصلح بين الناس، فخرج مُكرهاً، فقُتل بين يدي عائشة، وهو أوَّلُ قتيلٍ قتل يوم الجمل، وقد ذكرناه.

وقال الواقدي: أمرته عائشة أن يخرج إلى القوم بالمصحف، فعلّقه في عنقه وخرج، فجاءه سَهْمٌ غَرب فذبحه.

وقال ابن سعد: كان كعب معروفاً بالخير والصلاح، وليس له حديث. ومر به أمير المؤمنين فتأسَّف عليه[١].

وفيها توفي

محمد بن طلحة بن عُبيد الله التَّيمي

كان يُسمَّى السَّجَّاد لعبادته، كان يسجد كلَّ يوم ألفَ سَجدة، وله إدراك لرسول الله ﷺ.

وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة قال: وحدثنا محمد ابن عمر بإسناده إلى حَمْنَة بنت جَحْش بن رِئاب: أنها لما ولدت محمداً جاءت به إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله سَمِّه، فقال: «قد سمَّيتُه محمداً وكنَّيتُه أبا سليمان، لا أجمع له اسمي وكُنيتي»[٢].

وفي رواية ابن سعد أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: ما سمَّيتموه؟ قلنا: محمداً، فقال: هذا اسمي وكَنَّيتُه أبا القاسم[٣].

وفي رواية: فلما أراد عمر بن الخطاب تغيير الأسامي قال له محمد: يا أمير

---

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٩٢ ، وانظر ترجمته في الاستيعاب (٢١٨٧)، والمنتظم ٥/ ١١٥ ، والإصابة ٣ / ٣١٤، والسير ٣/ ٥٢٤ وتتمة المصادر فيه.

(٢) في (ع): وفي رواية ابن سعد: هذا اسمي وكنيته أبا القاسم، وليست هذه العبارة في (خ)، ولا طبقات ابن سعد ٧/ ٥٧ ، وإنما فيه الخبر التالي.

(٣) في طبقات ابن سعد: هذا سَمِيّي وكنيته أبو القاسم.

المؤمنين أنشدك[١] الله أن تغيِّر اسمي، فو الله ما سمّاني محمداً إلّا محمد رسول الله ﷺ، فقال عمر: لا سبيل إلى تغيير شيء سماه محمد ﷺ.

وليس لمحمد بن طلحة في «المسند» غير هذا الحديث. وأخرج له الموفق رحمه الله في «الأنساب» حديثاً مرسلاً في صفة السَّحاب[٢].

وذكره الموفق وأثنى عليه فقال: كان محمد السجَّاد عابداً صالحاً بارّاً بأبيه، ولد على حياة رسول الله ﷺ، فأتى به أبوه رسول الله ﷺ، فحنّكه وسمّاه باسمه وكنّاه بكنيته، وحضر يوم الجمل مع أبيه وكانت معه رايته، قال: وكان فيما ذُكر مُكرهاً؛ أكرهه أبوه على الخروج معه، وكان أمير المؤمنين قد نهى عن قتله وقال: إيّاكم وصاحب البُرْنُس، فإنه خرج مُكرهاً.

واختلفوا في كيفية قتله فقال الموفّق: أمره أبوه بالقتال فتقدّم، فنَثَل دِرعَه بين رجليه، وقام عليها، وجعل كلّما حمل عليه رجلٌ يقول: نشدتك بحَم، فينصرف عنه، حتى جاء المُكَعْبِر الأسَديّ فطعنه، ولم يكن عليه درع، فقتله وقال: [من الطويل]

وأشعثَ قَوَّامٍ بآياتِ ربِّه ... قليلِ الأذى فيما ترى العينُ مُسلمِ
هتكتُ له بالرُّمح جَيْبَ قميصه ... فخرَّ صريعاً لليدين وللفمِ
على غير شيء أنه ليس بائعاً[٣] ... علياً ومن لم يتبعِ الحقَّ يَظلمِ
يُذكِّرني حَم والرُّمحُ شاجِرٌ ... فهلّا تلا حاميم قبل التَّقدُّمِ

وذكر ابن سعد الأبيات لعِصام بن المُقْشَعِرّ[٤]، وهو الذي قتل محمداً، وحكاه ابن سعد.

وحكى سيف عن أشياخه قالوا: أخذ محمد بن طلحة بزِمام الجمل، فقالت عائشة:

---

(١) في (خ): نشدتك، والخبر في طبقات ابن سعد ٧/ ٥٨ ، ومسند أحمد (١٧٨٩٦).

(٢) التبيين ٣٢٢ـ٣٢٣ .

(٣) رواية الشطر في المصادر: على غير شيء غير أن ليس تابعاً، انظر طبقات ابن سعد ٧/ ٥٩ ، ونسب قريش ٢٨١ ، والمعارف ٢٣١ ، والطبري ٤/ ٥٢٦ ، وأنساب الأشراف ٨/ ٢٣٠ ، والاستيعاب (٢٢٦٢)، والتبيين ٣٢٤ .

(٤) ذكر ابن سعد الخلاف في قاتل محمد بن طلحة وقائل الأبيات، ولم يصرح أنه عصام.

مَن أنت؟ قال: محمد بن طلحة، فقالت: يا بُنيّ، كن خير بني آدم.

وكان هوى محمد مع علي عليه السلام، واجتمع عليه جماعة فحمل عليهم وهو يقول: «حَم لا ينصرون»، فقتلوه.

وادَّعى قتلَه جماعة: المُكَعْبِر الأَسَديّ، والأشتر النَّخَعي، وشُريح بن أوفى، والمشهور، أن المُكَعْبِر قتله[١].

وقد ذكره ابن سعد فقال: قاتل محمد بن طلحة يوم الجمل قتالاً شديداً، وعُقِر الجمل، فتقدّم محمد فأخذ بخِطامه وعائشة عليه، فقال لها: ما ترين يا أُمَّه؟ قالت: أرى أن تكون خير بني آدم، فلم يزل كافّاً، فأقبل عبد الله بن مُكَعْبِر ـ رجلٌ من بني عبد الله بن غطفان حليف بني أسَد ـ فقال له محمد: أُذكِّرك «حَمَ»، فطعنه فقتله.

قال الواقدي: مرَّ عليّ عليه السلام على القتلى، ومعه الحسن بن علي وعمار وصَعصعة بن صُوحان والأشتر ومحمد بن أبي بكر، وبأيديهم النيران يطوفون على القتلى، فمرّ عليّ بمحمد بن طلحة وهو قتيل فقال: السَّجَّاد وربِّ الكعبة، فردَّ رأسه إلى جسده، وبكى واسترجع وقال: والله هذا قريعُ قريش، والله ما علمتُه إلا صالحاً عابداً زاهداً، والله ما صرعه هذا المصرع إلَّا برُّه بأبيه فإنه كان مطيعاً له، ثم جعل يبكي ويحزن عليه، فقال له الحسن: يا أبتِ، قد كنتُ أنهاك عن هذا المسير فغلبك على رأيك فلان وفلان، فقال: قد كان ذلك يا بُنيّ، ولَوَدِدتُ أنّي متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

وقد روى ابن سعد بمعناه، فقال الحسن لعلي: ما كان أغناك عن هذا؟ فقال علي: ما لي ولك يا بني أو يا حسن، ثم قال: ودَّ أبوك أنه مات قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

وقال ابن سعد: قال طلحة يوم الجمل: إنّا داهَنّا في أمر عثمان، فلنَبذُلَنّ دماءنا وأولادنا فيه[٢].

قال هشام: الذي قتل محمداً عبد الله بن مُكَعْبِر حليف بني أسد، ولما حمل عليه قال له محمد: أنشدك الله والرَّحم، فطعنه فقتله.

---

(١) انظر الطبري ٤/ ٥٢٦ ، وطبقات ابن سعد ٧/ ٥٨ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٤ .

وقال ابن سعد: ويقال: إن الذي قتله ابن مكيس الأزدي، قال: وقال بعضهم معاوية بن شدَّاد العَبْسي.

قال: وروى محمد الحديث عن عمر، وأمره عمر أن ينزل في قبر خالته زينب بنت جَحش زوجِ النبي ﷺ، وكان ثقة[1].

ذكر ولد محمد بن طلحة:

قال علماء السير: كان له إبراهيم وسليمان وداود وأمّ القاسم.

فأما إبراهيم بن محمد فكان يُسمّى أسدَ الحجاز، وله قصة مع عبد الملك بن مروان والحجاج، وسنذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وأما سليمان بن محمد فبه كان يُكنى.

وأم سليمان وداود وأم القاسم خَوْلَة بنت منظور بن زبّان، فزاريّة، وأخوهم لأمِّهم حسن بن حسن بن عليّ عليه السلام، وأمّه خولة هذه.

وفيها توفي

محمد بن أبي حُذيفة

ابن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

استشهد أبوه أبو حذيفة يوم اليمامة، قال علماء السير: ترك ابنَه محمداً صغيراً؛ فكفِله عثمان بن عفان، فأحسن كَفالته، وربّاه فأجمل تربيتَه، فلما ترعرع سأل عثمانَ أن يولّيه ولاية فأبى، فتنسَّك وتعبّد، ويُقال: إن عثمان حدّه في الشراب، وهو الذي منعه أن يولّيه شيئاً.

وذكره الموفق رحمه الله فقال: وكنية محمد بن أبي حذيفة أبو القاسم، لم يزل في كفالة عثمان سنين، ثم خرج إلى مصر وبها عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح عامل لعثمان، فوفد عبد الله بن سعد على عثمان، فانتزى محمد بن أبي حذيفة على مصر وأخذها، فلما عاد ابن سعد إليها منعه من دخولها، فرجع ابن سعد إلى عَسْقلان، فأقام بها، وأقام ابن أبي حذيفة على مصر؛ حتى ولّى علي عليه السلام على مصر قيس بن سعد،

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٥٨.

وعزل عنها ابن أبي حذيفة، فخرج إلى الشام، فقتله مولى لعثمان[١].

وقال هشام بن الكلبي: استأذن محمد عثمانَ في غزو البحر فأذن له، فخرج إلى مصر، فلما رأى الناس عبادتَه وزهدَه أعظموه و أطاعوه، وكان محمد بن أبي حذيفة جَهوريّ الصوت، فكبّر يوماً خلف عبد الله بن سعد تكبيرةً أفزعتْه، فشتمه ابنُ سعد وقال: أنت حدث أحمق، ولولا ذلك قاربتُ بين خُطاك.

وكان محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر يعيبان على عثمان توليتَه لابن سعد، ويؤلِّبان عليه، فكتب عبد الله بن سعد إلى عثمان فأخبره، فكتب إليه عثمان: أما ابنُ أبي بكر فيوهَب لأبيه ولعائشة، وأما ابنُ أبي حذيفة فابني وتربيتي، وهو فَرْخُ قريش، فكتب إليه ابن سعد: إن هذا الفَرْخَ قد نَبت ريشُه، وما بقي إلا أن يطير، فبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألفاً وكسوة، فجمع محمد المصريين، ووضع المال في المسجد وقال: إن عثمان يريد أن يخدَعَني ويَرشوني على ديني، وفرَّقه فيهم، فازداد في عيون القوم، وازدادوا طغياناً على عثمان، فاجتمعوا وبايعوا محمداً على رئاستهم، فلم يزل يؤلِّبُهم على عثمان حتى ساروا إليه فقتلوه[٢].

وقال أبو سعيد بن يونس ويزيد بن [أبي] حبيب: فقدم معاوية مصر في سنة ستٍّ وثلاثين، فنزل عينَ شمس، وامتنع عليه دخول مصر، فكتب إلى محمد بن أبي حُذيفة يَخدعه ويقول: إنا لا نريد قتالَ أحدٍ من المسلمين، وإنَّا جئنا نطلب القَوَدَ بعثمان، فادفعوا إلينا قاتليه: ابنَ عُدَيْس وكنانة بن بِشر فهما رأسا القوم.

فكتب إليه ابنُ أبي حذيفة: إني لم أكن لأُقيد بعثمان جَدْياً [أرطَبَ السُّرَّة]، فقال معاوية: فاجعلوا بيننا وبينكم أجلاً حتى يجتمع الناس على إمام، وارهنوا عندنا رَهْناً، فأجابه محمد إلى ذلك وقال: أنا أستخلف على مصر، وأخرج مع الرُّهُن في هذا العهد، وإنما قال ذلك جُبناً وخَوَراً منه، فاغتنم معاوية قولَه.

---

(١) كذا وهو خطأ، صوابه: مولى لمعاوية، واسمه رشدين. انظر المعارف ٢٧٢ ، والاستيعاب (٢٢٤٦)، والتبيين ٢١٧ .

(٢) انظر الطبري ٤/ ٢٩١ ، وأنساب الأشراف ٥/ ١٦٧ـ١٦٩ و ٧/ ٦٩٩ـ٧٠٠.

وخرج ابنُ أبي حذيفة مع معاوية إلى الشام، فلما نزلوا الساحل بقرية يقال لها: لُدّ، سجنهم بها، وقيل: إنه سجن ابنَ أبي حُذيفة بدمشق، وابنَ عُدَيْس ببَعْلَبَكّ.

قال أبو سعيد بن يونس: فبينما معاوية في مسيره ذلك جاءه بريد؛ فأخبره أن محمد ابن أبي حذيفة قد هرب من السجن، وقيس بنَ عديّ اللّخمي النائب بمصر قد أغار على الشام، وجاء بريدٌ آخر بأن ابنَ عُدَيس وكنانة قد هربا من سجن بعلبك، ثم جاءه بريد آخر بأن هِرَقْل قد نزل الدَّرْبَ، وجاءه بريد آخر أن أمير المؤمنين قد شارف الشام، فقال: خمسة[1] بُرُد في ليلة واحدة، فاهتمَّ معاوية، ثم قال لعمرو بن العاص: ماذا ترى؟ فقال: أما قيس بن عديّ فسارق بعير ثم يعود، وأما ابنُ عُدَيْس وكِنانة فخذ عليهما الرَّصَد، وكذا ابن [أبي] حذيفة، وأما هِرقل فلم يَعْدُ الدَّرْبَ، وأما علي فإن صحّ مجيئُه لم يمكنْه الإقامة على غير قاعدة، فهوِّن عليك.

فبعث معاوية عمرو بن عبد الله الخَثْعمي في طلب محمد بن أبي حذيفة وابن عُدَيْس وكنانة، وكانوا يسيرون ليلاً ويَكمنون نهاراً، فخرج نَبَطٌ من أنباط الشام يطلبون حماراً ضاع منهم، فدخلوا غاراً فوجدوهم، فدلُّوا عليهم، فدخل عمرو فقتلهم وأصحابهم.

وقال أبو مخنف: إن كنانة بن بِشر قتله جيشُ معاوية الذي نَفّذه لافتتاح مصر[2].

وقال خليفة: كنانة قتل يوم الدار، قتله عبدٌ حبشيّ لعثمان، وقد ذكرناه[3]، وحكاه الطبري.

وأما محمد بن أبي حذيفة فقد اختلفوا في مقتله؛ فقال هشام بن محمد: ضبط مصر قبل قدوم قيس بن سعد، فسار إليه معاوية وعمرو بن العاص، فعالجا دخول مصر فلم يقدرا عليها، فلم يزالا يعالجان محمد بن أبي حذيفة حتى خرج إلى عَريش مصر في ألف رجل، فأحدقا به، فالتجأ إلى حصن العَريش، فحاصره عمرو ونصب عليه المناجيق، فأخذه وقتله.

---

(١) في (خ): خمس؟!.

(٢) تاريخ دمشق ٥٩/ ٤٩٣ـ٤٩٥ .

(٣) سلف في ترجمة عثمان رضي الله عنه.

وفي رواية عن ابن الكلبي[١]، وقد ذكره البلاذري، قال: إنما قتل ابن أبي حذيفة بعد مقتل محمد بن أبي بكر، أخذه عمرو بن العاص فبعث به إلى معاوية بدمشق فحبسه بها، وما كان معاوية يختار قتله لأنه ابن خال معاوية، فكان معاوية يود أنه لو هرب من السجن، فأقام مدة ثم هرب، فأرسل خلفه عبد الله بن عمرو الخثعمي، وكان عثمانياً، فدخل خلفه الغار فقتله، مخافة أن يُطلقه معاوية.

قال البلاذري: وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين[٢].

انتهت ترجمته والله سبحانه وتعالى أعلم[٣].

(١) المنتظم ٥/ ٩٧ ، وانظر تاريخ الطبري ٥/ ١٠٥ـ١٠٦ ففيهما الخبران.

(٢) أنساب الأشراف ٧/ ٧٠٠ـ٧٠١ ، ولم يصرح بالسنة، وإنما ذكر أنه قتل بعد صفين.

(٣) انظر في ترجمته المعارف ٢٧٢ ، والاستيعاب (٢٢٤٦)، وتاريخ دمشق ٦١/ ٢٧٦ ، والسير ٣/ ٤٧٩ ، والإصابة ٣/ ٣٧٣ .